

سلسلة زاد الخطباء

الجزء الأول

التوحيد والعقيدة

كتبه الشيخ الفاضل

أبو معاذ حسين الحطيطي

مكتبة صلاح الدين

اليمن - مدينة عدن



سلسلة زاد الخطباء

الجزء الأول

التوحيد والعقيدة

اليمن - مدينة عدن

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

أولاً: خطب الجمعة

[١] معنى لا إله إلا الله

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَّةٌ.

أيها المسلمون: حديثنا معكم في هذا اليوم إن شاء الله تعالى، عن أمر مهم وعظيم، وعن كلمة هي مفتاح دار السعادة، وهي أصل الدين وأساسه، أركان الإسلام وفرائضه تتفرع عنها، لأجلها خلق الله السموات والأرض، ولأجلها أرسل الله الرسل، وبعث الأنبياء، وأنزل الكتب، ولأجلها نصبت الموازين، لأجلها خلد أقوام في النار، ونعم آخرون في الجنة.

كلمة عظيمة، كلمة: لا إله إلا الله الله، هذه الكلمة العظيمة التي إن تكلم عنها المتكلمون وخطب فيها الخطباء، لاحتاجوا إلى مواطن كثيرة، ومواضع عديدة، ولعل ذلك يكون في الجُمع القادمة إن شاء الله تعالى، فإن الحديث عن هذه الكلمة، عن معناها وأركانها، وعن صفاتها، عن فضائلها وشروطها، ونواقضها.

وحديثنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى، عن معنى هذه الكلمة، وعن بعض أركانها، وعن بعض ما وصفها الله به في كتابه الكريم.

هذه الكلمة معناها كما يقول أهل العلم كالإمام السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ**، وهكذا عبد الرحمن بن حسن **رَحْمَةُ اللَّهِ** صاحب "فتح المجيد"، وهكذا العلامة العثيمين **رَحْمَةُ اللَّهِ**، أن معناها: لا معبود بحق إلا الله، وقال بعضهم: لا معبود حَقُّ إلا الله، وإن عبد غير الله فقد عبد بالباطل، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** في كتابه الكريم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، ويقول سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

وقد فسرت هذه الكلمة بتفاسير ناقصة وباطلة، ومن تفاسيرها منهم من فسرها بقول: لا خالق إلا الله، وهذا تفسير قاصر، ولا يصح في هذا الموضع، ومنهم من

فسرها لا معبود إلا الله، وهذا تفسير باطل، لأنه قد عبدت الأشجار والأحجار، والأنناد والجن والشياطين والملائكة، وهكذا عبد الصالحون، ولكن تلك العبادات كلها بغير حجة ولا برهان، فهي باطلة، وأما عبادة الله **عَزَّ وَجَلَّ** فهي بحق.

ومما فسرت به هذه الكلمة أنه لا حاكمية إلا لله، وهذا تفسير الحركيين والإخوان ومن شاكلهم، وهذا فيه قصور، فإن هذا يدخل في توحيد الألوهية، وإنما معناها كما سمعت: لا معبود بحق إلا الله، وإن عبد غير الله فقد عبد بالباطل.

ولهذا المعنى العظيم الذي فسره أهل العلم لهذه الكلمة، قد فهمه مشركو مكة، حين جاء النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يدعوهم إلى هذه الكلمة، فقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص:٥]، فأعرضوا عنها وناقضوها ورفضوها، لأنهم يعلمون أن الإيمان بها ترك لتلك الأصنام، وتحطيم لها، وإعراض عن عبادتها.

هذه الكلمة العظيمة، لها ركنان عظيمان أساسيان، وهما كما قال أهل العلم: النفي والإثبات، قوله: «لا إله إلا الله»: نفي جميع الآلهة فيما سوى الله **عَزَّ وَجَلَّ** وإثباتها لله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، قوله: «لا إله» نفي، وقوله: «إلا الله» إثبات، فتنفى جميع الآلهة التي تعبد من دون الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ويعبد الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** ويوحد.

هذه الكلمة العظيمة، من أوصافها العظيمة أنها أعظم نعمة أنعم بها الله **عَزَّ وَجَلَّ** على العباد، وهداهم إليها، ولذلك ذكرها الله **عَزَّ وَجَلَّ** في سورة النحل التي تسمى بسورة النعم، وجعلها أول نعمة في سرد النعم في هذه السورة، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ١-٢].

فجعلها أول نعمة أنعم بها على عباده وهداهم إليها، هذه الكلمة وصفها الله عَزَّ وَجَلَّ بأنها الحسنى، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وغيره من أهل التفسير، المراد بالحسنى في هذا الموضع، كلمة لا إله إلا الله، وهي الحسنة أيضاً كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

فهي أعظم حسنة، يأتي بها العباد يوم القيامة، فتكون سببا في نجاتهم، وقد فسر بعض أهل التفسير، عند هذه الآية، أن المراد بالحسنة لا إله إلا الله.

وهكذا يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

هذه الكلمة العظيمة هي العهد الذي ذكره الله عَزَّ وَجَلَّ، حين قال في كتابه: ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا * وَنُسَوِّقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا * لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٥-٨٧].

فهذا هو العهد الذي ذكره الله عَزَّ وَجَلَّ، ينقذ الله به من شاء من عباده، ممن كان من أهل هذه الكلمة العظيمة، كما قال المفسرون عند هذه الآية، هذه الكلمة العظيمة، وصفت بأنها المثل الأعلى قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

ذكر الإمام ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ، عن جماعة من المفسرين أن المثل الأعلى في هذه الآية هي كلمة لا إله إلا الله.

هذه الكلمة العظيمة، وصفت في كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** أنها كلمة الله العليا، وما دونها هي السفلى، قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، فهي كلمة الله العليا.

وهكذا هذه الكلمة العظيمة وصفها الله **عَزَّ وَجَلَّ** في كتابه الكريم بأنها الكلمة الطيبة، قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤].

قال الإمام السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ**، المراد بقوله: ﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤]: الذي أفضله وأطيبه كلمة الإخلاص، ثم سائر الأقوال الطيبة التي فيها ذكر الله، أو إحسان إلى عباد الله.

قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٥]، فضرب الله **عَزَّ وَجَلَّ** بها المثل العظيم.

في هذه الآية الكريمة، كلمة لا إله إلا الله، هي كلمة التقوى كما قال الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٦]، فهي كلمة التقوى في هذه الآية، أي لا إله إلا الله.

هذه الكلمة العظيمة، هي الحق الذي ذكره الله **عَزَّ وَجَلَّ** في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، قال الإمام البغوي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في تفسيره: وَأَرَادَ بشهادة الحق قول لا إله إلا الله كلمة التوحيد.

بل هي دعوة الحق، الذي ذكر الله **عَزَّ وَجَلَّ** حيث قال في كتابه: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

هذه الكلمة العظيمة التي هي لا إلا الله، هي العروة الوثقى، وصفت بذلك في كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ**، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** في كتابه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

هذه من أوصافها، التي وصفها الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وأوصافها كثيرة، فهي كلمة التوحيد، التي دعا إليها الأنبياء والرسل، والتي هي الحد الفاصل بين أهل الإيمان والكفر، والتي هي كما تقدم السبب العظيم في خلود أهل النار في النار، وفي تنعم أهل الجنة في الجنة.

قال **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].



[١] تابع معنى (لا إله إلا الله)

[الخطبة الثانية]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ، وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

فيا أيها المسلمون، هذه الكلمة العظيمة التي سمعتم بعض أوصافها، مما وصف الله بها في كتابه الكريم، وأوصافها كثيرة، ومن ذلك أَنَّ هذه الكلمة، وصفت بأنها الباقيات الصالحات.

فقد روى الإمام الحاكم في "مستدركه"، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُذُوا جُسَّتَكُمْ». قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: مِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ؟ قَالَ: «لَا جُسَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ، قُولُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهَا يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُنْجِيَاتٍ وَمُقَدَّمَاتٍ وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ» ^(١).

يقول الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ [مريم: ٧٦].

(١) المستدرک: (١٩٨٥)، النسائي في الكبرى (١٠٦١٧) وهو في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٦٧).

وقد فسرت الباقيات الصالحات بهذه الكلمة العظيمة، وهي لا إله إلا الله، فما أعظمها من كلمة، وما أكثر أوصافها، التي وصفها الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، فما أحوجنا عباد الله، إلى أن نتعلم هذه الكلمة، وإلى أن نعلم معناها، وإلى أن نعمل بمقتضاها، وإلى أن نبتعد عن نواقضها، وإلى أن نفهم شروطها، وإلى أن نعلم فضائلها.

وما أكثر ما ذكر الله في كتابه، وهكذا نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** في سنته، من أحكام هذه الكلمة، ومن فضائل هذه الكلمة، ومن آداب هذه الكلمة، فإنما أوجد الله **عَزَّ وَجَلَّ** الإنس و الجن من أجلها، وخلق السموات والأرض، من أجلها.

وهكذا كان الصراع بين الحق والباطل، من أجل هذه الكلمة، فأرسل الله **عَزَّ وَجَلَّ** الرسل، وأنزل الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** الكتب، فهي أصل هذا الدين، وهي أساسه، وهي قطب رحاه، وهي أعظم ما أمر الله به، وهي أعظم ما يسأل عنه العباد، بين يدي الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** في كتابه الكريم: ﴿قَوْرَبَّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

قال الإمام البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ** في "صحيحه": وَقَالَ عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَوْرَبَّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]، عَنْ قَوْلٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. اهـ

هذه الكلمة العظيمة هي القول الثابت الذي يثبت الله **عَزَّ وَجَلَّ** عليه من شاء من عباده، ويصرف عنه من شاء من عباده، ولهذا قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ

آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾
[إبراهيم: ٢٧].

وقد جاء في "الصحيحين" ^(١) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾
[إبراهيم: ٢٧].

فمن ثبته الله جَلَّ وَعَلَا على قول هذه الكلمة، وعلى تطبيق شروطها، وعلى فهم معناها، والعمل بمقتضاها، والبعد عن نواقضها، ثبته الله جَلَّ وَعَلَا في قبره، حين يأتيه الملكان، وثبته الله عَزَّ وَجَلَّ يوم العرض والنشور، والوقوف بين يدي جبار السماوات والأرض، وصار من أهل الجنة بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

نسأل الله جَلَّ وَعَلَا بمنه وكرمه، وجوده وإحسانه، أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، وأن يجعلنا من أهل هذه الكلمة، الذين يقولونها ظاهرا وباطنا، ويعملون بها أراد الله عَزَّ وَجَلَّ منها، ويفهمون معناها، ويتعدون عن نواقضها، ويطبقون شروطها، إنه على كل شيء قدير.

والحمد لله رب العالمين.



[٢] فضائل لا إله إلا الله

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى

آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أيها المسلمون عباد الله: كان حديثنا معكم في الجمع الماضية عن معنى لا إله إلا

الله، وعن بعض ما وصفها الله **عَزَّ وَجَلَّ** به في كتابه الكريم، أما حديثنا معكم في هذا

اليوم إن شاء الله فعن بعض فضائل هذه الكلمة، وما جعل الله **عَزَّ وَجَلَّ** لها من المزايا

العظيمة، هذه الكلمة العظيمة، قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

أشهد الله **عَزَّ وَجَلَّ** نفسه الكريمة، وهو أعظم الشاهدين، وهو أصدق القائلين على أنه لا إله إلا هو، في إفراده **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بالألوهية والعبادة، وأن جميع الخلق خلقه، وأنهم مفتقرون إليه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأشهد **جَلَّ وَعَلَا** ملائكته على ذلك، وهكذا أشهد أولي العلم هذه الشهادة العظيمة، لعظمتها أشهد **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عليها نفسه وملائكته، وهذه الكلمة العظيمة التي تركز عليها دعوة الأنبياء والرسل، فلأجلها فارقوا أقوامهم، ولأجلها دعوا ليلاً ونهاراً، بأقوالهم وأفعالهم، ولأجل هذه الكلمة بدءوا بها، وقامت دعوتهم على ذلك.

قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]، ويقول الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فأول ما بدأ به الأنبياء والرسل بالدعوة إلى هذه الكلمة العظيمة، وأول ما واجهوا به أقوامهم، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

جاء عند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، بسند صححه العلامة الوادعي في "الصحيح المسند" أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** قال: ﴿إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ:

آمُرُكَ بِاثْنَيْنِ، وَأَنْتَ هَاكَ عَنْ اثْنَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضَيْنِ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَيْنِ السَّبْعَ، كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمْتُهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْتَ هَاكَ عَنْ الشَّرِكِ وَالْكَبِيرِ»^(١).

سبحان الله، السموات بكاملها، وبها فيها من الملائكة والمخلوقات، والأرضين السبع وفيها وما على ظهرها، إذا وضعت في كفة، وهذه الكلمة في كفة أخرى، مالت بهنَّ لا إله إلا الله.

«وَأَنْتَ هَاكَ عَنْ الشَّرِكِ وَالْكَبِيرِ»، هذه دعوة الأنبياء والرسل، إلى هذه الكلمة العظيمة، ولهذا يقول الله **جَلَّ وَعَلَا** عن نبيه هود **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وهكذا يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** عن نبيه صالح **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وهذا شعيب **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥].

(١) المسند: (٦٥٨٣)، الصحيح مسند: (٨٠١).

كلهم يدعون إلى هذه الكلمة العظيمة، وإلى تحقيقها، وإلى العمل بمقتضاها، وإلى فهم معناها، ويحذرون من مخالفتها.

وهذا نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** الذي كانت دعوته كلها إلى هذه الكلمة العظيمة، منذ أن بعثه الله **جَلَّ وَعَلَا** إلى أن فارق الحياة، وهو يدعو الناس إليها، ويحذرهم من المخالفة لها، ومن مضاداتها.

روى الإمام ابن خزيمة، ابن أبي شيبة من حديث طَارِقِ الْمُحَارِبِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، جاء نحوه من حديث رَبِيعَةَ بْنِ عَبَادٍ الدَّيْلِيِّ، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند الإمام أحمد، قال طَارِقِ الْمُحَارِبِيِّ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حُمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا»^(١).

كلمة يجني العبد من ورائها الفلاح في الدنيا والآخرة: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا»، فإذا برجل خلفه يرمجه بالحجارة، فيدمي عرقوبيه وقدميه، فقلت من هذا؟ قالوا هذا بن عبد المطلب، يذكر النبوة، قال: فقلت من هذا الذي يطارده؟ والذي يقول إنه كذاب لا تصدقوه؟ قالوا هذا عمه عبد العزى وهو أبو لهب.

هكذا كان النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يدعو إلى هذه الكلمة ليلاً ونهاراً، سراً وجهاً، بأقواله وأفعاله، ويحذر مما يناقضها ومما يضادها.

(١) الصحيح المسند: (٥٢٠).

ولهذا فقد جاء عن النبي ﷺ، أنه لما سمع بمرض عمه أبي طالب، كما في الصحيحين من حديث المسيب بن حزن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: «يَا عَمُّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ...» الحديث.

سُبْحَانَ اللَّهِ كلمة قصيرة، حروفها معدودة، ولكنها تحوي معاني عظيمة، ومعاني جليلة، تكون سبباً لنجاة العبد يوم القيامة، وحجة بين يدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. «... يَا عَمُّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟»، فقال له جلسائه: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ قال فأعاد عليه ما قاله وقال يَا عَمُّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، فأعادها عليه وقال أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فكان آخر ما قال: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية.

وأنزل في شأن أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] ^(١).

وفي "الصحيحين" ^(١) من حديث عبد الله بن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ

(١) البخاري: (٣١٤١) مسلم: (١٧٥٠).

كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فترُدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»، وفي رواية :: « فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ » (٢).

فهي أعظم كلمة، ما دعا إليه الأنبياء والرسل، وأعظم ما قامت عليه دعوتهم، دعا النبي ﷺ إلى هذه الكلمة، وحذر مما يناقضها، طيلة حياته، وهكذا عند موته وهو يدعو إلى هذه الكلمة، وإلى ما تتضمنه هذه الكلمة، ويحذر مما يناقضها ﷺ.

هذه الكلمة العظيمة عباد الله، هي أحد أركان الإسلام العظيم، بل أسسه وأساسه، وأعظم دعائمه، ولهذا جاء في الصحيحين (٣) من حديث ابن عمر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ».

(١) البخاري: (١٣٩٥)، ومسلم: (١٩).

(٢) البخاري: (١٤٩٦).

(٣) البخاري: (٨) ومسلم: (١٦).

وفي صحيح الإمام مسلم، في حديث جبريل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الذي جاء عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ»^(١).

هذه الكلمة العظيمة تشتمل على الاسم الأعظم، الذي هو لفظ الجلالة، الذي إذا سئل الله **عَزَّ وَجَلَّ** به أعطى، وإذا دعي به أجاب.

ولهذا جاء عند الإمام الترمذي وأبي داود، من حديث بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْوًا أَحَدٌ»، قَالَ: فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٢).

عند الإمام ابن ماجه من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكلا الحديثين في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين". قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحَدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمُنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ: لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»^(٣).

(١) في مسلم عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي البخاري: (٥٠)، ومسلم: (٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الترمذي: (٣٤٧٥).

(٣) ابن ماجه: (٣٨٥٨).

هذه الكلمة العظيمة، لعظمها، فإنّ من قال صادقاً مع الله، ومخلصاً في قولها، فإنها تخترق السموات وتفتح لها أبوابها، حتى تصل إلى عرش الرحمن، **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

لهذا جاء عند الإمام الترمذي من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" للعلامة الألباني. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا قَالَ عَبْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَطُّ مُخْلِصًا، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى تُنْفِضَ إِلَى الْعَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ»^(١).

سبحان الله، هذا يدل على عظم هذه الكلمة، وعلى مكانتها، وعلى مزاياها، هذه الكلمة من قالها فإنها تكون سبباً في تكفير سيئاته، في ذهابها وتساقطها.

ولهذا روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، تَنْفُضُ الْخَطَايَا كَمَا تَنْفُضُ الشَّجَرَةَ وَرَقَهَا»^(٢).

وفضائلها كثيرة، ومزاياها عديدة، وهذه بعضها.



(١) الترمذي: (٣٥٩٠)، وهو في صحيح الترغيب (٢/٢٣٨).

(٢) المسند: (١٢٥٣٤).

[٢] فضائل لا إله إلا الله

[الخطبة الثانية]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ، وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: هذه الكلمة العظيمة ترتعد منها فرائص اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، ولهذا كانت من الأسباب العظيمة، التي ينصر الله **عَزَّ وَجَلَّ** بها أهلها، الذين أخذوها وعملوا بها وفهموا معناها، وابتعدوا عن نواقضها، قالوها بالستهم، ووافق ذلك ما في قلوبهم، وطبقوا ذلك في جوارحهم.

جاء في "صحيح مسلم" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ: «سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةِ جَانِبٍ مِنْهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبٍ مِنْهَا فِي الْبَحْرِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَغْزَوْهَا سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، فَإِذَا جَاءُواهَا نَزَلُوا، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ وَلَمْ يَزِمُوا بِسَهْمٍ، قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا - قَالَ ثَوْرٌ: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ - الَّذِي فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ، ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَيَمْرُجُ هُمْ، فَيَدْخُلُوهَا

فَيَغْنَمُوا، فَيَنْتَهِمُ الْمُغْنِمُ، إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ، فَقَالَ: إِنَّ الدَّجَالَ قَدْ خَرَجَ،
فَيَنْتَرِكُونَ كُلُّ شَيْءٍ وَيَرْجِعُونَ»^(١).

«مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ» وهذه اللفظة فيها خطأ كما قال الحفاظ، والصواب «حَتَّى يَغْزَوْهَا
سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ».

هذه الكلمة العظيمة من أكبر مزاياها وفضائلها، أنها من أعظم الأسباب التي بها
تعصم دماء المسلمين، وبها تحفظ أموالهم، وبها تحفظ أعراضهم.

ولهذا قال النبي ﷺ، كما في الصحيحين،^(٢) من حديث ابن مسعود
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِأَخَذِ
ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيْبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ».

وفي الصحيحين^(٣) من حديث، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،
وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ
الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

(١) مسلم: (٢٩٢٠).

(٢) البخاري: (٦٨٧٨)، ومسلم: (١٦٧٦).

(٣) البخاري: (٢٥)، ومسلم: (٢٢).

وفي صحيح الإمام مسلم، ^(١) من حديث طارق بن أشيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ».

ولما أرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في غزوة خيبر وأعطاه الراية، قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما أوجب الله عليهم.

وفي رواية لمسلم ^(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «قَاتِلُهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

جاء عند الإمام أحمد ^(٣) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْحُمْرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ فَسَارَهُ يَسْتَأْذِنُهُ فِي قَتْلِ رَجُلٍ مِنَ الْمُتَافِقِينَ، فَجَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ قَالَ الْأَنْصَارِيُّ؟ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا شَهَادَةَ لَهُ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُصَلِّي؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا صَلَاةَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي اللَّهُ عَنْهُمْ».

(١) مسلم: (٢٣).

(٢) مسلم: (٢٤٠٥).

(٣) المسند: (٢٣٦٧٠)، وهو في الصحيح المسند: (٧١١).

ومن حديث عمرو بن أوس، أَنَّ أَبَاهُ أَوْسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَخْبَرَهُ، قَالَ: إِنَّا لَقَعُودٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقْصُ عَلَيْنَا، وَيُذَكِّرُنَا، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَسَارَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَذْهَبُوا بِهِ فَاقْتُلُوهُ»، فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ، دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «هَلْ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «أَذْهَبُوا فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، حَرَّمَ عَلَيَّ دِمَاؤَهُمْ وَأَمْوَاهُمْ»^(١).

وفي الصحيحين^(٢) من حديث ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَقِيَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلًا فِي غَنِيمَةٍ لَهُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَأَخَذُوهُ فَقَتَلُوهُ وَأَخَذُوا تِلْكَ الْغَنِيمَةَ، فَتَرَكَتُ: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» [النساء: ٩٤].

(١) ابن ماجه: (٣٩٢٩)، صحيحه الألباني رحمه الله.

(٢) البخاري: (٤٥٩١)، ومسلم: (٣٠٢٥)، الحديث بطوله في مسند أحمد: عبد الله بن أبي حذرد قال: "بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى إِصْمَ، فَخَرَجْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ، وَحُلَيْمُ بْنُ جَنَامَةَ بْنِ قَيْسٍ"، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَطْنِ إِصْمَ مَرَّ بِنَا عَامِرُ الْأَشْجَعِيُّ عَلَى قَعُودٍ، لَهُ مَعَهُ مَتِيعٌ وَوُطْبٌ مِنْ لَبَنٍ، فَلَمَّا مَرَّ بِنَا، سَلَّمَ عَلَيْنَا، فَأَمْسَكْنَا عَنْهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ حُلَيْمُ بْنُ جَنَامَةَ، فَقَتَلَهُ بِسَيْفٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ وَمَتِيعَهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخْبَرْنَاهُ الْحَبْرَ، نَزَلَ فِيْنَا الْقُرْآنُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

وفي "الصحيحين" (١) عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَجَاءَ نَحْوَهُ فِي "صحيح مسلم" (٢) مِنْ حَدِيثِ جَنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ، فَطَعَنَتْهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتُهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَالَ: «أَقَتَلْتُهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا عَلَيَّ، حَتَّى تَمَيَّتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وفي "صحيح مسلم" مِنْ حَدِيثِ جَنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» (٣).

أين المسلمون من هذا الحديث؟ ما أكثر ما يسفك بعضهم دماء بعض، هذا يسفك الدماء المحرمة من أجل شبر من الأرض، وذاك يسفكها من أجل مال، وذلك من أجل المناصب والكراسي، «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟».

(١) البخاري: (٦٨٧٢)، مسلم: (٩٦).

(٢) مسلم: (٩٧).

(٣) مسلم: (٩٧).

ألم يقل النبي ﷺ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»^(١).

فهذه الكلمة العظيمة تحقن بها الدماء، وتحفظ بها الأعراض وتحفظ بها الأموال، من تلفظ بها فإنه يكف عنه حتى ينظر في أمره فيما بعد، هل يناقضها ويخالفها، هل يطبق شروطها، ويعمل بواجباتها، إذا كانت هذه بعض فضائلها، التي ينالها العباد في الدنيا من ذلك ما سمعتم، من أنها تكفر السيئات، وتحط الخطايا حطاً، كما تقدم في الأحاديث، فكيف بفضلها بعد الممات، وهذا الذي نجعل له وقفات، في الجمع القادمة، إن شاء الله تعالى.

نسأل الله جَلَّ وَعَلَا بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يجعلنا وإياكم من أهل هذه الكلمة، الذين يفهمون معناها، ويعملون بمقتضاها، ويطبقون شروطها، ويتعدون عن نواقضها، إنه على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين.



(١) البخاري: (٦٧)، مسلم: (١٦٧٩).

[٣] فضائل (لا إله إلا الله)

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَالَالَةٌ.
أَمَّا بَعْدُ:

أيها المسلمون: كان حديثنا في الجمعة الماضية، عن بعض فضائل لا إله إلا الله، وحديثنا معكم في هذا اليوم إن شاء الله تعالى، عن بعض فضائلها أيضًا، من حين الممات إلى أن يلقي العبد ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

فإن هذه الكلمة العظيمة فضلها عظيم، من فارق الدنيا وهو يقولها، فقد جاء في فضله الأحاديث الكثيرة، ومن ذلك ما جاء في "صحيح مسلم" ^(١) من حديث عثمان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ».

ولهذا جاء في صحيح مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ وَ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، النَّبِيِّ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ^(٢).

وجاء من حديث معاذ بن جبل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند الإمام الحاكم وغيره أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: قَالَ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» ^(٣).

روى الإمام أحمد من حديث حُذَيْفَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: أَسْنَدْتُ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** إِلَى صَدْرِي فَقَالَ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ. خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ^(٤).

(١) الحاكم (٢٦)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) مسلم: (٩١٧) عَنْ (٩١٦).

(٣) (١٨٤٢).

(٤) (٢٣٣٢٤).

وجاء عند الإمام "ابن ماجه" من حديث أبي هريرة و أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما،
 أنّهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ
 أَكْبَرُ، قَالَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا
 اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ
 إِلَّا اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ، وَلِي
 الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا
 إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي»^(١).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمْسَهُ النَّارُ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في "مسنده" من حديث أنس رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم
 دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَعُوذُهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا خَالُ، قُلْ:
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فَقَالَ: أَوْ خَالُ أَنَا أَوْ عَمٌّ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَا بَلْ خَالُ»، فَقَالَ
 لَهُ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»، قَالَ: خَيْرٌ لِي؟ قَالَ: «نَعَمْ»^(٣).

(١) رواه ابن ماجه: (٣٧٩٤)، وهو في الصحيح المسند برقم: (٤٣٣).

(٢) ابن ماجه: (٣٧٩٤).

(٣) أحمد (١٢٥٤٣)، وهو في الصحيح المسند برقم: (٣٧).

وجاء في "صحيح الإمام البخاري" ^(١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ». فمن فارق الدنيا وهو يقول هذه الكلمة، صار إلى خير بإذن الله **جَلَّ وَعَلَا**، ولهذا جاء من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَ ابْنِ حَبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ آخِرُ كَلِمَتِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ دَخَلَ الْجَنَّةَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ وَإِنْ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ» ^(٢).

وما أكثر من يقال لهم عند الموت: يا فلان قل لا إله إلا الله، فيعجز عن قولها ولا يستطيع، لأنه قد فرط في حياته وعمره، وسخر هذا العضو وهو اللسان في غير ذكر الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، تعود طيلة حياته على اللعن والسب والشتام، وقول الزور والخنا، وهكذا تعود على سماع الأغاني والمزامير، وغير ذلك من الباطل، فإذا قيل له عند الموت: يا فلان قل لا إله إلا الله، لا يستطيع أن يقولها، مع أنها كلمة يسيرة، وسهلة، ولكنها يسيرة على من يسرها الله **عَزَّ وَجَلَّ** له.

من الناس من يقال له: يا فلان قل لا إله إلا الله، فيتذكر الدنيا ويتذكر المال ويتذكر القصور والدور، ولا يستطيع أن يقول هذه الكلمة، وقد ذكر الإمام ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ**،

(١) البخاري: (١٣٥٦).

(٢) ابن حبان: (٣٠٠٤)، وصححه الألباني في الإرواء (١٥٠).

في "إغاثة اللهفان": أن من الناس من يقال له قل: لا إله إلا الله، وإذا به يردد بعض الأغاني التي كان يرددها في حياته، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

جاء في الصحيحين^(١) من حديث المسيب بن حزن **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ بَنَ هِشَامٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لِأَبِي طَالِبٍ: «يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرَعْبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَمَّا وَاللَّهِ لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

عمه أبو طالب الذي كان يدافع عنه والذي كان يحميه، والذي كان يدفع عنه أذى المشركين، عصبية وحمية، ولكنه ما دخل في الإسلام.

(١) البخاري: (١٣٦٠). مسلم: (٢٤).

«يَا عَمَّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، هذه الكلمة اليسيرة التي ألفاظها معدودة، «كَلِمَةٌ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»: أذكرها لك حجة عند الله يوم القيامة، وكان بجانبه جلساء السوء، فقالوا له: (أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟).

(وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، أخذته الحمية الجاهلية، والعصية العمياء، ولهذا قال في صحيح مسلم ^(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَوْ لَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزْعُ لَأَقْرَزْتُ بِهَا عَيْنَكَ).

هذه الكلمة العظيمة، تنفع قائلها وهو مجندل بين الصخور، وتحت التراب وفي تلك الحفرة المظلمة، إن كان من أهلها، ومن كان يرددها في حياته، ويفهم معناها، ويعمل بها، ولهذا فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قُرْعَ نِعَالِهِمْ، أَنَاهُ مَلَكَانِ فِيَقْعِدَانِهِ، فِيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فِيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فِيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا».

قَالَ: «وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فِيَقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فِيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فِيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَكَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمِطَارِقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرُ الثَّقَلَيْنِ» ^(٢).

(١) مسلم: (٢٥).

(٢) البخاري: (١٣٧٤)، أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي رواية : فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فمن ثبت على هذه الكلمة، في الحياة الدنيا ثبته الله عند سؤال الملكين، وأما في عرصات يوم القيامة، وعند لقاء الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، فما أعظم هذه الكلمة، وما أعظم مكانتها، وما أكرم أهلها، وما أعظمهم في منزلة عالية ورفيعة، فهي تحط الخطايا.

قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** «إِنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، تَنْفُضُ الْخَطَايَا كَمَا تَنْفُضُ الشَّجَرَةَ وَرَقَهَا»، رواه الإمام أحمد ^(١) من حديث أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

وتقدم قول الإمام البخاري ^(٢) عند قول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿قَوْمٌ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣]، قال: وَقَالَ عِدَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَوْمٌ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ عَنْ قَوْلٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. اهـ.

فمن أجلها يعذب العباد ومن أجلها ينعمون، وعليها يسألون، من قام بها وأجاب إليها وطبقها وعمل بمقتضاها، ومن أعرض عنها وناقضها وكفر بها.

وهكذا جاء عن أبي سلمى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، عند "ابن أبي عاصم" و "الحاكم" ^(٣)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «بَخٍ بَخٍ بِخُمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللهُ أَكْبَرُ وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ فَيَحْتَسِبُهُ»، ما أثقلهن في الميزان.

(١) المسند: (١٢٥٣٤)، صححه الألباني في الصحيحة: (٣١٦٨).

(٢) عند الحديث رقم: (٢٦).

(٣) ابن أبي عاصم في "السنن" (٧٨١)، والمستدرک: (١٨٨٥)، وهو في الصحيح المسند: (١٢٢٩).

بل جاء عند الإمام "الترمذي" ^(١) والإمام "ابن ماجه"، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بسند صحيح، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟" فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِلِقَاءِ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ"، قَالَ: «فَتَوْضَعُ السَّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السَّجِلَّاتُ وَثِقَلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ».

انظر ما أعظم هذه الكلمة، في عرصات القيامة، لمن كان من أهلها، إن هذه الكلمة العظيمة إذا قالها البعد تغرس له بها الغراس في الجنة الكثيرة، فهي من أعظم الأسباب في دخول الجنة، وفي نيل رضى رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونيل رحمته.

ولهذا جاء من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند "الحاكم" ^(٢)، أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا، فَقَالَ: «مَا تَصْنَعُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قَالَ: أَغْرِسُ غَرْسًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غَرْسٍ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ؟» قُلْتُ: مَا

(١) الترمذي: (٢٦٣٩)، وابن ماجه: (٤٣٠٠)، وهو في الصحيح المسند: (٧٨٧).

(٢) المستدرک: (١٨٨٧)، ورواه ابن ماجه: (٣٨٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب:

هُوَ؟ قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ يُغْرَسُ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ».

وروى الإمام الحاكم في "مستدرك" ^(١)، من حديث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ».

فكيف إذا قالها ليلاً ونهاراً، وإذا قالها سفراً وحضراً، وإذا قالها صحة ومرضا.

بل جاء في الصحيحين من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» ^(٢).

وقال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما في الصحيحين ^(٣) من حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وجاء عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند ابن حبان ^(٤) بسند صحيح، قال: بعثني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «ناد في الناس من قال: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة».

(١) المستدرك: (١٨٨٨) والترمذي: (٣٤٦٤)، وصححه الألباني.

(٢) البخاري: (٣٤٣٥)، ومسلم: (٢٨).

(٣) البخاري: (٥٨٢٧)، مسلم: (٩٤).

(٤) ابن حبان: (١٥١)، وهو في السلسلة الصحيحة: (١١٣٥).

وجاء من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الإمام أحمد ^(١)، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعِيَ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِي فَقَالَ: «أَبَشِّرُوا وَبَشِّرُوا مَنْ وَرَاءَكُمْ، أَنَّهُ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ صَادِقًا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

إذا فهي من أعظم الأسباب التي يدخل بها العباد جنة عرضها السموات والأرض، وبها ينجيهم الله عَزَّ وَجَلَّ من العذاب الأليم، من ناره من تلك الجحيم، نسأل الله السلامة والعافية.



(١) المسند: (١٩٥٩٧)، وهو في السلسلة الصحيحة: (٧١٢).

[٣] تابع فضائل (لا إله إلا الله)

[الخطبة الثانية]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ، وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: هذه الكلمة العظيمة، فضائلها كثيرة جدا، ومزاياها عظيمة جدا، لا يستطيع العبد أن يحصرها في مقام واحد، وإنما هذه نبذ ومواقع.

ومن أعظم ما يناله أهل هذه الشهادة، الذين قالوها بألسنتهم، واعتقدوها بقلوبهم، وطبقوها بجوارحهم، عملوا بمقتضاها وفهموا معناها، أنهم وإن حصل لهم من التمحيص، فإن مآلهم إلى الجنة، وإن هذه الكلمة سبب عظيم لنجاتهم، وشفاعة رسول الله ﷺ لهم، فإن الشفاعة من رسول الله ﷺ ليست لأهل الشرك، ولا لأهل الكفر، قال الله تعالى: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨]، وقال الله سبحانه: ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ [المدثر: ٤٨].

وإنما يشفع لعمه أبي طالب بمجرد التخفيف، وهو لا يزال في نار جهنم، وأما أهل الإيمان وأصحاب هذه الكلمة، فإن رسول الله ﷺ يشفع لهم.

ولهذا جاء في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الإمام "الترمذي" ^(١): عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي».

جاء في "صحيح البخاري" ^(٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ».

وجاء في صحيح البخاري ومسلم ^(٣)، من طريق معبد بن هلال العنزي، قَالَ: اجْتَمَعَنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فَذَهَبْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَذَهَبْنَا مَعَنَا بَنَاتُ الْبَنَانِيِّ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَإِذَا هُوَ فِي قَصْرِهِ فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَّا، فَأَذِنَ لَنَا وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى فِرَاشِهِ، فَقُلْنَا لِنَايِبٍ: لَا تَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ أَوَّلَ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ جَاءُوكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ.

فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ

(١) الترمذي: (٢٤٣٥)، وأبو داود: (٤٧٣٩)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٤٩).

(٢) البخاري: (٦٥٧٠).

(٣) البخاري: (٧٥١٠) ومسلم: (١٩٣) واللفظ للبخاري.

كَلِيمُ اللَّهِ، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا هَا، فَاسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مُحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمْتِي أُمْتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَانْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمْتِي أُمْتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - أَوْ خَرْدَلَةٍ - مِنْ إِيْمَانٍ فَأَخْرِجْهُ.

فَانْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمْتِي أُمْتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَذْنَى أَذْنَى مِثْقَالِ حَبَّةٍ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَانْطَلِقُ فَأَفْعَلُ .

.. قَالَ: « ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمُحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ازْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزِّي وَجَلَالِي، وَكِبَرِيَّائِي وَعَظَمَتِي لِأَخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ».

وفي حديث آخر له . أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . في الصحيحين، وجاء في مسلم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي

قَلْبِهِ وَزَنُّ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُّ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزَنُّ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»^(١)

فانظروا معاشر المؤمنين، ما أكرم الله، كيف يكرم أهل التوحيد، ويكرم أهل الإيمان، ومن يقول هذه الكلمة، ويعمل بمقتضاها، ويفهم معناها، ويطبق شروطها، ويتبعد عن نواقضها، يكرمه الله عَزَّ وَجَلَّ في الدنيا، ويكرمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الآخرة، وأما الذين كفروا وأعرضوا عنها، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

نسأل الله جَلَّ وَعَلَا بمنه وكرمه وجوده أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، والحمد لله رب العالمين.



(١) البخاري: (٧٥١٠)، ومسلم: (٤٧٨)، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحديث جابر في مسلم: (٤٧٢) في الشفاعة بمعنى ذلك.

[٤] شروط لا إله إلا الله

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ.

أيها المسلمون عباد الله: كان حديثنا معكم في جمع ماضية، عن معنى لا إله إلا الله وعن بعض أوصافها، وعن فضائلها وعن مواضعها في الذكر، وحديثنا معكم في هذا اليوم إن شاء الله تعالى عن شروط هذا الكلمة العظيمة، فإن أهل العلم نظروا في كتاب

الله عَزَّ وَجَلَّ، وفي سنة نبيه ﷺ فوجدوا أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى جعل لهذه الكلمة شروطا عظيمة، من حقق هذه الشروط حقق هذه الكلمة كما أراد الله عَزَّ وَجَلَّ، ومن فقد هذه الشروط فقد هذه الكلمة.

هذه الشروط جعلها بعض أهل العلم سبعة شروط، وبعضهم زاد ثامنا، وبعضهم زاد تاسعا.

قال الإمام الحكيمة رَحِمَهُ اللهُ :

وَبِشْرُوطٍ سَبْعَةٍ قَدْ قِيَدَتْ	وَفِي نُصُوصِ الْوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ
فَإِنَّهُ لَمْ يَتَفَرِّغْ قَائِلُهَا	بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا
الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ وَالْقَبُولُ	وَالْإِنْقِيَادُ فَادِرِ مَا أَقُولُ
وَالصَّدْقُ وَالْإِحْلَاصُ وَالْمَحَبَّةُ	وَفَقَّكَ اللهُ لِمَا أَحَبَّهُ

وزاد بعضهم ثامن وهو الكفر بالطاغوت، وزاد بعضهم التاسع وهو النطق لهذه الكلمة.

هذه الكلمة يشترط لها هذه الشروط، التي سمعتموها.

الشرط الأول: نطقها باللسان، فإنها لا تقبل من أحد لا ينطق بها ويقولها، ولهذا جاءت الأدلة الكثيرة عن النبي ﷺ أنه قال: « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فمن شروطها النطق بها.

الشرط الثاني: العلم بهذه الكلمة، وبمعناها نفيا وإثباتا، وبمقتضاها ولهذا قال الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [محمد: ١٩]،

وقال الله **عَزَّ وَجَلَّ** أيضا في كتابه الكريم: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
[الزخرف: ٨٦].

قال أهل التفسير: أي: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، وهو يعلم بقلبه ما نطق
بلسانه.

وفي صحيح "صحيح مسلم" ^(١) من حديث عُثْمَانَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ».

الشرط الثالث: من شروط لا إله إلا الله: اليقين المنافي للشك والتشكك، والتردد،
فإن هذا من شروط هذه الكلمة، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ
الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ
يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]

وجاء عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، في صحيح مسلم ^(٢) من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**،
قال: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا
دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وفي رواية: «لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ».

(١) تقدم.

(٢) مسلم: (٢٧).

وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، قَالَ : «اذْهَبْ بِنَعْلِيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَقِيمًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» ^(١).

الشرط الرابع: القبول لها، وعدم الترك والإعراض، وقد ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه عن المشركين، يوم أن دعاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى هذه الكلمة، وقال لهم يا أيها الناس : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فلم يقبلوا هذه الكلمة، بل ردوها فرفضوها وأعرضوا عنها.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥]، وهكذا يقول الله عَزَّ وَجَلَّ عنهم أنهم قالوا : ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤]، ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وفي "الصحيحين" من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى، وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أُمَسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّهَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فُقِيَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي

اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثُلَ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»^(١).

ومن شروط هذه الكلمة أيضا عباد الله، الانقياد لها ظاهرا وباطنا، في الأقوال والأفعال، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٥]، وقال **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ويقول **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، أي خذوا الإسلام من جميع جوانبه، وانقادوا لشرع الله ظاهرا وباطنا.

ويقول الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢]، قال أهل التفسير: من يسلم وجهه لله، أي ينقاد لأمر الله **عَزَّ وَجَلَّ**، «وهو محسن»: أي موحد، ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٢٢]: أي بلا إله إلا الله.

ومن شروط هذه الكلمة، الصدق، أن يكون قلبه موافقا للسانه، ومواطئا لها، صادقا في حملها، وفهم معناها، والابتعاد عما يناقضها، ولهذا فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** كذب المنافقين، وفضحهم وبين عوارهم، يوم أن نطقت ألسنتهم بهذه الكلمة، وخالفتهم قلوبهم، ولم يكونوا صادقين، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) رواه البخاري: (٧٩)، مسلم: (٢٢٨٢).

وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٨﴾
[البقرة: ٩٨].

ويقول الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿الم * أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

ويقول الله **جَلَّ وَعَلَا** أيضا في كتابه الكريم: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٢١]، ويقول **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

فهذه الكلمة العظيمة تحتاج من العبد إلى صدق مع الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

جاء في الصحيحين من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»^(١).

ومن شروط هذه الكلمة، بل من أعظم شروطها؛ الإخلاص لله **جَلَّ وَعَلَا**، وتصفية العمل بصلاح النية من شوائب الشرك وما يتبع ذلك، والصدق مع الله **جَلَّ وَعَلَا**، وابتغاء الأجر عنده سبحانه، قال الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]، ويقول الله **جَلَّ**

(١) البخاري: (١٢٨)، مسلم: (٣٢).

وَعَلَا : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢]، وقال سبحانه عن نبيه: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١٢].

الإخلاص لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في هذه الكلمة، وفي غيرها من سائر العبادات، من أعظم الشروط التي لا يقبل الله عَزَّ وَجَلَّ من أحد عملاً إلا بذلك، ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

جاء أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في "صحيح البخاري" (١)، فقال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ».

وفي الصحيحين من حديث عِثْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ» (٢). وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الترمذي، وجاء عن غيره، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قَالَ عَبْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَطُّ مُخْلِصًا، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى الْعَرْشِ، مَا اجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ» (٣).

(١) "صحيح البخاري" (٦٥٧٠).

(٢) البخاري: (٤٢٥) ومسلم: (٣٣).

(٣) الترمذي: (٣٥٩٠)، وصححه الألباني.

فما أخرجنا عباد الله إلى تطبيق هذه الشروط، والتي سمعتموها، حتى تقبل هذه الكلمة، ولقد ردّ الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم على من خالف هذه الشروط في مواضع عديدة، وفي آيات كثيرة، فلا بدّ من تحقيقها، والله المستعان.



[٤] شروط لا إله إلا الله

[الخطبة الثانية]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ، وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

فيا أيها المسلمون: من شروط هذه الكلمة كما تقدم وذكر ذلك الإمام الحكمي **رَحِمَهُ اللَّهُ**، المحبة، محبة هذه الكلمة ومحبة أهلها، وبغض من أبغضها ومن عاداها، والولاء والبراء من أجل دين الله **عَزَّ وَجَلَّ**، هذا من شروط هذه الكلمة، لهذا قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ويقول **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

المحبة في الله **عَزَّ وَجَلَّ**، والبغض من أجل الله **عَزَّ وَجَلَّ**، هذا من شروط هذه الكلمة، ولهذا حصل الفراق بين أهل الإيثار والكفر، وبين أهل التوحيد والشرك، وحصل القتل والقتال وحصلت الفرقة.

ويقول النبي ﷺ: «وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَقَ بَيْنَ النَّاسِ»^(١)، ففترق العرب منهم من تبع هذه الكلمة، وكان من أهلها، ومنهم من أعرض عنها، فحصلت العداوات، بل وحصل القتل والقتال، وسفكت الدماء، من أجل هذه الكلمة، بل ربما كان الرجل يجد أخاه في بعض المعارك، ويجد قريبه فيقاتله، ولا يمنعه ذلك أنه من قرابته، محبة لهذه الكلمة، وبغضا لمن أبغضها ولمن عاداها.

قال النبي ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»^(٢).

وفي مسند "الإمام أحمد" ^(٣)، من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ».

وفي الصحيحين ^(٤) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»، وذكر منهم: «وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ».

(١) البخاري: (٧٢٨١).

(٢) البخاري: (٤٦)، مسلم: (٤٣).

(٣) المسند: (١٨٥٢٤)، صحيحه الألباني.

(٤) البخاري: (٦٦٠)، مسلم: (١٠٣١).

وفي الصحيحين^(١) من حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**».

إذاً هذا من شروط هذه الكلمة، محبتها، ومحبة ما تدعو إليه هذه الكلمة، وبغض من أبغضها، وابتعاد عنها، ونقضها، الولاء والبراء الذي دعا إليه ربنا **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** في كتابه الكريم، وهكذا نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في سنته "الصحيحة"، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وهكذا من شروط هذه الكلمة وهو آخر ما ذكره في هذه المقام الكفر بالطاغوت، إنَّ رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لما جاء يدعو هذه الأمة، بل ويدعو الناس كافة إلى تحقيق هذه الكلمة العظيمة، وهي لا إله إلا الله، حذرهم مما يناقضها، وحذرهم مما يخالفها من عبادة الأوثان والطواغيت، والشرك بالله **جَلَّ وَعَلَا**، فإنه لا يجتمع للعبد توحيد الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وعبادة غير الله **جَلَّ وَعَلَا**.

هذا الذي حمل المشركين على رفضها، وعلى ردها، يوم أن حثهم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى هدم الأصنام، وإلى تحطيمها، وإلى إفراد الله **عَزَّ وَجَلَّ** بالعبودية، قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

(١) البخاري: (١٤)، ومسلم: (٤٤).

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقيد الله في هذه الآية الكفر بالطاغوت، لأنه لا يتأتى للعبد توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، إلا إذا خلا قلبه من عبادة غير الله جَلَّ وَعَلَا، وصفى من الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ، ولهذا يقول أهل العلم: لا بد من التخلية والتحلية، تخلية القلوب من عبادة غير الله عَزَّ وَجَلَّ، وتحليتها بعبادته عَزَّ وَجَلَّ، وبالإيمان به سبحانه، و ما حصل من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدعوة بالأقوال والأفعال، واللسان والسيف السنان إلى هذه الكلمة، إلا لنفي تلك المعبودات، وإبعاد الناس عنها، وحثهم على عبادة الله جَلَّ وَعَلَا. روى الإمام مسلم في "صحيحه" ^(١) من حديث طارق بن أشيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالَهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ».

ولما جاء أهل الطائفة في العام التاسع، في عام الوفود، إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعرض عليهم الإسلام، فدخلوا في الإسلام، واشتروا شروطاً، من تلك الشروط؛ أن تبقى في بلادهم تلك الطاغية، التي تعبد من دون الله عَزَّ وَجَلَّ وهي اللات، فأبى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورفض هذا الشرط، لأنه يناقض الإسلام من أصله، ويناقض التوحيد من أساسه، فأرسل إليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ معاوية بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة فهدما هذا الصنم.

إذاً فمن شروط هذه الكلمة؛ الكفر بالطاغوت، الكفر بما يعبد من دون الله **تَبَارَكَ** و**تَعَالَى**، فمن حقق هذه الشروط التسعة، أو الثمانية أو السبعة، فقد حقق هذه الكلمة، كما أراد الله **تَبَارَكَ** و**تَعَالَى**، وما ذكرنا في هذا المقام عباد الله، إلا تنف ورؤوس أقلام من أدلة الكتاب والسنة، عن هذه الشروط العظيمة، وقد ذكرها وشرحها العلامة الحكي **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "معارض القبول في شرح سلم الوصول إلى توحيد الرسول"، وهكذا غيره من أهل العلم.

فنسأل الله **جَلَّ** و**عَلَا** أن يجعلنا وإياكم ممن يحقق شروط هذه الكلمة العظيمة، ومن يفهم معناها، ويعمل بمقتضاها، ويعظم عنده فضلها، ويكون من أهلها، ممن يكونوا من الناجين بإذن الله **تَبَارَكَ** و**تَعَالَى**، في يوم لا ينفع فيه إلا توحيد الله **تَبَارَكَ** و**تَعَالَى**، وعبادته **تَبَارَكَ** و**تَعَالَى**، والحمد لله رب العالمين.



[٥] مواضع لا إله إلا الله

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أيها المسلمون: لا زلنا معكم في فضائل لا إله إلا الله، وما جعل الله في هذه الكلمة من الخير والبركة، والثواب العظيم، وما جعل الله عَزَّ وَجَلَّ لأهلها من الدرجات العلى الإكرام عنده تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وموضوعنا في هذا اليوم إن شاء الله تعالى عن مواضع هذه الكلمة في باب العبادات والأذكار.

جاء عند الترمذي وهكذا ابن ماجه من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ» ^(١) صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وجاء عند الإمام "الطبراني" من حديث عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعند الإمام "الترمذي" من حديث عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ^(٢). حسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وجاء في "صحيح الإمام مسلم" ^(٣) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ».

وجاء في فضلها أحاديث كثيرة، في قولها مطلقا، ولهذا جاء في "صحيح الإمام مسلم" من حديث أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «يُضْبِحُ عَلَى كُلِّ

(١) الترمذي: (٣٣٨٣) وابن ماجه (٣٨٠٠).

(٢) الطبراني في الدعاء، والترمذي: (٣٥٨٥).

(٣) مسلم: (٢٦٩٥).

سَلَامِي مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى» ^(١).

وجاء من حديث الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الإمام ابن "ابن ماجة"، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ يَنْعَظُنْ حَوْلَ الْعَرْشِ، هُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيٍّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟» ^(٢)، صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومن حديث البراءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الإمام "أحمد"، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ مَنَحَ مَنَحَةً وَرَقِي، أَوْ مَنَحَةً لَبَنٍ، أَوْ هَدَى زُقَاقًا فَهُوَ كَعِتَاقٍ نَسَمَةٍ. وَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَهُوَ كَعِتَاقٍ نَسَمَةٍ» ^(٣).

وفي "صحيح الإمام مسلم" من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ أَعرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: عَلَّمَنِي كَلَامًا أَقُولُهُ، قَالَ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا

(١) مسلم: (٧٢٠) ونحوه في البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ابن ماجة: (٣٨٠٩).

(٣) أحمد: (١٨٥١٦).

حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ»، قَالَ: فَهَؤُلَاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي»^(١).

هذه الكلمة العظيمة، لها مواضع عديدة، ومن ذلك أنها تقال في كل خطبة حاجة، كما جاء ذلك في "صحيح الإمام مسلم" من حديث ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ ضِمَادًا، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنْوَاءَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَزْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مِنْ شَاءٍ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ»^(٢).

وجاء في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: عَلَّمَنَا خُطْبَةَ الْحَاجَةِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ، نُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ، فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ، فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»^(٣).

(١) مسلم: (٢٦٩٦).

(٢) مسلم: (٨٦٨).

(٣) المسند: (٣٧٢٠)، وللألباني رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة في خطبة الحاجة.

هذه الكلمة العظيمة من قام من الليل فزعا وأصابه الأرق، لم يأتِه النوم، يقول هذه الكلمة العظيمة، فيحصل له الخير العظيم.

جاء في "صحيح البخاري" من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ» (١).

بل إذا قام العبد من النوم في صباحه وعند مسائه يقول هذه الكلمة العظيمة، كما جاء ذلك في أحاديث كثيرة.

في "الصحيحين" مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَنُحِيتَ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِزْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمِيتَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ» (٢).

وجاء عن النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) البخاري: (١١٥٤).

(٢) البخاري: (٣٢٩٣)، ومسلم: (٢٦٩١).

اللَّهُ، وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» قَالَ: أَرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ». وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ»^(١).
رواه الإمام مسلم.

وجاء عند الإمام النسائي مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْتُ أَتُنِي عَلَيْكَ حَمْدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثَلَاثًا، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»^(٢).

وجاء عند الإمام الترمذي وغيره مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِشَيْءٍ أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ؟ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «قُلْ: اللَّهُمَّ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهِ، قَالَ: قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»^(٣).

وفي "سنن الترمذي" ^(٤) مِنْ حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى سَيِّدِ الْإِسْتِغْفَارِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا

(١) مسلم: (٢٧٢٣).

(٢) أخرجه النسائي (١٠٣٣١)، وهو في الصحيح المسند: (١٣٠٤).

(٣) الترمذي: (٣٣٩٢).

(٤) الترمذي: (٣٣٩٣)، والحديث في البخاري قريب من هذا برقم: (٦٣٠٦).

عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، وَأَبُوءُ لَكَ
بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَعْتَرِفُ بِذُنُوبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، لَا يَقُولُهَا
أَحَدُكُمْ حِينَ يُنْسِي فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدَرٌ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَلَا يَقُولُهَا حِينَ
يُصْبِحُ فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدَرٌ قَبْلَ أَنْ يُنْسِيَ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ».

هذه الكلمة يقولها المسلم إذا قام من نومه، وإذا أراد أن ينام، بل يقولها إذا توضأ
وأراد أن يصلي، وانتهى من وضوئه.

فقد جاء في صحيح الإمام "مسلم" ^(١) مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:
كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبِي فَرَوَّحْتُهَا بِعِشْيٍ فَأَذْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَذْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ
وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» قَالَ
فَقُلْتُ: مَا أَجُودَ هَذِهِ فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَيَّ يَقُولُ: الَّتِي قَبْلَهَا أَجُودُ فَتَنْظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ:
إِنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آتِفًا، قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُكَلِّمُ - أَوْ فَيُسَبِّحُ - الْوُضُوءَ ثُمَّ
يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ
الْمُتَمَنِّيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ».

وهكذا إذا أراد أن يذهب إلى الصلاة، فإذن المؤذن، يقول هذه الكلمة، عند أن تردد
الآذان، كما جاء ذلك عن جماعة من الصحابة، ومنهم سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في

"صحيح الإمام مسلم" ^(١)، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ».

وفي "صحيح الإمام مسلم" ^(٢)، مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغَيِّرُ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ، وَكَانَ يَسْتَمِعُ الْأَذَانَ، فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا أَمْسَكَ وَإِلَّا أَغَارَ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى الْفِطْرَةِ»، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ» فَنَظَرُوا فَإِذَا هُوَ رَاعِي مِعْرَى.

وفي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي "ابن ماجه" وغيره، حين رأى في المنام، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَخْضَرَانِ يَحْمِلُ نَاقُوسًا، فَقُلْتُ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ تَبِيعُ النَّاقُوسَ؟ قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ قُلْتُ: أَنَادِي بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ تَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ^(٣).

(١) مسلم: (٣٨٦).

(٢) مسلم: (٣٨٢).

(٣) ابن ماجه: (٧٠٦).

فإذا أراد المسلم أن يستفتح في صلاته، يقول هذه الكلمة العظيمة، ففي "الصحيحين" ^(١) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ: لَا إِلَهَ غَيْرُكَ».

وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في "صحيح الإمام مسلم"، أَنَّ النَّبِيَّ عليه الصلاة والسلام كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذُنُوبِي، فَاعْفُرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي إِلَى خَيْرِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي

(١) البخاري: (١١٢٠)، مسلم: (٧٦٩).

سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لِيَبْكَ وَسَعْدِيكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(١).

وهكذا إذا كان في صلاته، ووصل إلى موضع التشهد، فإنه يشرع له أن يقول هذه الكلمة العظيمة.

ففي صحيح "البخاري و مسلم" ^(٢) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبُهُ إِلَيْهِ، فَيَدْعُو».

وإذا انتهى من صلاته كان يقول هذه الكلمة العظيمة.

جاء مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ،

(١) مسلم: (٧٧١).

(٢) مسلم: (٤٠٢)، البخاري: (٨٣٥).

فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ: تَمَامُ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(١). رواه مسلم.

وفي "صحيح مسلم" مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النُّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» وَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُهَلِّلُ مِنْ دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ»^(٢).

وهكذا كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول هذه الكلمة العظيمة إذا صعد على الصفا، إذا كان في مناسك الحج والعمرة، كما جاء في صحيح مسلم مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: «مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمُرْوَةِ»^(٣).

و كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول هذه الكلمة عند أن يحصل له شيء من الفزع.

(١) مسلم: (٥٩٧).

(٢) مسلم: (٥٩٤).

(٣) مسلم: (١٢١٨).

ففي الصحيحين مِنْ حَدِيثِ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَرِعَا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَذَمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ»، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ» ^(١).

وفي صحيح البخاري مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّيْلَةُ مِنَ الْفِتْنَةِ، مَاذَا أَنْزَلَ مِنَ الْخَزَائِنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ، كَمْ مِنْ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» ^(٢).

بل كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يقول ذلك عند الكرب كما في الصحيحين عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» ^(٣).

وما أكثر مواضع هذه الكلمة يدل كذلك على فضلها وعلى مكانتها، ولهذا جعلت في مواضع كثيرة وفي عبادات متعددة، وغير ذلك كثير.

(١) البخاري: (٣٣٤٦) مسلم: (٢٨٨٠).

(٢) البخاري: (٥٨٤٤).

(٣) البخاري: (٦٣٤٥) مسلم: (٢٧٣٠).

[٥] مواضع لا إله إلا الله

[الخطبة الثانية]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ، وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: مواضع هذه الكلمة كثيرة، ومنها أن النبي ﷺ، إذا كان في سفر وصعد بعض المرتفعات، كان يقول هذه الكلمة كما في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرْفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، أَيُّونَ تَأْتِيُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدُهُ، وَنَصَرَ عَبْدُهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» (١).

هكذا كان النبي ﷺ، يقول هذه الكلمة ومن ذلك أيضاً، ما جاء في "الصحيحين" (٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ

(١) البخاري: (١٧٩٧) مسلم: (١٣٤٢).

(٢) البخاري: (٤٨٦٠)، مسلم: (١٦٤٧).

حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلْفِهِ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى، فَلْيُقْل: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ لَأَنَّهُ عَظَّمَ غَيْرَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

ومن مواضعها أيضاً، أنها تقال لمن دخل السوق، فقد روى الإمام الترمذي في "جامعه"، و"ابن ماجه" في سننه، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بسند حسنه العلامة الألباني، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ دَخَلَ السُّوقَ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَحَمَّا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَرَفَعَ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ»^(١).

وهذه الكلمة العظيمة، من جلس مجلساً فحصل فيه شيء من اللغو وشيء من الكلام الذي ربما يقع فيه بالإثم، فإنه يقول هذه الكلمة في آخر مجلسه تكون كفارة لذلك المجلس.

فقد جاء عند الإمام "أحمد"، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وعند "الإمام النسائي" بسند صحيح، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا أَوْ صَلَّى تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكَلِمَاتِ، فَقَالَ: «إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٢).

(١) الترمذي (٣٤٢٨).

(٢) أحمد (٢٤٤٨٦)، والنسائي (١٣٤٤).

فانظر إلى عظمة هذه الكلمة ومواضعها كثيرة، وإنما هذا ما ذكرناه في هذا الموضوع ولهذا الموضوع بقية.

فنسأل الله **جَلَّ وَعَلَا** بمنه وكرمه وجوده وإحسانه، أن يجعلنا من أهل هذه الكلمة الذين يقولونها بألسنتهم ويعتقدونها في قلوبهم ويعملون بمقتضاها بجوارحهم، ويتعدون عن نواقضها إنه على كل شيء قدير.

والحمد لله رب العالمين.



[٦] التوحيد

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَةٌ.

أيها المسلمون عباد الله: اعلموا أن الله خلق العباد جميعاً، من إنس و جن لعبادته، وإقامة توحيده، وطاعته **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولهذا قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ
ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿[الذاريات: ٥٦-٥٨].

تكفل الله بأرزاق العباد، وكتب آجالهم وأعمارهم، وأمرهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بطاعته وعبادته، وإقامة دينه وتوحيده، ونهاهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عن أن يشركوا به شيئاً، وأن يعبدوا غيره، وأن يشكروا غيره **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فمن العباد من قام بهذا الحق العظيم، وأدى ما أوجب عليه ربه **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، ومنهم من ضيع هذه العبادة، وعاش في غفلة وإعراض، وجعل يتنقل بين السيئات والمخالفات، والأوزار، والموفق من وفقه الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وسدده وأخذ على يديه إلى بر الأمان، وإلى الصراط المستقيم.

أيها المؤمنون عباد الله: إن الله **عَزَّ وَجَلَّ** ما أوجدنا في هذه الدنيا هملاً، ولا خلقنا عبثاً، وإنما خلقنا لهذه الحكمة العظيمة، وهذه العباد الجليلة، قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**:
﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ [الملك: ١-٢].

فالله **عَزَّ وَجَلَّ** ما خلقك عبثاً ولا هملاً، وإنما خلق الله العباد ليختبرهم ويبتليهم، وينظر أيهم يصلح في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وأيهم يقوم في عبادته، وأيهم يكون مفسداً معرضاً، ليعلم الله **عَزَّ وَجَلَّ** المفسدين من المصلحين، والمؤمنين من الكافرين، والأتقياء من الأشقياء.

فإياك أيها المسلم أن تذهب عليك حياتك، وأن ينقضي عمرك، وأن تفارق الدنيا وأنت في غفلة عن عبادة الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، حاسب نفسك قبل أن تحاسب، وانظر فيما قدمت يداك، وفتش عن إيامك الماضية، وعن سنينك الخالية، أهى في ميزان الحسنات

أم هي في ميزان السيئات؟ انظر أين أنت من شكر نعم الله **عَزَّ وَجَلَّ** عليك، رزقك الله **عَزَّ وَجَلَّ** النعم الكثيرة، ووهبك المنح العظيمة.

لو قلبت في بدنك وجسدك، لرأيت نعمًا كثيرة، منحك الله **عَزَّ وَجَلَّ** إياها، حرم منها كثير من العباد، إذا أعطاك الله سمعا فغيرك قد سلبت منه هذه النعمة، إذا أعطاك الله بصرا، فغيره قد ذهب بصره، إذا كنت تتقلب في الصحة والعافية، فمن الناس من يتقلب في فراش المرض، لا يستطيع حراكا، ولا يستطيع أن يقوم بما تقوم به.

أعطاك الله **عَزَّ وَجَلَّ** سمعا بصرا عقلا، ومنحك المال والولد، وأعطاك النعم الكثيرة، فأين شكر النعم التي أعطاك الله إياها: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٣-٥٥].

لو خرت من ساعتك ساجدا إلى أن يقبض ملك الموت روحك، ما كان ذلك بشكر نعمة من نعم الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

لو نظرنا فيما نعيش في وسطه، من نعمة الليل والنهار، التي منحنا الله **جَلَّ وَعَلَا** إياها، لو ذهبَت هذه النعمة من الذي يأتينا بها: قال الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ

بَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ [القصص: ٧١-٧٣].

لو جعل الله الدهر كله نهارا ، أو جعله كله ليلا، كيف يعيش العباد، وكيف يظعنون، وكيف يقيمون، وكيف يزاولون أعمالهم، فأين شكر نعم الله **جَلَّ وَعَلَا**، قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمُعْرِضُونَ * بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَاحًا لِلْمُقْوِينَ ﴾ [الواقعة: ٦٣-٧٣].

فأين شكر نعم الله **جَلَّ وَعَلَا**، وأين مراقبته سبحانه، في السر والعلن، في الأقوال والأفعال، في الحركات والسكنات، أو ما علمت عبد الله، أن الأقوال مزبورة، وأن الأفعال مسطورة: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

ما تلفظ من قول، وما تعمل من عمل إلا قيد عليك، فوجدته في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، قال الله **جَلَّ وَعَلَا** عن إبراهيم **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أنه قال: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٧-٨٩].

أين الخوف من الله **جَلَّ وَعَلَا**؟ أين مراقبته، أين شكر نعمه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، كم مضى من عمرك يا عبد الله؟ كم ذهب عليك من الليالي والأيام؟ كم ضاعت من الساعات؟ كم وقعت فيما يغضب الله **جَلَّ وَعَلَا**؟

راجع حسابك، فإن الموت آتيك لا محالة، وأنت لا تدري متى الساعة، متى ساعته، متى نقلته، متى رحيله من هذه الدنيا، إلى الآخرة، ثم الله **جَلَّ وَعَلَا** الموعد والوقوف بين يديه سبحانه، فيسألنا عن الصغير والكبير، وعن النقيير والقطمير، وعن الأقوال والأفعال: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمَلَ فِيمَا عَلِمَ» ^(١). هكذا يقول نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

وفي تلك اللحظات لا تتحرك يمنة ولا يسرى، حتى تفاجأ بهذه الأسئلة، فأين إجابتها؟ وأين الإعداد لها؟ فالفضيحة كل الفضيحة، لمن لقي الله **جَلَّ وَعَلَا** وقد فرط في دينه، وتعدى حدوده، فملئت صحائفه أوزارا، وسودت بالخطايا والمخالفات، نشرت له تلك السجلات، وفتحت تلك الكتب، فرأى فيها ما كان يعمل في الدنيا.

ما أسرع ما ننسى أيها المسلمون، ما أسرع ما نغفل عن ذنوبنا ومعاصينا، نعصي الله **جَلَّ وَعَلَا** بالليل، فنسأها بالنهار، ونعصيه في النهار فنسى ذلك في الليل، والله **جَلَّ وَعَلَا** يقول في كتابه الكريم: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * من اهتدى فإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿[الإسراء: ١٣-١٥].

(١) الترمذي: (٢٤١٦) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

ويقول **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ* هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
[الجاثية: ٢٨-٢٩].

فتش عن نفسك يا عبد الله انظر في خطاياك، إياك أعني يا من تسمع، وتنظر إلي، إياك أن تجعل خطبة الجمعة، وحضورك لها عادة من العادات، ينبغي أن نستفيد من كلام الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ومن كلام رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، إن الله **عَزَّ وَجَلَّ** ذكر الأشقياء المجرمين، أنه يوم أن نشرت صحائفهم ونظروا في طياتها، جعلوا يولولون ويصيحون ويندمون، ويكون لكن في موضع لا ينفع فيه الندم، ولا يقبل فيه البكاء، ولا ينفع فيه المال ولا الجاه ولا السلطان: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

كم ستغالط في هذا الدنيا؟ تغالط نفسك، تغالط جيرانك، تغالط زملاءك، تغالط أبناءك، تغالط زوجتك، لكن ستفصح بين يدي الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، في ذلك اليوم العظيم، الذي يفصح فيه من يفصح، ويخسر من يخسر، ويفلح فيه من يفلح.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، لا تستطيع أن تخبئ شيئاً، ولا أن تستر شيئاً مما عملت في الدنيا، لماذا لا نتدارك أنفسنا، ونقبل على طاعة ربنا، ما أكثر الغفلة، في أوساط أهل الإسلام، فضلاً عن غيرهم، فمساجدهم في صلاة الجماعة لا يكادون يجتمعون إلا في يوم الجمعة.

أين أنتم أيها الحاضرون في صلاة الفجر في هذا اليوم؟ هل صلينا صلاة الفجر في جماعة؟ التي قال فيها النبي ﷺ: «أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة»، رواه أبو نعيم في "الحلية" من حديث ابن عمر رضى الله عنه، والبيهقي في "الشعب"، وحسنه العلامة الألباني (١).

أين أنت من صلاة الفجر؟ هل ستصلي صلاة العصر في جماعة؟ لماذا هذه الغفلة.

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ التَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتَوْنَ السَّحَرِ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١-٣].

اعلم رحمك الله: أنك إلى الله عَزَّ وَجَلَّ راجع ، وأنك بين يديه سبحانه موقوف، وأنك مسؤول عن أعمالك، وعن أقوالك صغيرها وكبيرها، فهل أعددت لذلك المقام جواباً؟ هل أعددت لذلك المقام أعمالاً؟ هل أعددت لذلك المقام طاعات؟

قال النبي ﷺ: «مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيَكْلَمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» (٢).

كم تحفظ من القرآن؟ كم تحفظ من سنة النبي ﷺ؟ هل تعلمت توحيد الله جَلَّ وَعَلَا؟ أين أنت من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أين أنت من

(١) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٧/ ٢٠٧) السلسلة الصحيحة: (١٥٦٦).

(٢) البخاري: (٧٥١٢)، مسلم: (١٠١٦)، عن عدي بن حاتم رضى الله عنه.

الصدقات؟ أين أنت من الإحسان إلى الجيران؟ أين أنت من بر الوالدين؟ أين أنت من التسبيح والتحميد؟ أين أنت من قيام الليل وصيام النهار؟ أين أنت من طاعة الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**؟

إلى متى ونحن غارقون في غفلتنا، وإعراضنا عن ربنا ومقبلون على شهوات الدنيا، وملذاتها؟ أو ما نؤمن باليوم الآخر، الذي هو ركن من أركان الإيمان؟ أو ما نحن مؤمنون أن الموت سيأتينا في لحظة لا ندركها، ولا نعلمها ولا ندري متى هي؟

فلماذا الغفلة، ولماذا لا نعد العدة للقاء الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، والله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول في كتابه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].



[٦] التوحيد

[الخطبة الثانية]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ، وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يا أيها المسلمون: إن الذي يضيع حياته وعمره في غير طاعة الله **عَزَّ وَجَلَّ**، يندم ندامة عظيمة، ويخسر خسارة كبرى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

يلقى الله **عَزَّ وَجَلَّ** وهو فارغ من الطاعات والحسنات، فيتمنى أن يجد شيئاً من أعماله الصالحة، ولكنه لا يلقي إلا الأعمال السيئة: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١].

وقال **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

فعليك عبدالله أن ترجع إلى الله **جَلَّ وَعَلَا**، وأن تقبل على دينه، فإنه لا ينفعك مالك، ولا ينفعك جاهك، ولا تنفعك عشيرتك، ولا أبنائك، ولا قبيلتك.

فقد أخبر الله **جَلَّ وَعَلَا** أن المفرطين والمعرضين يتبرءون من أقرب الناس إليهم، إذا عاينوا عذاب الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوْدُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه﴾

يتخلّى عن أهله وأبنائه، وزوجته وعشيرته، وعن أهل الأرض جميعاً لينجو من عذاب الله **جَلَّ وَعَلَا**، قال الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى * نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المعارج: ١٥-١٨].

أيها المسلمون: عباد الله، أعمارنا قصيرة، وسنونها محدودة، وأيامها محدودة، فمن قضى هذا العمر في طاعة الله **عَزَّ وَجَلَّ** فهنيئاً له، ومن ذهب عليه هذا العمر فلتة، في غير طاعة الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** فالويل له، عمرك لا يتكرر عليك، ولا يعود لك مرة أخرى، إذا فارقت الدنيا، كم عساك أن تعمّر فيها؟ عشرين سنة، ثلاثين سنة، سبعين سنة، مائة سنة؟

قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: عَنْ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السَّتِينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقْلَهُهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ»^(١) رواه الترمذي، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وأصله في البخاري.

أين آبؤنا، أين أجدادنا، أين الملوك الذين مضوا والذين جمعوا من الدنيا ما جمعوا، ذهبوا رحلوا، انتقلوا.

إياك أن يضيع عليك هذا العمر في باطل، قَصَّ حياك في طاعة الله، وبالعمل بالحق والدعوة إليه، وفي اعتقاده، وفي العمل به، قبل أن تكون من الخاسرين الذين قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** عنهم وهم يتباكون في النار، ويتمنون الموت فيها، ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧-٧٨].

(١) أخرجه الترمذي: (٣٥٥٠)، من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

انظر أين أنت من الحق؟ أنت ممن يقبل الحق، ويدعو إلى الحق، ويستجيب للحق، ويعمل بالحق، أم أنت ممن ييغض الحق وأهله، ويعرض عنه، ويتعد عنه.

﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٨]، ثم يحصل لهم ما يحصل من العذاب الأليم، والعقوبة الشديدة، يستجدون لا ينجدهم أحد، يستغيثون لا يغثهم أحد، وتنفعهم أموالهم ولا جاههم ولا سلطانهم، قال الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهٗ * وَلَمْ أَدْر مَا حِسَابِيهٗ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهٗ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهٗ * خُدُوهُ فَعُلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ [الحاقة: ٢٦-٣٤].

فالرجوع الرجوع إلى الله **جَلَّ وَعَلَا**، والإقبال الإقبال، إياك أن تسوف التوبة، فيها نحن نشاهد الموت يتخطى الرقاب، يمته ويسرى، ذاك يموت بمرض، وذاك يموت بسكتة قلبية، وذاك يقتل لا يدرى من قتله، وذاك تنقلب به سيارته، وذاك يحصل له ويحصل، الموت يتخطى الرقاب، اليوم تحمل غيرك، وغدا أنت المحمول، فأعد العدة، وراقب الله **جَلَّ وَعَلَا**، وأقبل على طاعته، واستدرك ما دمت في دار العمل، قبل أن تكون في دار الجزاء، نسال الله **جَلَّ وَعَلَا** بمنه وكرمه، وجوده وإحسانه، أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، إنه على كل شيء قدير والحمد لله رب العالمين .



[٧] لا حول ولا قوة إلا بالله

[الخطبة الأولى]

إِن الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدْيِ، هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
 آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ،
 وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها المسلمون عباد الله، إن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَاذْكُرْ
 رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا
 تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، فالله عَزَّ وَجَلَّ يأمر عباده: بأن يُحافظوا على
 ذكره وشكره وحسن عبادته، ومما رغب الله عَزَّ وَجَلَّ فيه وحث عليه: الإكثار من
 ذكر الله سبحانه وتعالى، وحذر ربُّنا جل في علاه من أن يغفل العباد عن ذكر الله
 تبارك وتعالى، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا
 أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]،
 فبين الله عَزَّ وَجَلَّ أن الخسارة كل الخسارة فيمن أعرض عن ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ
 وانشغل بمعصية الله سبحانه وتعالى، وهكذا بين في آيات كثيرة: أن السعادة كل
 السعادة في الإقبال على طاعة الله وعلى ذكره سبحانه وتعالى.

أيها المؤمنون عباد الله، لقد شرع الله عَزَّ وَجَلَّ لنا من الألفاظ العديدة
 والجمل المفيدة في باب ذكر الله سبحانه وتعالى، في الليل والنهار، والسفر
 والحضر، والسراء والضراء، والشدة والرخاء، وما أكثر أنواع الأذكار التي
 شرعها الله عَزَّ وَجَلَّ للعباد، وما أحسن تلك الألفاظ وما أجملها؛ ولهذا فأنى ذاكر
 في هذا المقام ذكراً من الأذكار وجملَةً من الجُمُلِ الطيبة التي رغب نبينا

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فيها، وبين فضائلها، ومكانتها، ومواضعها، وثمارها الدنيوية، وثمارها الآخروية، هذه الجملة وهذا الذكر هو قوله: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، التي معناها كما قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" والنووي في شرح "صحيح مسلم" وشيخ الإسلام في "العقيدة الواسطية": أن معنى هذه الجملة: أنه لا حيلة للعبد أن يتحول عن معصية الله إلى طاعته، ولا قوة له في الثبات على دين الله تبارك وتعالى إلا بالله سبحانه وتعالى، فهي كلمة اعتراف، وكلمة استسلام، وكلمة انقياد لله تبارك وتعالى، وأن العبد لا يملك من الأمر شيئاً، فلا يستطيع جلب نفع ولا دفع ضرر إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى.

وقد نبه شيخ الإسلام في كتابه "الاستقامة" وفي "الفتاوى الكبرى" على ما يُخطئ به كثير من الناس فيجعلون هذه الكلمة مكان الاسترجاع وهي كلمة استعانة ليست بكلمة استرجاع، إنما هي كلمة استعانة بالله تبارك وتعالى، فإذا أصاب أحدهم مصيبة بدلاً من أن يقول: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، يقول: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، وهذا غلط؛ لأن هذه الكلمة كلمة استعانة ليست باسترجاع، وإنما الاسترجاع: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ».

هذه الكلمة العظيمة التي تدل على أن العبد الذي يقوها بصدق وإخلاص يتجرد من قوته وإرادته، ويظهر فقره وضعفه وحاجته إلى ربه تبارك وتعالى، قد شرع لنا نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن نقوها في مواطن كثيرة:

ومن تلك المواطن: ما جاء من حديث أبي هريرة وذكره العلامة الألباني في "السلسلة الصحيحة": أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»، إذا جلس واضطجع على فراشه وأوكل أمره إلى الله وقال هذا الدعاء العظيم الذي فيه هذه الكلمة: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، بل لو قالها مطلقاً فقد جاء من حديث عبد الله بن عمرو عند الإمام أبي داود وابن ماجه وغيرهما: أن النبي ﷺ قال: «مَا عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»، صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

فإذا نام الرجل وتقلب على فراشه وذهب عنه النوم وأصابه شيء من القلق، قد روى البخاري في "صحيحه" من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتَجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ».

وهكذا إذا قام لصلاة الليل، فقد كان النبي ﷺ يستفتح صلاة الليل بدعاء عظيم ويختتمه بهذه الكلمة العظيمة: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، ففي "الصحيحين" من حديث عبد الله بن عباس، واللفظ للبخاري: أن النبي ﷺ كان إذا قام يتهجّد من الليل يستفتح فيقول: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَتَّبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ - أَوْ: لَا إِلَهَ غَيْرُكَ -»، قَالَ سُفْيَانُ: وَزَادَ عَبْدُ الْكَرِيمِ أَبُو أُمَيَّةَ: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، فيختتم هذا الاستفتاح، وهذا التعظيم، وهذا التمجيد، وهذا التقديس لله تبارك وتعالى بهذه الكلمة العظيمة.

وهكذا إذا سَمِعَ المؤذن، ففي صحيح الإمام مسلم من حديث عمر، وجاء في "السنن" من حديث معاوية: أن النبي ﷺ قال: «إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ: أَشْهَدُ

أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، اعتراف لله سبحانه وتعالى، لا يستطيع أن يقوم إلى الصلاة إلا بالله، ولا يكون من أهل الفلاح إلا بالله، اعتراف وذل وخضوع بين يدي الله، قال: «قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

بل ومن ذلك عباد الله: أن من عجز أن يقرأ شيئاً من القرآن في صلاته فله أن يقول دعاءً ومنه هذه الكلمة العظيمة، فقد روى الإمام أبو داود والترمذي: من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وحسنه العلامة الألباني قال: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخَذَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا فَعَلَّمَنِي مَا يُجْزئُنِي مِنْهُ، قَالَ: «قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»، يقولها مكان الفاتحة، قال أهل العلم: على صحة هذا الحديث إنما هو لمن عجز عن حفظ الفاتحة وقراءتها، وخشي أن يخرج وقت الصلاة كمن يُسلم من أهل العجم فيخشي أن تفوت عليه الصلاة، وإلا فإنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»؛ لعظم هذا الدعاء جُعِلَ مكان الفاتحة ومكان القرآن في صلاة من لم يستطيع يقرأ شيئاً: «قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

هذه الكلمة العظيمة تُقال في أشدِّ المواقف وفي أحلكها وأصعبها، فقد جاء في "مسند الإمام أحمد" و"سنن النسائي": من حديث صهيب بن سنان وهو

حديث صحيح صححه الإمامان: الألباني والوادعي: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّى هَمَسَ شَيْئًا وَلَا يُخْبِرُنَا بِهِ، قَالَ: «أَفْطَنْتُمْ لِي» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «ذَكَرْتُ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُعْطِيَ جُنُودًا مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ: مَنْ يُكَافِي هَؤُلَاءِ أَمْ يَقُومُ لَهُمْ؟» قَالَ سُلَيْمَانُ كَلِمَةً شَبِيهَةً بِهَذِهِ فَقِيلَ لَهُ: اخْتَرْ لِقَوْمِكَ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: بَيْنَ أَنْ أَبْسُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، أَوْ الْجُوعَ، أَوْ الْمَوْتَ، فَقَالُوا: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ كُلُّ ذَلِكَ إِلَيْكَ، فَخَرْنَا، فَقَالَ فِي صَلَاتِهِ، وَكَانُوا إِذَا فَرَعُوا فَرَعُوا إِلَى الصَّلَاةِ، فَقَالَ: أَمَّا عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ فَلَا، وَأَمَّا الْجُوعُ فَلَا، وَلَكِنَّ الْمَوْتَ، فَسُلِّطَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَمَاتَ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَالَّذِي تَرَوْنَ أَنِّي أَقُولُ: رَبِّي بِكَ أَقَاتِلْ، وَبِكَ أَصَاوِلْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، هذا في بعض الغزوات كان يقولها النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ اعتمادًا على الله وتوكلًا عليه سبحانه وتعالى: «رَبِّي بِكَ أَقَاتِلْ، وَبِكَ أَصَاوِلْ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

يا أيها الناس: هذه الكلمة كلمة عظيمة؛ ولهذا جاء هذا في فضائلها، وحث عليها نبينا ﷺ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ورغب فيها، فقد جاء في صحيح الإمام مسلم: من حديث سعد بن أبي وقاص، وعند الإمام أحمد واللفظ له، وجاء عن عبد الله بن أبي أوفى عند أحمد أيضًا: : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ اخْتِذَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، فَعَلَّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي، قَالَ: «قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا لِي؟ قَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي»، ثُمَّ أَدْبَرَ وَهُوَ مُمَسِّكٌ كَفِّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا هَذَا، فَقَدْ مَلَأَ يَدَيْهِ مِنْ

الحُيْرُ»، وأي خير أعظم من هذا يوم أن يُعلق المرء قلبه بالله، ويتوكل على الله ويعتمد عليه، ويتضرع بين يديه سبحانه وتعالى.



[٧] لا حول ولا قوة إلا بالله

[الخطبة الثانية]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فضائل هذه الكلمة كثيرة، وإنما هذه بعضها، هذه الكلمة من علامات حسن الخاتمة لمن حافظ عليها ولمن قالها، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يُصدقُه سبحانه وتعالى، فقد جاء من حديث أبي هريرة ومن حديث أبي سعيد عن الإمام أحمد، وصححه الألباني وهو في "الصحيح المُسند"، قال: قال النبي ﷺ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ، وَلِي الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي»، قَالَ: «مَنْ رَزَقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمْسَهُ النَّارُ»، وهذا يدل على فضل هذه الكلمات، ومنها: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

يا أيها الناس، هذه الكلمة كما أخبر النبي ﷺ على آله وصحبه وسلم هي من غراس الجنة، فقد جاء من حديث أبي أيوب عند الإمام أحمد، والحديث في صحيح الترغيب والترهيب، قال: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ: مَنْ مَعَكَ يَا جَبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ أَمَّتَكَ يُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ تَرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ، وَأَرْضُهَا وَاسِعَةٌ. قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، وجاء الحديث عند أبي الدنيا من حديث عبد الله بن عمر وزاد فيه: «قَالَ وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

هذه الكلمة العظيمة من الأسباب الكثيرة التي يحفظ الله عز وجل بها العبد أينما خرج، وأينما ذهب، وأينما حل وارتحل، فقد جاء عند الإمام أبي داود: من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسند صحيحه العلامة الألباني، قال: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيَ، وَكُفِيَ، وَوُقِيَ، فَتَتَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانُ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟»، إذا فهي من أسباب حفظ الله عز وجل للعبد؛ لأنه أينما دخل، وأينما خرج، وأينما نام، وأينما استيقظ، وأينما قام إلى العبادة ذكر الله سبحانه وتعالى بها إذا انتهى من صلاته يقول هذا الدعاء العظيم ويكرر هذه العبارة الجليلة، ففي صحيح الإمام مسلم: من حديث عبد الله بن الزبير: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الشَّانُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» وَقَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُهَلِّلُ مِنْ دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ».

يا أيها الناس: إن هذه الكلمة جعلها النبي ﷺ وبين أنها من كنوز الجنة، ومن أبواب الجنة، ومن تحت عرش الرحمن سبحانه وتعالى، فقد جاء في الصحيحين عن أبي موسى، وعند الترمذي عن أبي هريرة، وعند الإمام أحمد عن معاذ بن جبل، وعند ابن ماجه من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»، وفي رواية: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، وجاء من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال: أَنَّ أَبَاهُ دَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُخَدِّمُهُ، قَالَ: فَمَرَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ صَلَّيْتُ فَضَرَبَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؟» قُلْتُ: بَلَى؟ قَالَ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، وجاء بهذا اللفظ في صحيح الترغيب والترهيب عن معاذ بن جبل، وهكذا جاء عن خارجة فقال: «يَا خَارِجَةُ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، وفي حديث أبي ذر، قال: «كَنْزٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ؟»، إذا فهي من كنوز الجنة، ومن غراس الجنة، ومما يكرم الله عَزَّ وَجَلَّ به عباده، قرن الله هذه الكلمة بتلك الأربع الكلمات التي هي أفضل الذكر والتي هي أحب الذكر

إلى الله سبحانه وتعالى: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»،
 فقرنت هذه الكلمة: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، بتلك الكلمات، وفضائلها كثير.
 فانظروا يا عباد الله ما أعظم ذكر الله سبحانه وتعالى لمن حافظ عليه وتفكر
 في معناه وعمل بمقتضاه: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، لا حيلة لنا ولا قوة عندنا
 إلا من الله سبحانه وتعالى، فلا يستطيع العبد أن يُقدم ولا أن يؤخر إلا بإرادة الله
 سبحانه وتعالى، فلا يجلب لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضرراً إلا بإرادة الله، فإذا كان
 العبد كذلك قاده ذلك إلى التذلل والتعبد والانقياد والاستسلام لله تبارك وتعالى.
 إذا كان هذا في حديث واحد فكيف بغيره من الأذكار والأحاديث.

وفق الله الجميع لما يُحب ويرضى، والحمد لله رب العالمين.



[٨] عظمة الله

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أيها المسلمون عباد الله: جاء في البخاري ومسلم ^(١) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَوْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْرُثُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ، تَصَدِّيقًا لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

هذا الخبر وإن كان يعلم ذلك مما قرأه في الكتب الماضية، إلا أنه أراد أن يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سؤال ليس بسؤال مستفيد ولا متعلم، وإنما سؤال متعنت، فذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآية لبيان عظمة الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن من أنكر ذلك لم يعظم الله حقَّ تعظيمه.

يا أيها الناس: إنَّ تعظيم الله عَزَّ وَجَلَّ أمر جليل، وعمل قلبي لا يقوم إيمان العبد إلا عليه، ولقد كانت العظمة من صفات الله عَزَّ وَجَلَّ الذاتية، التي ثبتت في الكتاب والسنة وأجمع عليها علماء الأمة.

و(العظيم) من أسمائه عَزَّ وَجَلَّ، ولهذا قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٣].

(١) البخاري: (٤٨١١)، ومسلم: (٢٧٨٦).

وقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كما في الصحيحين ^(١) من حديث ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** في دعاء الكرب. يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ».

فهو من أسمائه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ومن صفاته **عَزَّ وَجَلَّ** العظمة، ولهذا معاشر المؤمنين بين الله **عَزَّ وَجَلَّ** في كتابه الكريم عن نوح **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أنه أنكر على قومه الكافرين عدم تعظيمهم لرب العالمين وأنه ما حملهم على كفرهم إلا ذهاب التعظيم من قلوبهم. قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٣].

لماذا لا تعظمون الله في قلوبكم؟ ولا توقرونه في نفوسكم؟ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، بعد هذه النعم والآلاء، وهذا الإكرام من الله **عَزَّ وَجَلَّ** ثم أنتم لا تعظمون الله، ولقد كان نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قد ترك لأُمته وأصحابه أولا دروسا عظيمة في بيان تعظيم الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** في النفوس.

ولهذا جاء عند الإمام أحمد ^(٢) صححه العلامة الألباني من حديث ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى الْمِنْبَرِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ

(١) البخاري: (٦٣٤٥) ومسلم: (٢٧٣٠).

(٢) أحمد (٥٤١٤)، وفي صحيح الجامع (٨٠٠٩).

وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [الزمر: ٦٧]، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ هَكَذَا بِيَدِهِ، وَيُحَرِّكُهَا، يَقْبَلُ بِهَا وَيُدْبِرُ: «يُمَجِّدُ الرَّبُّ نَفْسَهُ: أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْكَرِيمُ» فَجَفَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرُ حَتَّى قُلْنَا: لَيْخَرَنَّ بِهِ.

وفي "الصحيحين" ^(١) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِمِمينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ».

أيها المؤمنون عباد الله: من أراد أن يعظم الله حق تعظيمه، فعليه أن يتفكر في آلائه الجسيمة وفي مخلوقاته العظيمة، وفي آياته الكونية التي خلقها الله عَزَّ وَجَلَّ، وينظر في عظمها، إذا كان هذا في شأن المخلوق، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي ليس له مثل ولا نظير، ولا كفاء وند ولا شبيه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» [الشورى: ١١].

ولهذا يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ثم ذكر آيات ثم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى آية أخرى: ﴿وَكَايْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

وجاء عند الإمام الطبراني ^(٢) وحسنه الألباني من حديث ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَّهِ، وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ»، أي في نعم الله، في آياته الكونية، في مخلوقاته.

(١) البخاري: (٤٨١٢) ومسلم: (٢٧٨٧).

(٢) (٦٣١٩)، والسلسلة الصحيحة: (١٧٨٨).

أيها المؤمنون عباد الله: من تلك المخلوقات العظيمة، التي من تفكر فيها انبعث فيه تعظيم الله، الكرسي، الذي ذكر في كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** وفي سنة رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، والذي سميت تلك الآية به، وهي آية الكرسي، والتي هي أعظم آية في كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** لما حوت من تعظيم الله، ومن تمجيد الله، ومن تقديس الله، **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لأبي بن كعب: «يَا أَبَا الْمُثَنِّرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُثَنِّرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُثَنِّرِ»^(١).

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

جاء عند الإمام ابن أبي شيبة من حديث أبي ذرٍّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** بسند صحيحه العلامة الألباني^(٢) قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي، كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة».

(١) مسلم: (٨١٠)، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) رواه محمد بن أبي شيبة في "كتاب العرش" (١١٤ / ١)، انظر الصحيحة: (١٠٩).

انظر الفرق الشاسع والبون الكبير، حلقة صغيرة تلقى في فلاة، هذه السموات السبع بكمالها وبطباقتها واتساعها ليست مقابل الكرسي إلا كهذه الحلقة التي تلقى في فلاة من الأرض.

قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة». ومع ذلك هناك خلق أكبر من هذا الكرسي، الذي هو العرش الذي هو أعلى المخلوقات، وأعظم المخلوقات، وأكبر المخلوقات، الذي قال ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** كما عند الحاكم في "المستدرک" ^(١)، موقوف وله حكم الرفع، قَالَ: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ».

إذا كان هذا الكرسي مقابل السموات والأرض، فكيف بالعرش، ولهذا قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وهو يُعَلِّمُ بعض النساء أن تقول في أذكارها: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِينَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» ^(٢).

قال أهل العلم لعظم العرش، ولأنه أكبر المخلوقات، «وَزِينَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ». هذه المخلوقات العظيمة، من الذي خلقها؟ من الذي أوجدها؟ من الذي جعلها في هذه العظمة والمكانة؟ إنه الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

(١) المستدرک: (٣١١٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) رواه مسلم، عَنْ جُوَيْرِيَةَ (٢٧٢٦)،.

وهكذا ملائكة الله، ملائكة الرحمن الذين خلقهم الله **عَزَّ وَجَلَّ** من نور، الذين جعلهم واصطفاهم لطاعته وعبادته: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]، ملائكة الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

جاء عند الإمام أحمد وابن ماجه من حديث أبي ذرٍّ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ السَّمَاءَ أَطُتْ، وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَبْطَأَ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ، تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ»، وَاللَّهُ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْصَدُ ^(١).

هذه السموات تثط يصير لها صوت، من شدة ما تحمل من الملائكة، وما فيها من هذه المخلوقات، ملائكة الرحمن التي قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، في حديث الإسراء: «فَإِذَا بِإِبْرَاهِيمَ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ» ^(٢).

قال أهل التفسير، أي لا يعودون مرة أخرى، بل يأتي غيرهم في كل يوم سبعون ألف ملك يدخلون في البيت المعمور، في الشهر الواحد أكثر من اثنين مليون ملك من ملائكة الرحمن الذين يدخلون البيت المعمور.

(١) انظر البخاري: (٤١٩٠)، والحديث عند الترمذي: (٥٥٦)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب: (٣٣٨٠).

(٢) الإمام مسلم برقم (١٦٢).

جاء في الصحيحين من حديث عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «أَنَّهُ رَأَى جِرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ» ^(١).

وَعَنْ مُسْرُوقٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَأَيْنَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٨-٩]، قَالَتْ: «ذَلِكَ جِرِيلُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ الْمَرَّةُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ الْأَفْقُ» ^(٢).

وفي حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند الإمام أبي داود وهو حديث صحيح، في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين"، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعُمِائَةِ عَامٍ» ^(٣).

وجاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما عند الطبراني ^(٤)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ عَنْ مَلَكٍ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ السَّابِعَةَ وَالْعَرْشُ عَلَى مِنْكَبِهِ وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ أَيُّنَ أَنْتَ أَوْ حَيْثُ تَكُونُ».

وفي رواية ^(٥): «وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا فَرَدَّ عَلَيْهِ: مَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا»، الذي يرتكب معصية الله عَزَّ وَجَلَّ ما عظم الله حق تعظيمه، «مَا يَعْلَمُ

(١) البخاري: (٤٨٥٦)، ومسلم: (٢٨٢).

(٢) البخاري: (٣٢٣٥).

(٣) أبو داود: (٤٧٢٧)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) وهو في صحيح الترغيب (١٨٣٩).

(٥) الأوسط للطبراني: (٧٣٢٤).

ذَلِكَ مِنْ حَلْفٍ بِي كَاذِبًا»، ما يعلم عظمتي، ما يعلم جبروتي، ما يعلم ما ذكره الله عَزَّ وَجَلَّ من صفاته العظيمة، ما يعلم ذلك من عصى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أيها المؤمنون عباد الله: ومن ذلك أيضا ما جعل الله عَزَّ وَجَلَّ بهذه السموات والأرض، وسائر المخلوقات، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

ويقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٨-٤٠].

تفكر في هذه المخلوقات العظيمة، الشمس والقمر، مع شدتها وشدة حرارتها وسعتها وعظمتها، ومع ذلك تسير في نظام قدره الله، في نظام معلوم موزون، لا تتقدم ولا تتأخر، وهذا القمر الذي يكبر شيئا فشيئا، حتى يكتمل ثم يعود حتى يصير كالعرجون القديم، لا يتقدم الشمس ولا هي تتقدمه، وكل في فلك يسبحون.

أين تعظيم الله جَلَّ وَعَلَا؟ من تفكر في هذه المخلوقات العظيمة انبعث في نفسه تعظيم الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الموجد لها من العدم، الخالق لها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



[٨] عظمة الله

[الخطبة الثانية]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ، وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٢]، أين الذين يتفكرون في هذه المخلوقات العظيمة، ويقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** أيضا: ﴿ فِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١].

لو أن المرء تفكر في نفسه وَخَلَقَتِهِ، وما جعل الله **عَزَّ وَجَلَّ** فيه من الحكم العظيمة، والنعم الجزيلة، والآلاء العديدة، لحمله ذلك على تعظيم الله، وإقامة شعائر الله، واتباع ما جاء عن نبي الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ولهذا لما ذكر الله **عَزَّ وَجَلَّ** عباده النعم، كان يذكر في سورة الرحمن، بعد كل آية ونعمة: ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ...]، وفي آخرها يبين عظمتها، وقال: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨].

لو تفكرت أيها المؤمن ما جعل الله من الليل والنهار، في هاتين الآيتين العظيمتين، أين المتفكرون فيهما، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ

فِيهِ أَفْلا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿[القصص: ٧١-٧٣].

أين المتفكرون في نعم الله وآلائه، لو جعل الله **جَلَّ وَعَلَا** الدهر كله ليلاً أو جعله نهراً، كيف يعيش العباد، كيف يعملون؟ متى ينامون، كيف يظعنون ويسافرون، كيف يكون حالهم ومعاشهم؟ ولكن هذا كله بتقدير العزيز العليم، وتسخير ملك السموات والأرض.

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠]، ويقول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالْخُلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ٦٠-١١].

الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يعدد على عباد هذه النعم لعلهم يتفكرون، لعلهم يذكرون، لعل ذلك يحملهم على تعظيم الله، تعظيم كتاب الله، وتعظيم شرع الله، والابتعاد عما حرم الله، **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

فعظموا الله عباد الله، عظموا شرع الله، عظموا دين الله، واعلموا أن الله **عَزَّ وَجَلَّ** ما خلقنا وإياكم عبثاً، ولا أوجدنا هملاً، وإنما خلقنا لهذه الغاية العظيمة، ولهذا الحكمة النبيلة، وهي تعظيمه وإقامة دينه وتوحيده في أرضه.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه والحمد لله.



[٩] منزلة التوكل

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلّٰهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللّٰهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّمَا تَوَعَّدُونَ لَا تَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

أيها المؤمنون عباد الله، كنا قد تحدثنا في جمع مضت عن بعض منازل إياك نعبد وإياك نستعين، وها نحن في هذا اليوم نتحدث عن منزلة عظيمة من منازل إياك نعبد وإياك نستعين، التي قال عنها ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تعالى: هي أوسع منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

هذه المنزلة هي منزلة التوكل على الله جَلَّ وَعَلَا، قال رَحِمَهُ اللهُ: التَّوَكَّلْ نِصْفُ الدِّينِ. وَالنِّصْفُ الثَّانِي الْإِنَابَةُ، فَإِنَّ الدِّينَ اسْتِعَانَةٌ وَعِبَادَةٌ، فَالتَّوَكَّلْ هُوَ الْإِسْتِعَانَةُ، وَالْإِنَابَةُ هِيَ الْعِبَادَةُ. (١)

التوكل على الله جَلَّ وَعَلَا كما قال ابن القيم وغيره، هو صدق الاعتماد على الله عَزَّ وَجَلَّ، في جلب المنافع ودفع المضار، مع الأخذ بالأسباب التي أذن الله عَزَّ وَجَلَّ بها شرعا، وكم جاءت من الأدلة الكثيرة، في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وفي سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التي فيها الأمر بهذه العبادة، وبيان أهميتها وعظمتها، فإنها عبادة تعتبر من أعمال القلوب، وهي شرط في الإيمان بالله جَلَّ وَعَلَا.

ولهذا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، أي إن كنتم مؤمنين فعلى الله توكّلوا، فهي شرط في الإيمان، وهي شرط في الإسلام، هذه العبادة العظيمة، وَقَالَ تعالى لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

وقد جاء مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيْفَ أَنْعُمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ التَّقَمَ الْقَرْنُ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ»، فَكَانَ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ هُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا»^(١).

فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَمَرَ بِهذه العبادة، ونبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بها، هذه العبادة العظيمة لها ركنان عظيمان من التعريف مأخوذان:

الركن الأول: صدق الاعتماد على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والركن الثاني: العمل بالأسباب المأذون بها شرعاً.

فلا توكّل إلا بهذين الركنين، ولا يصح إلا بهما.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ خَيْرَ مَنْ قَامَ بِهذه العبادة، وأداها كما أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَهُمْ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَرُسُلُهُ، الَّذِينَ بَلَّغُوا الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْإِعْتِمَادِ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَفِي التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ فِي السَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ، وَالشَّدَةِ وَالرَّخَاءِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ خُنْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ

وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَتَصْصِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١١﴾ [إبراهيم: ١١-١٢].

وهذا إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الذي واجه تلك الأمة بمفرده وهو يدعوهم إلى توحيد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ويحذرهم من الشرك به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فوقفوا له صفا واحدا، ووضعوا له العقبات والعراقيل، وصدوه عن السبيل، بل أجمعوا على قتله وإبادته وإحراقه، فنصره الله جَلَّ وَعَلَا، وقوى عزيمته، لأنه عليه متوكل، وبه معتصم، وعليه معتمد.

قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣]، قال الله جَلَّ وَعَلَا عن إبراهيم أنه قال: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [المتحنة: ٤].

تخلى عنه القريب والبعيد، فلم يشني ولم يتأرجح، بل زاد إيمانا وثباتا وصدقا، قال الله جَلَّ وَعَلَا عن إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

جاء في صحيح الإمام البخاريّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، «قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»^(١).

وأنت تصور هذا المشهد، وقد اجتمع الناس كلهم، وجمعوا الحطب، وأضرموا تلك النيران، فلم يكتفوا بإضرارها، بل جعلوا عليها حائطا وسورا، حتى لا يهرب إبراهيم

ولا ينجو من تلك النار: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فلما رأى حشدهم ولما رأى جمعهم، تذكر أن الله معه، وأن الله مؤيده، وأن الله ناصره، فقال: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»، أي هو الذي يكفيننا، ونعم من نوكل إليه أمورنا، فأنقذه الله ونصره: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٩-٧٠]، «قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، حِينَ قَالُوا: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] (١).

لما أراد إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يترك أهله وولده في وادي القرى، في مكة في ذلك المكان الذي ليس فيه زرع ولا ماء، وليس فيه أنيس ولا جليس، وضع امرأته وولدها، ووضع معها جرابا من تمر وشيئا من الماء، كما في صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثُمَّ قَفَىٰ إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرَكُنَا هَذَا الْوَادِي، الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: أَلَلَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذْنٌ لَا يُضَيِّعُنَا» (٢).

هكذا المتوكلون على الله جَلَّ وَعَلَا من أنبياء الله ورسله، ومن كان إليهم من الصالحين.

(١) البخاري: (٤٥٦٣).

(٢) البخاري: (٣٣٦٤).

أيها المؤمنون، عباد الله: وهذا نوح **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، دعا قومه ومكث فيهم يدعوهم إلى الله **جَلَّ وَعَلَا**، ألف سنة إلا خمسين عاماً، دعاهم سرّاً وجهاراً، دعاهم بقوله وفعله، صبر وصابر، فأعرضوا وعاندوا، وحاربوه وشددوا، وابتعدوا عما جاء به، **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وأجمعوا على المكر به.

قال الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١].

هكذا يبين الله **عَزَّ وَجَلَّ** أن نوحاً اعتمد على الله فنجاه الله، وتوكل على الله **جَلَّ وَعَلَا** فثبته الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**.

وهذا يعقوب **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، لما ذهب ابنه الذي كان يحبه، والذي كان يقربه ويدنيه، والذي كان يحله، لما علم منهم مما أكرمه الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، فتأمر عليه إخوته، فذهب من نظره ومن عنده، ثم تبعه بأخيه، قال يعقوب **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** حين أرسل أبناءه للبحث عنهما: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

وهو في تلك الحالة وقد ذهب أبناؤه، وفقد بصره لكنه معتمد على ربه **جَلَّ وَعَلَا**، فحصل له ما أراد، ورجع أبناؤه، وأتم الله النعمة، قال الله **جَلَّ وَعَلَا** عن يوسف في آخر المطاف، قال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠]، وهكذا سائر الأنبياء.

فهذا شعيب عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لُتُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُولُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨-٨٩].

وهذا موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يخاطب المؤمنين من بني إسرائيل الذين تابعوه في السراء والضراء، يوم أن جمع فرعون جحافلهم، وجمع جنده وحشد السحرة، وغيرهم من الماكرين: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٤-٨٦].

وهذا نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أفضل الأنبياء والرسل وخاتمهم، والذي أمرنا الله جَلَّ وَعَلَا أن نقتفي أثره، وأن نعمل بسنته، وأن نطيعه فيما امر، وننتهي عما نهى عنه وزجر، نبي الهدى، وإمام الرحمة، الذي قال عنه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما في صحيح البخاري^(١): "أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، قَالَ فِي التَّوْرَةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَلِأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكَّلَ...".

فمن أسماؤه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أنه المتوكل، لأنه توكل على الله، واعتمد عليه ظاهراً وباطناً، في أقواله وأفعاله، وعلق الأمة بذلك، وربى على ذلك أصحابه.

جاء في «الصحيحين» مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، أَنَّ النَّبِيَّ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ..» (١).

وهكذا يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، أي: أن الله يكفيك شرور الأعداء، ويكفيك هموم الدنيا، ويكفي اتباعك من أهل الإيمان، ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ ومن كان الله حسبه فما الذي يضره؟ قال الله **جَلَّ وَعَلَا** في كتابه الكريم: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، هكذا يقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وهو يواجه المشركين، الذين يعبدون الأوثان والأشجار والأحجار، التي لا تملك نفعا، ولا تدفع ضراً، ويبين للعالم كله أن الله **جَلَّ وَعَلَا** هو الذي يقول للشيء كن فيكون، وهو الذي يعطي ويمنع، وهو الذي يخفض ويرفع، وهو يعز ويذل.

[٩] منزلة التوكل

[الخطبة الثانية]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ، وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد فقد ضرب نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أروع الأمثلة في التوكل على الله **جَلَّ وَعَلَا**، في أضييق المواقف وأشدّها، فلما اجتمع المشركون يوم الأحزاب، وأرادوا مدهامة المدينة، وحصل ما حصل من ذلك الكرب العظيم، وتواطؤوا مع المنافقين، ومن كان على طريقتهم من اليهود الذين يسكنون المدينة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

قال عبد الله بن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ^(١).

(١) البخاري: (٤٥٦٣).

على هذا كان، وعلى هذا ربي أصحابه الكرام، ولهذا لما كان في غزوة الأحزاب وتضعف المنافقون، وأظهروا ما هم عليه من الشر: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ * وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ١٢-١٣].

فكان أهل الإيمان موقفهم أعظم موقف: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٢-٢٣].

لما خرج النبي ﷺ من مكة مهاجرا إلى المدينة، بعدما حصل له من تلك الأذية الشديدة من مشركي قريش، خرج ﷺ مستخفيا ومعه أبو بكر ومن يدهم على الطريق، فلما علم المشركون بذهابه وخروجه أرسلوا الرسل يمتن ويسرة يبحثون عنه، وجعلوا ديتة مائة من الإبل، لمن جاء به حيا أو ميتا، فاختبأ النبي ﷺ في ذلك الغار، ومكث فيه ثلاث أيام حتى تغيب أنظار المشركين، فاقترب المشركون من ذلك الغار، فالتفت أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا».

إنه التوكل على الله، إنه الاعتماد عليه، «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا»، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠]، إن المعية في

هذه الآية معية نصر وتأيد وتمكين: ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠].

وهكذا خرج النبي ﷺ في غزوة من الغزوات قبل نجد، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العِصاه، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت سَمُرَةٍ وعلق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا، وإذا عنده أعرابي، فقال: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِي صَلْتًا، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقُلْتُ: اللَّهُ، - ثَلَاثًا - وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ»^(١).

والشاهد منها: أنه توكل على الله، فكفاه الله تبارك وتعالى، هذا دأب نبينا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، معتمدا على ربه جلّ وعلا، متوكلا عليه، واثقا بنصره سبحانه وتعالى، فمن كان هذا حاله، نصره الله جلّ وعلا، ومكن الله عزّ وجلّ له، وهكذا كان الصحابة الكرام، وهكذا كان التابعون، وهكذا كان المؤمنون من الأمم الماضية ومن هذه الأمة، فإن من توكل على الله جلّ وعلا كفاه سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣].

فإذا أردت أن يكون الله عزّ وجلّ معك، في السراء والضراء، يؤيدك وينصرك، ويحميك ويحفظك، فتوكل عليه، فاعتمد عليه، فاصدق معه سبحانه وتعالى، واعمل

(١) البخاري: (٢٩١٠)، ومسلم: (٨٤٣).

الأسباب الشرعية، وإياك أن تعمل بالأسباب المحرمة، التي تجعلك توكل إلى نفسك.
 قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ
 غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرْكُهُ»، رواه مسلم ^(١) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يرويه عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

أيها المؤمنون، الحديث عن هذه المنزلة يطول، ولهذا نجعل له جمها قادمة، إن شاء
 الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.



[١٠] الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

[الخطبة الأولى]

إِن الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

يا أيها المسلمون، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فالله عَزَّ وَجَلَّ قد أنعم على هذه الأمة بهذه النعمة الكبرى وهي نعمة الإسلام وبعثه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وجعل هذا الدين العظيم ديناً ارتضاه لها واختاره سبحانه وتعالى وجعله ديناً كاملاً وديناً شاملاً وديناً باقياً إلى قيام الساعة، وجعله سبحانه وتعالى ناسخاً لجميع الأديان الماضية والملل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، هكذا يبين الله تبارك وتعالى.

ولما كانت هذه النعمة العظيمة الذي اختاره الله عَزَّ وَجَلَّ لهذه الأمة بما فيه من المنافع الدنيوية والمنافع الأخروية، الذي فيه صلاح العباد وصلاح البلاد، الذي فيه صلاحهم في عقائدهم، وصلاحهم في عباداتهم، وصلاحهم في معاشهم وأخلاقهم، وصلاحهم في معاملاتهم وفي سائر شؤونهم.

لما كان هذا الإسلام بهذه المثابة العظيمة فإن أعداء الله تبارك وتعالى من اليهود والنصارى لم تطب أنفسهم ولم يهدأ بالهم أن يبقى أهل الإسلام على إسلامهم، وأن يبقى أهل التوحيد على توحيدهم فإنهم أبرموا المخططات وعملوا المكائد في الليل والنهار في إبعاد أهل الإسلام عن إسلامهم، قال الله جل وعلا:

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ٥٤-٥٥].

سعى أعداء الله عَزَّ وَجَلَّ من اليهود والنصارى ومن كان على طريقتهم إلى إبعاد هذه الأمة عن عقيدتها ودينها وأخلاقها العظيمة وعمَّا تركها عليها نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ مُبَيِّنًا لنا هذا الخطر العظيم: ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠]، شرع الله لنا جل وعلا على هذا العلم والهدى وعلى هذا الخير العظيم، فمن تَبَعَ الهوى وترك الهدى فقد ضل عن سواء السبيل، وهذا الذي يُريده أعداء الإسلام من هذه الأمة، قال الله جل وعلا: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩]، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ أيضًا في كتابه الكريم: ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيمِ ﴿البقرة: ١٠٥﴾، ويقول النبي ﷺ كما عند الإمام ابن ماجه من حديث العرباض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا»، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قَلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُنَاءً كَغُنَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَرَعُ الْمُهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»، يتكالب أعداء الإسلام من هنا وهناك على هذه الأمة في إبعادها عن الخير العظيم الذي تركها عليه ربها سبحانه وتعالى، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

كان العرب قبل الإسلام وقبل بعثة النبي ﷺ يعيشون في ضلال مبين، يعيشون في جهالات، يعيشون في ظلمات، يرتكبون الفواحش والمنكرات صغيرها وكبيرها، فجاء الله عَزَّ وَجَلَّ بهذا النبي الكريم وبهذا القرآن العظيم فصلحت أحوالهم وحسنت معاشهم وصارت أمورهم على خير وعلى بر وعلى سعادة، ولما رأى أعداء الإسلام ذلك امتلأت قلوبهم غيظًا وحسدًا وامتلأت قلوبهم كراهية وبغضًا لهذه الأمة فسعوا إلى تفكيكها، وسعوا إلى تمزيقها، وسعوا إلى إبعادها عن هذا الخير العظيم فنشروا الشر والفساد الحسي والمعنوي في أوساط هذه الأمة ووجد من يتابعهم، ووجد من يأخذ عنهم، ووجد من يتشبه بهم، قال النبي ﷺ كما في "مسند أحمد"

من حديث ابن عمر: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحِّي، وَجُعِلَ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

قَبْلَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ آراءَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَتَشَبَّهُوا بِهِمْ فِي أَخْلَاقِهِمْ، وَتَشَبَّهُوا بِهِمْ فِي لِبَاسِهِمْ، وَتَشَبَّهُوا بِهِمْ فِي عَقَائِدِهِمْ، وَتَشَبَّهُوا بِهِمْ فِي مَعَامِلَاتِهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «فَمَنْ؟»، مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَنَحْوِهِ فِي "الْبُخَارِيِّ" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُفَّارِسَ وَالرُّومَ؟ فَقَالَ: «وَمَنْ النَّاسُ إِلَّا أَوْلَئِكَ».

فَحَصَلَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ ضَعْفٌ، وَحَصَلَ لَهَا عَجْزٌ، وَحَصَلَ لَهَا خَوَرٌ وَإِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ يَوْمَ أَنْ تَرَكْتَ هَذَا الْمُرُوثَ الْعَظِيمَ وَتَشَبَّهْتَ بِالْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ، وَتَرَكْتَ أَسْبَابَ الْعِزِّ وَالْكَرَامَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٧]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠]، وَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، فَمَنْ حَصَلَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ ضَعْفٍ وَتَسَلُّطِ الْأَعْدَاءِ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ

بَعْدَهَا عَنِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَاءِ وَاتِّبَاعِهَا لَطَرِيقِ النَّبِيِّ ﷺ وَخَالَفَتَهَا لَمَّا

أمر الله وتركها لما أوجب سبحانه وتعالى، وقد توعد الله **عَزَّ وَجَلَّ** من عصاه بالذل والمهانة، وإكرام من أطاعه سبحانه ومن اعتصم به جل وعلا.

تسلط أعداء الإسلام وفرقوا هذه الأمة وجعلوها شذر مذر يقتل بعضهم بعضاً، ويظلم بعضهم بعضاً، ويسفك بعضهم دم بعض، قال الله جل وعلا مُحذِرًا هذه الأمة من أن تسلك سبيل من مضى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وأمر الله **عَزَّ وَجَلَّ** هذه الأمة بأن تكون أمةً واحدة معتصمةً بكتابه وبسنة نبيه ﷺ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وبَيَّنَّ الله جل وعلا أن الاعتصام والاجتماع على كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** وسنة رسوله سبب للفوز والفلاح والنصر والتمكين: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وبَيَّنَّ الله جل وعلا أن التمسك بدينه سبب للتمكين والحياة الطيبة ووراثته الأرض والخلافة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي

شَيْئًا ﴿[النور: ٥٥]﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿[الأنبياء: ١٠٥]﴾.



[١٠] الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

[الخطبة الثانية]

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يُحب ربنا ويرضى،
وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله **صَلَّى**
اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فيها أيها المسلمون: لقد نجح أعداء الإسلام ووصلوا إلى مراحل في تفريق
هذه الأمة وفي إبعادها عن هذا الخير العظيم الذي أكرمها الله **عَزَّ وَجَلَّ** به؛ ولهذا
ترى المسلمون في حالة لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى من الذل، والضعف،
والعجز، والخور، وهكذا دماؤهم تسفك وأعرضهم تنتهك، وهكذا بلدانهم
مليئة بالفتن والقتل، وهكذا ذهاب الأمن وحلول الخوف وغير ذلك من البلاء
والرزايا التي حلت بأمة الإسلام، وأعداء الإسلام من اليهود والنصارى يُغذون
ذلك ويتفرجون ويفرحون وهم في أمن وأمان وفي خير واطمئنان، وكل ذلك
معاشر المسلمين يوم أن تركنا دين الله تبارك وتعالى، يوم أن تركنا كتاب الله **عَزَّ**
وَجَلَّ وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، ولم نُعظم شعائر الله كما
أراد الله تبارك وتعالى وإلا فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** قد وعد بالنصر والتمكين والتأييد

أهل الإيمان الذين يتمسكون بدينه ويتوكلون عليه ويعتمدون عليه سبحانه وتعالى.

ولو نظرت إلى آبائنا الأوائل من المهاجرين والأنصار والسلف الأخيار من التابعين ومن بعدهم كيف مكّن الله جل وعلا لهم وأكرمهم سبحانه وتعالى، وأهان أعدائهم وكسر شوكتهم، كل ذلك لما كانوا يحملونه من الإيمان، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كما في "الصحيحين" من حديث جابر بن عبد الله: **«نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»**، كان أعداء الله ترتعد فرائصهم، ويخافون من أهل الإيمان على بعد المسافات مع أنهم يعلمون أنهم لا يملكون من العدة والعتاد إلا الشيء اليسير ولكنهم يحملون ما هو أقوى من السلاح والعتاد: وهي العقيدة الصافية النقية، الإيمان بالله **عَزَّ وَجَلَّ**، التوكل عليه سبحانه وتعالى؛ فلهذا نصرهم الله **عَزَّ وَجَلَّ** ومكن لهم من أعدائهم، وقرأ التاريخ وتصفح ما ذكر أهل السير وأهل المغازي في تلك المعارك العظيمة التي خلدها التاريخ، تلك المعارك العظيمة التي خاضها أولئك الرجال فسطره التاريخ وكانت نوراً مُشرقاً وضياءً في تاريخ هذه الأمة في هزيمة أعداء الله تبارك وتعالى من الفرس، والروم، والمشركين، والمنافقين ومن كان على طريقتهم، ولا زالت تلك المهابة وذلك الخوف والرعب في قلوب الأعداء من هذه الأمة حتى تراجع المسلمون عن دينهم وتبعوا الشهوات وتبعوا الشبهات، وتركوا طاعة رب الأرض والسماوات فرجعت تلك المهابة وذهب ذلك الخوف وإلا فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول: **﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ**

الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴿١٥١﴾ [آل عمران: ١٥١]،
 وصار المسلمون في أيامنا يخافون من أعدائهم بل ممن منهم من لا يريد أن ينتسب
 إلى الإسلام ولا أن يتفخر أن يكون من أتباع النبي ﷺ لماذا؟ لأنه
 يخاف أن يُصنف إما من الإرهابيين أو من التكفيريين أو من أولئك أو من أولئك،
 كل هذا بسبب ضعف الإيمان وقلة الدين وذهاب الإسلام إلا من وفقه الله تبارك
 وتعالى وثبت على دينه، وصبر وصابر ورضى بما أراد الله جل وعلا وقضى، تمسك
 بدينه جل وعلا ولم يُبالي بِمُناوأة المناوئين، ولا مناوشة المناوشين، ولا معارضة
 المعارضين؛ لأنه يعلم أنه في مرضات الله جل وعلا ولو تجمع الشرق والغرب،
 ولو تجمع اليهود والنصارى فإنه يعلم أن نواصي العباد بيد الله تبارك وتعالى:
 «وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ
 اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ
 عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»، ما أحوجنا إلى هذه العقيدة العظيمة،
 ما أحوجنا إلى كتاب ربنا سبحانه وتعالى، ونتوكل عليه ونعتمد عليه ونتمسك
 بديننا ينصرنا الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ
 وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

إننا معاصر المسلمين قادمون في هذه الأيام وغيرها على حرب عظيمة بين
 الإسلام والكفر، فلنكن من أنصار الإسلام، ومن أنصار القرآن، ومن أنصار سنة
 النبي ﷺ، إنما يدور في بلاد المسلمين في اليمن في أرض دماج وفي

غيرها من البلدان إنما ذلك من اليهود والنصارى فهم الذين يُديرونه، وهم الذين يُغذونه، وهم يُخادعون أهل الإسلام هنا وهنا بحجج واهية وشبهات مكشوفة، كل ذلك يُريدون إطفاء نور الله تبارك وتعالى؛ ولهذا يقول المبعوث الأوربي في صنعاء: لقد أعطانا الرافضة الحوثيون أنهم يُخلون دار الحديث بدماج من السلفيين في ثلاثة أيام، ولكن الله خيب آمالهم فهم في الشهر الثالث ولم يستطيعوا أن يصنعوا شيئاً، أعداء الإسلام يضربون أهل الإسلام سواءً كان بأنفسهم وأسلحتهم أو عن طريق المنافقين الذين يندسون في هذه الأمة ويتكلمون بلسان أهل الإسلام وهم أبعد الناس عن الإسلام وأبعد الناس عن القرآن، إذاً فهي مؤامرة عالمية على أهل الإسلام، وكل ما تسمع به ويدور في بلدان المسلمين كل ذلك من أعداء الله تبارك وتعالى، فدماء المسلمين هي التي تُزهق، وهكذا أعراضهم هي التي تُنتهك، وبلدانهم هي التي تُشطر وتُمزق ويُفارق أهلها، وثرواتهم هي التي تُنهب وهي التي تؤخذ، وأعداء الإسلام هم الذين يستفيدون من وراء ذلك كله.

فعلينا أن نرجع إلى الله عباد الله، وأن نتمسك بالإسلام ظاهراً وباطناً، وأن نعلم أننا مسؤولون أمام الله جل وعلا، نتمسك بديننا ونتوكل عليه، ونعتصم به، ونواجه أعداء الله **عَزَّ وَجَلَّ** ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، فإن الله تبارك وتعالى قد وعد أهل الصلاح والخير بالتمكين في الأرض، ووعدهم بالخلافة، ووعدهم بالعز متى تمسكوا بدينه ووثقوا به جل وعلا، وطبقوا شرعه ظاهراً وباطناً: ﴿مَنْ

عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

إياك أيها المسلم أن تكون من ذلك الغناء الذي لا يُستفاد منه ولا يُنتفع به ليس له هم إلا أن يأكل أو يشرب أو يسكن أو ينكح؛ فإن الله أكرمك بالقرآن وبعثة النبي **عليه الصلاة والسلام**، وأما تلك الحالة فهي حالة البهائم الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، هذه حالة البهائم، أما صاحب الإيمان فقد أكرمه الله **عَزَّ وَجَلَّ** بالسمع والبصر، أكرمه بالعقل، أكرمه بالوحي، أكرمه بالدين فليرفع نفسه عن هذا الخضيض وعن هذه المرتبة الدنية، وليقم بما أوجب الله تبارك وتعالى عليه من نصرة دين الإسلام ظاهراً وباطناً قولاً وعملاً.

اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ رد المسلمين إليك ردًا جميلاً، اللَّهُمَّ عليك باليهود والنصارى ومن كان على طريقتهم، اللَّهُمَّ عليك بالرافضة الحوثيين، اللَّهُمَّ مزقهم كل ممزق، اللَّهُمَّ خذهم أخذ عزيز مقتدر، والحمد لله رب العالمين.



[١١] فضائل الإسلام

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلّٰهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللّٰهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

فيا أيها المسلمون، يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** في كتابه الكريم: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

فنعلم الله عَزَّ وَجَلَّ على العباد كثيرة، يسديها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، حسياً ومعنوياً، ألا وإن أعظم النعم وأجلها وأشرفها، هي نعمة الإسلام، ولهذا يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ أيضاً في كتابه الكريم: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال أهل التفسير: أي أصبحتم بنعمة الإسلام إخواناً، فهذه النعمة العظيمة، والمنّة الكبيرة، على أهل الإسلام بهذا التشريع وبهذا الكتاب، وبيعته النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فهي أجل النعم وأعظمها على الإطلاق: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ولعظمة الإسلام فإنه دين الأنبياء عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بالمعنى العام، وإن اختلفت شرائعهم: ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]، وأما بالمعنى العام فهو دينهم كما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ عنهم في كتابه الكريم.

فهذا نوح عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال، وهو يخاطب قومه: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢].

وهذا إبراهيم الخليل عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ عنه في كتابه، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]، وقال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ

وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿البقرة: ١٢٧-١٢٨﴾، إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿البقرة: ١٣١-١٣٣﴾.

وهذا نبي الله سليمان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ وهو يخاطب تلك الملكة: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢]، وقال في آخر المطاف: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وهذا يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال الله جَلَّ وَعَلَا أنه قال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]

بل أخبر الله جَلَّ وَعَلَا في كتابه، عن سحرة فرعون يوم أن آمنوا، توعدهم فرعون بالقتل، والصلب، والتشريد، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا نَنْقِمُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٥-١٢٦].

وهكذا قال الحواريون لعيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وهكذا ذكر الله **جَلَّ وَعَلَا** عن بعض مسلمي أهل الكتب، قال الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥١-٥٣].

فلعظمة هذا الدين، دان به الأنبياء والمرسلون بالمعنى العام، ولكل نبي منهم ورسول منهم شرعة ومنهاجا.

أيها المسلمون عباد الله، إن هذه النعمة العظيمة التي اختارها الله **جَلَّ وَعَلَا** لهذه الأمة، واصطفاهم لها: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

إنها نعمة عظيمة، نعمة تورث أصحابها سعادة الدنيا، وفلاح الآخرة، والنجاة من عذاب الله **جَلَّ وَعَلَا**، إنها نعمة تورث أصحابها ضياءً في صدورهم، ونورا وهدى، قال الله **جَلَّ وَعَلَا** في كتابه الكريم: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، ويقول الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَّا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأَنْعَام: ١٢٥].

ويقول النبي ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ»
رواه "مسلم"، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١).

فالإسلام فلاح، والإسلام هداية، والإسلام ضياء، والإسلام نور، ينبغي لكل
مؤمن ان يفرح بهذه النعمة، وأن يحمد الله جَلَّ وَعَلَا، أن جعله من أهل الإسلام.

روى الإمام مسلم في صحيحه، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ
مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلَقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجَلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ اللَّهُ مَا
أَجَلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ مُهِمَّةً لَكُمْ،
وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلَقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجَلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا
نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «اللَّهُ مَا أَجَلَسَكُمْ إِلَّا
ذَاكَ؟» قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجَلَسْنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ مُهِمَّةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي
جَبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ»^(٢).

«جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ» أي: نعمة أعظم من هذه، كانوا
يعيشون في الظلمات، كانوا يعيشون في الشركيات، كانوا يعيشون في الظلم، كانوا
يعيشون في الخرافات، فمن الله عليهم بالإسلام.

(١) مسلم: (١٠٥٤).

(٢) مسلم: (٢٧٠١).

الإسلام يحفظ حقوق العباد، يحفظ أموالهم ويحفظ أعراضهم، ويصون دماءهم، ولهذا يقول النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فِإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» ^(١).

وفي "صحيح مسلم" مِنْ حَدِيثِ طَارِقِ بْنِ أَشِيمٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالُهُ، وَدَمُّهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» ^(٢).

الإسلام كما بين **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** هو العمود الأصيل، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ» ^(٣).

وكم من الفضائل العظيمة، التي بينها الله **جَلَّ وَعَلَا** لنا في هذا الدين، بما فيه منافعنا الدنيوية، والأخروية، ولهذا أمرنا الله **جَلَّ وَعَلَا** أن نستمسك به، وأن نعتصم به، وأن ندين به، وأن نحمد الله عليه: قال **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، أي تلامزون الإسلام حتى الموت، لا

(١) البخاري: (٢٥)، ومسلم: (٢٢) من حديث، عَنِ ابْنِ عُمَرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

(٢) مسلم: (٢٣).

(٣) الترمذي: (٢٦١٦) عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

تفارقون دين الله **جَلَّ وَعَلَا**، قال **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢]، هكذا يأمرنا الله **جَلَّ وَعَلَا**.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠]، فبعد الإسلام بشارات بالجنة، أمان في الدنيا وفلاح فيها، وفوز في الآخرة.

﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٨-٧٠].

فجعل الله **عَزَّ وَجَلَّ** الجنة مأواهم، ولهذا جاء في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»^(١).

بل يقول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، دَفَعَ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ** إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكَ مِنَ النَّارِ»^(٢).

يجعل الله **عَزَّ وَجَلَّ** مكانه في النار من عبدة الأوثان، والكافرين بالله **جَلَّ وَعَلَا**، كل ذلك حرمة المسلم، وعظمته، وعظمة هذا الدين، وما أعظم فضائله، وما أعظم مزاياه، وكله فضائل ومحاسن.



(١) مسلم: (١٨٨٤).

(٢) مسلم: (٢٧٦٧)، من حديث أبي موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

[١١] فضائل الإسلام

[الخطبة الثانية]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ، وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: محاسن الإسلام كثيرة، ولا تكفي خطبة ولا خطب في بيان مزاياه، ومحاسنه وفضائله، وقد ألف أهل العلم كتبًا في ذلك، ولكن الذي نريد أن ننبه عليه في هذا المقام أن أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ومن كان على شاكلتهم، لما رأوا هذا الدين العظيم وهذه الثروة والكنز الثمين الذي يمتلكه أهل الإسلام، لم يهدأ بالهم، ولم تطمئن نفوسهم، وأرادوا من أهل الإسلام أن يتحللوا من أخلاقهم أن يتركوا شريعتهم، وأن يبعدهم عن دينهم وعقيدتهم، فسعوا ليلاً ونهاراً، سرا وجهاراً، حسداً وبغياً في إبعاد هذه الأمة عن كرامتها، وعن عزها، وعن مجدها.

قال الله **جَلَّ وَعَلَا** في كتابه الكريم: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ

سَعِيرًا ﴿ [النساء: ٥٣-٥٥].

ولهذا فإن أعداء الإسلام على مر التاريخ يسعون في إبعادنا عن ديننا العظيم، وعن شريعتنا الغراء، حسيا ومعنويا، ظاهرا وباطنا، والله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول لنا في كتابه: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

تتوالى المؤامرات، والمخططات، في كل عصر ومصر على أهل الإسلام، من أعداء الله **عَزَّ وَجَلَّ**، والمسلمون في سباتهم، وفي غفلتهم، وفي إغراضهم، وانشغالهم بدنياهم، وما نلاحظه ونشاهده في هذه السنوات الأخيرة ما حصل من الاضطرابات والفوضى الثورات والانقلابات، إنما ذلك بتخطيط ودراسة، من أعداء الإسلام، وإلا لماذا كان الربيع العربي في بلاد أهل الإسلام، لماذا ما وقع الربيع الأوروبي؟

ولماذا ما وقع الربيع الروسي؟ ولماذا ما وقع الربيع الأمريكي؟ مع أنهم لا يضبطهم دين، ولا يسرون خلف عقيدة، حياتهم حياة البهائم، وإنما يريدون تدمير بلاد الإسلام، وتفكيك بعضها عن بعض، وزرع الشحناء والبغضاء، وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض، حتى تصير هذه الأمة ألعوبة في أيديهم، مطاوعة لهم، منفذة لمؤامراتهم، آخذة بأقوالهم، والله **جَلَّ وَعَلَا** قد حذرنا، لكننا قد ضيعنا القرآن، وأهملنا سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

لو أعطيتهم أموالك كلها، وبترولك كله، وبلادك كلها لن يتخلوا عنك، حتى تفارق عقيدتك، وتتبع ملتهم العوجاء: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى

تَتَّبِعْ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿البقرة: ١٢٠﴾.

ولهذا فإنّ زراعة الرافضة، في بلاد أهل الإسلام، مخطط غربي تديره أمريكا دمرها الله، لإبعاد المسلمين عن عقيدتهم، وعن دينهم وعن أخلاقهم، وعن موروثهم العظيم، الذي تركه لهم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

وما تسمعون به من المؤامرة والحرب، على أهل السنّة والجماعة، إنه تديره أمريكا دمرها الله **تَبَارَكَ وَتَعَالَى**، وينفذ ذلك الرافضة المجوس، وبإشراف ونظر من بعض مسؤولي الدولة هداهم الله، وإلا فما ذنب أولئك الذين قتلوا ظلماً وعدواناً؟ أكثر من خمس مائة قتيل بين رجل وامرأة وطفل، الجرحى يموتون في جراحهم، والمرأة تموت في نفاسها، ما ذنب هؤلاء؟ ما جريمة هؤلاء؟

في آخر المطاف تأتي الأوراق الرسمية أنهم يريدون الأجانب، أو بما يسمونه الأجانب، أي الغرباء الذي تركوا بلاد الكفر، من أجل أن يتعلموا دين الله، تركوا اليهودية والنصرانية، وجاءوا إلى بلاد اليمن، تركوا الدولارات، والدنيا بحذافيرها، وجاءوا إلى دار الحديث مع ضيق العيش، وقلة المال، ليحفظوا القرآن، ويتعلموا سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ثم تحاك هذه المؤامرة، من أجل هؤلاء.

أي ظلم عباد الله؟ هذا الظلم الذي يديره أعداء الإسلام، وينفذه من باعوا دينهم بقليل من الدنيا، إنّ الله **عَزَّ وَجَلَّ** ليس بغافل عن هذا الظلم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

إننا نخشى على من شارك في هذه الجريمة، أو تعاون فيها، أو أيد أربابها، أن ينكبه الله وأن يعاقبه الله عاجلا أو آجلا، وإن كان حاكما أو محكوما، أو صغيرا أو كبيرا، فإن عقوبة الله للظالمين محققة، عاجلا وآجلا.

وهاهم الرافضة يتشرون في البلاد يمنة ويسرة، وفي مثل هذين اليومين تنشر «قناة المسيرة»، أوراقها ولافتاتها الكبيرة في شوارع عدن^(١) تهنئة بالاحتفال بالمولد النبوي، وأين أنتم من النبي يا أيها الزنادقة، أما أنتم الذي قلتم: إن فرج النبي ﷺ سيدخل النار، لأنه جامع عائشة وحفصة رضي الله عنهما؟!

أما أنتم الذين وطأتم كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ بأقدامكم؟ ثم تحتفلون بمولد النبي ﷺ؟!

أو لستم أنتم الذي خربتم المساجد؟ وتفجرونها؟ ما لم تصنعه اليهود في أرض فلسطين، لكن لتعلموا يا أهل عدن أن الرافضة قادمون، وأن أهل السنة قد نصحوا وحذروا وأنذروا، ويرجى لهم أن يعذرهم الله عَزَّ وَجَلَّ ، فقد قاموا بواجبهم بها عندهم من الدعوة والقرآن والسنة، ودافعوا عن أنفسهم وعن عقيدتهم وأنذروا المجتمعات هذا الخطر التي تديره أمريكا دمرها الله عَزَّ وَجَلَّ .

انظر إلى شوارع عدن في هذه اليوم تجد تلك اللافتات، متى عرف أهل عدن الرافضة؟ متى عرف أهل عدن هذه اللافتات التي يظهرون بها حب النبي ﷺ الله ﷻ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؟

(١) وكان هذا حين دخل الحوثيون مدينة عدن، في غزو: (٢٠١٥).

إن المؤامرة على بلاد أهل الإسلام من قديم الزمان ولكنهم في هذه الأيام لما رأوا أهل السنة انتشرت دعوتهم، وكثر أنصارهم، ووصلوا إلى بقاع الأرض وإلى أطرافها وأقصاها اشتدت مؤامرتهم واشتدت أذيتهم، عن طريق الرافضة .

فنسأل الله **جَلَّ وَعَلَا** أن يفشل مخططاتهم، اللهم عليك بأمریکا اللهم عليك باليهود والنصارى فإنهم لا يعجزونك، اللهم عليك بالرافضة المجوس اللهم مزقهم كل ممزق، اللهم من أرادنا وديننا وبلدنا بسوء فاجعل كيده في نحره، واجعل الدائرة عليه، وعجل بزواله يا عزيز يا جبار، اللهم انصر عبادك الموحدين المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، اللهم كن لهم ولا تكن عليهم، وانصرهم ولا تنصر عليهم وامكر لهم ولا تمكر عليهم وانصرهم على من بغى عليهم، يا قوي يا متين.

والحمد لله رب العالمين.



[١٢] قبول الأعمال

[الخطبة الأولى]

إِن الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا،
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
 [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها المسلمون عباد الله، ذكر الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في كتابه "لطائف المعارف": أن السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ كانوا يدعون الله عَزَّ وَجَلَّ ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان، فإذا صاموا شهر رمضان وانتهوا منه يدعون الله عَزَّ وَجَلَّ ستة أشهر أن يتقبل الله منهم صيامهم.

وهذا كله يدل على حرصهم على صلاح الأعمال وقبولها، فإن هذه هي العبرة العظمى من العمل الصالح: أن يكون مقبولا عند الله تبارك وتعالى، ليست العبرة بكثرة العمل ولكن العبرة: هل هو مقبول عند الله عَزَّ وَجَلَّ أم لا؛ ولهذا جاء عند ابن أبي حاتم من حديث أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه بإسناد حسن أنه قال: (لأن استيقنت أن الله عَزَّ وَجَلَّ قَبَلَ مِنِّي صَلَاةً وَاحِدَةً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، فكان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يخاف ويُبَيِّن: أنه لو عَلِمَ واطلع أن صلاة واحدة قد قبلها الله عَزَّ وَجَلَّ منه لكان أحب إليه من الدنيا وما فيها، بل ربنا سبحانه وتعالى يقول كما يقول في الآية المتقدمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١]، فالأعمال تحتاج إلى إصلاح، ولا تكون مقبولة عند الله عَزَّ وَجَلَّ إلا إذا كانت صالحة: ﴿

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴿[فاطر: ١٠]﴾، فهو المرفوع والمقبول، وهو الذي يكون صاحبه من الفائزين بإذن الله جل وعلا؛ ولهذا كان نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ كما في حديث أم سلمة عند الإمام ابن ماجه: كان إذا صلى صلاة الفجر قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا»، فإن العمل إن لم يكن متقبلاً لا فائدة فيه ولا ثمرة من ورائه.

وقد بين الله عَزَّ وَجَلَّ: أن العمل لا يكون مقبولاً إلا إذا توفرت شرائطه: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿[الكهف: ١١٠]﴾، فجعل الله عَزَّ وَجَلَّ في هذه الآية شرطين عظيمين لقبول العمل عنده جل وعلا لمن خاف لقاء الله سبحانه وتعالى:

الشرط الأول: أن يكون خالصاً لوجه الله تبارك وتعالى؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»، متفق عليه عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بلفظ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ».

فما أحوجنا معاصر السامعين: أن نُخلص نياتنا، وأن نُجاهدها، وأن نحصر على أن تكون أعمالنا ابتغاء مرضات الله تبارك وتعالى، لا تُريد من وراء ذلك دنيا زائلة، ولا شهرة، ولا رياء، ولا شيء من حُطام الدنيا فإن ذلك من أخطر ما يكون على عمل العبد، قال الله جل وعلا: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا

نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبَحْسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي
 الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿هود: ١٥-١٦﴾،
 وفي حديث محمود بن لبيد عند الإمام أحمد: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ أَخَوْفَ
 مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ» قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:
 «الرِّيَاءُ»، وجاء أيضاً من حديث أبي بن كعب وغيره من أصحاب النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: أنه
 قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرَّفْعَةِ فِي الدِّينِ، وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي
 الْأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلًا الْآخِرَةَ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ»، والله
 جل وعلا يقول في كتابه الكريم: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ
 الْغَفُورُ﴾ [المك: ١-٢]، ولا يكون حسناً صالحاً: إلا إذا كان صاحبه يتبغى الثواب
 من الله مُخْلِصاً لله **عَزَّ وَجَلَّ**.

الشرط الثاني: أن يكون موافقاً لشريعة الله، أن يكون موافقاً لما جاء في سنة
 محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، وإلا فإن العامل إنما يُتَعَبُ نفسه
 بالعمل إذا كان من البدع والخرافات والمخالفات والسيئات، روى البخاري
 ومسلم في صحيحيهما: عن عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** قالت: قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ أَحْدَثَ
 فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، وفي رواية مسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ
 أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، بل ربنا جل وعلا يقول في كتابه الكريم: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ
 يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ويقول

الله عَزَّ وَجَلَّ أيضًا: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، فليحرص المرء على أن يكون عمله صالحًا موافقًا لشرعة الله عَزَّ وَجَلَّ، وعلى ما جاء عن رسول الله ﷺ، وأن يُجاهد نفسه أن يكون عمله خالصًا لله تبارك وتعالى.



[١٢] قَبُولُ الْأَعْمَالِ

[الخطبة الثانية]

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يُحِبُّ ربُّنا ويرضى،
وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ
اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

أيها الناس: إن من علامات الانتفاع بالعمل الصالح: أن ترى العبد يواصل
العمل بعد العمل، ويأتي بالحسنة بعد الحسنة، ويسير على الطاعة ويستمر عليها،
هذا من علامات الانتفاع ومن علامات الاستفادة.

وأما إذا رجع القهقري وترك ما كان يعمل من الخير وانقلب على عقبيه فهذا
يدل على فساد في نيته أو خلل في عبادته فإنه لم ينتفع بها؛ ولهذا ينبغي لنا أن نُبادر
إلى الأعمال الصالحة في كل أوقاتنا وحياتنا، وفي سائر أحوالنا أن نُبادر إلى طاعة
الله تبارك وتعالى، وأن نستمر في ذلك فإننا لا ندري متى ينقضي الأجل، ومتى
يأتي أمر الله تبارك وتعالى، أنت صمت شهر رمضان ما يُدريك أنه سيمر عليك
مرة أخرى فبادر إلى طاعة الله جل وعلا: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ
وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ
وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل

عمران: ١٣٣-١٣٤]، لا ينفع العبد بين يديَّ الله **عَزَّ وَجَلَّ** إلا العمل الصالح الذي خُتم له به والذي مات عليه؛ ولهذا فإن أهل النار فيها يصطرخون وفي وسطها يصيحون يتمنون أن يرجعوا إلى الدنيا لعمل الصالحات، وليكونوا في مقدمتهم:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ التَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦-٣٧]، ويقول الله جل وعلا: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، ويقول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٩-١١].

فالله الله عباد الله في المبادرة إلى العمل الصالح، والمواصلة بين الطاعات فإن العبد مأمور بطاعة الله **عَزَّ وَجَلَّ** حتى يلقي الله تبارك وتعالى، والكرامة العظمى: أن تموت على العمل الصالح، وأن يختم الله **عَزَّ وَجَلَّ** بالحسنى: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَغْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَسْتَغْمَلُهُ؟ قَالَ «يُوفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»، هذه العبرة وهذه الكرامة التي إن أُعطِيها العبد

فقد أُعطيَ خيرًا كثيرًا: أن يختتم الله **عَزَّ وَجَلَّ** له بالخير: «وَأَتِمَّا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»، وإنما تكون مواسم الخير وأيام الطاعة والعبادة التي حُصت بالأدلة من الكتاب والسنة إنما تكون محفزةً للعباد ومنشطةً لهم؛ ليسيروا في هذا الطريق العظيم ويتنافسون فيه ويسابقون إليه، ولا تكون مواسم عادة من العادات لا ينتفعون بها.

وفق الله الجميع لما يُحب ويرضى والحمد لله رب العالمين.



[١٣] كيفية الانتصار لرسول الله ﷺ

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أيها المسلمون عباد الله، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ

أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿ [الحجرات: ٢]، هذه الآية الكريمة نزلت في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، يوم أن ارتفعت أصوات بعض أصحاب محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

«قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمْرُ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبَدِ بْنِ زُرَّارَةَ، قَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمْرُ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي، قَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَتَمَارِيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَتَزَلَّ فِي ذَلِكَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا ﴾ [الحجرات: ١] حَتَّى انْقَضَتْ» (١).

فبين الله عَزَّ وَجَلَّ أن مجرد رفع الصوت على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ربما يكون سببا لحبوط الأعمال و ذهابها.

وهكذا يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

نفى الإيمان على من لم يتحاكم إلى سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويرضى بدينه وشرعه وحكمه، بين الله عَزَّ وَجَلَّ أنه ضعيف الإيمان، وربما يذهب عنه الإيمان بالكلية، فكيف بمن تعدى ذلك، وأساء إليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وطعن فيه أو عارض سنته، أو احتقر هديده، أو وقع في عرضه، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

ولهذا قال الله جَلَّ وَعَلَا مبيناً خطورة هذا الأمر: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، فجمع لهم بين

عقوبتين عظيمتين، عقوبة في الدنيا، وعقوبة في الآخرة، طردهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من رحمته، وأعدَّ لهم ذلك العذاب، الذين يقولون فيه في ذل وخسارة وإهانة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

ويقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** بيانا لحكمهم في الدنيا: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

ولقد حصل لبنينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أذية وعداوة شديدة، من أهل الشرك والإلحاد، ومن أهل النفاق والشقاق، ومن اليهود في ذلك الزمن، ومن شاكلهم وضارعهم، فهاهم المنافقون يطعنون في عرضه، ويتهمون أم المؤمنين بالزنا.

وهكذا حتى قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** لما أشاع ابن أبي تلك الدعاية، الفاجرة، قال: «مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا»^(١).

وآذاه المنافقون أذى شديد ولهذا قال الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]، فتوعدهم الله **جَلَّ وَعَلَا** بالعذاب الأليم.

(١) البخاري: (٢٦٦١)، مسلم: (٢٧٧٠).

ويقول الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦١].

وهكذا المشركون آذوه أذى شديد، بعضهم وضع سلى الجزور على ظهره وهو يسجد ويصلي لربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، بجانب البيت الحرام، والآخر يخنقه خنقا شديداً، ويريد أن يقتله، وحصل منهم التجمع لقتله وسفك دمه وإراقة وتضييعه بين قبائل العرب، وغير ذلك من الأذية من السباب والشتام.

جمع الناس يوماً من الأيام، وجعل يدعوهم إلى الله، ويبين لهم ما أمره الله، فقال له عمه أبو لهب: أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا تَبًّا لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١-٥] ^(١).

﴿لَمَّا قَدِمَ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ مَكَّةَ، قَالَتْ لَهُ قُرَيْشٌ: أَنْتَ خَيْرُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَسَيِّدُهُمْ، قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ هَذَا الْمُتَّبِرِّ مِنْ قَوْمِهِ، يَزْعُمُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَّا، وَنَحْنُ - يَعْنِي: أَهْلُ الْحَجِيجِ، وَأَهْلُ السَّدَانَةِ - قَالَ: أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ، فَتَرَلَّتْ: ﴿إِنْ شَأْنُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، وَتَرَلَّتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ

(١) رواه البخاري: (٤٧٧٠، ٤٨٠١، ٤٩٧٢، ٤٩٧٣).

وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿[النساء: ٥١]﴾، إلى قوله: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٢] ^(١).

ولهذا فقد أجمع علماء الإسلام أن من سبَّ النبي ﷺ، أو طعن فيه وفي عرضه، أو تنقصه أو طعن في دينه فإنه كافر بالله **جَلَّ وَعَلَا** يهدر دمه ويراق، وإن تاب، فذلك بينه وبين الله **جَلَّ وَعَلَا**، أما حده في الدنيا، فإنه يقتل، وإن تاب فإن هذا حق لرسول الله ﷺ، ونحن لا ندرى أيتنازل عن حقه أم لا يتنازل.

وهذا من الفروق بين من سبَّ الله **جَلَّ وَعَلَا** أو سبَّ رسول الله ﷺ، فإن من سبَّ الله **عَزَّ وَجَلَّ** لو تاب قبلت توبته، وترك أمره إلى الله **جَلَّ وَعَلَا**، أما سبَّ نبينا محمد ﷺ، فإنه وإن أظهر التوبة، وإن صدق في توبته، فإن حق محمد ﷺ لا يجوز لأحد من أمته ولا من أتباعه أن يتنازل عنه.

ولهذا معاشر المسلمين أعداء الله من اليهود والنصارى على مر التاريخ وهكذا المجوس وهكذا المشركون يطعنون في دين الله **جَلَّ وَعَلَا**، ويطعنون في الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ويطعنون في رسول الله ﷺ، فتارة يسبون نبينا ﷺ، وتارة يطالبوا أهل الإسلام أن يحذفوا من كتاب الله كل ما جاء فيه من الآيات التي فيها سب لليهود والنصارى، وتارة يطعنون في أصحاب محمد ﷺ عن طريق الرفضة الأنجاس الأرجاس.

(١) رواه النسائي (١١٦٤٣) عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهكذا يطعنون في أحكام الإسلام، ويأتون بالشبه والتشكيكات التي تطعن في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ**، عن طريق المستشرقين، الذي يدرسون الإسلام ويقرءون ما فيه، ويتضلعون من كتب السنة للطعن فيه وإظهار الشبه، والتشكيك على الجهلة، وعلى عامة أهل الإسلام، ليعدوهم عن دين الله **جَلَّ وَعَلَا**.

وما نسمع في هذه الأيام وفي غيرها من الأيام من الطعن في رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، من قبل اليهود أو من قبل الرافضة، في الطعن في أبي بكر الصديق، أو في عمر بن الخطاب، أو في عائشة أم المؤمنين، عن طريق التمثيليات والمسرحيات، فإن هذا كفر بالله **جَلَّ وَعَلَا**، وزندقة، وإلحاد في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وحكم فاعله القتل، وإراقة الدم بإجماع أهل الإسلام.

ألا واعلموا معاشر المسلمين أنه ينبغي لنا أن نغار على دين الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وعلى كتاب الله، وعلى سنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وهذا بحمد الله **عَزَّ وَجَلَّ**، لا يزال موجودا في أوساط الأمة الإسلامية، فهي تغار على دين الله وعلى شرع الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وعلى كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وعلى سنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

ولكن ينبغي لنا أن نتقيد بالكتاب والسنة في الغضب والرضا، وفي سائر أحوالنا، فليس من الغضب لرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، أن نخرج إلى الشوارع كالغنم السائبة، فإن هذا من مخالفة هدي محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، ومن مخالفة شرعه، كيف يزعم العبد أنه يغار على محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وهو يفعل أفعالا تخالف ما جاء به **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، استوردها المسلمون من أعداء الله، من اليهود والنصارى.

ما هكذا الغيرة على دين دين الإسلام، الغيرة على دين الإسلام كما فعل الصحابة الأعلام، والأئمة الكرام، من المهاجرين والأنصار، واسمع إلى بعض حوادثهم، وإلى بعض مواقفهم وشجاعتهم في الدفاع عن محمد ﷺ.

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما ^(١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ». فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَأَذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا، قَالَ: «قُلْ».

فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَانَا وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ، قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمْلَنَّهُ، قَالَ: إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ، فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدْعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسُقَا أَوْ وَسَقَيْنَ؟

فَقَالَ: نَعَمْ، ارْهَنُونِي، قَالُوا: أَيِّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ: ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرَهْنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ، قَالَ: فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ، قَالُوا: كَيْفَ نَرَهْنُكَ أَبْنَاءَنَا، فَيَسْبُ أَحَدُهُمْ، فَيَقَالَ: رَهْنٌ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ، هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرَهْنُكَ اللَّأَمَةَ - قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي السَّلَاحَ.

فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرِّضَاعَةِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ، فَزَلَّ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ

مَسْلَمَةَ، وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ، وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو، قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ، قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةِ بَلِيلٍ لَأَجَابَ.

قَالَ: وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ - قِيلَ لِسُفْيَانَ: سَمَّاهُمْ عَمْرٍو؟ قَالَ: سَمَّيَ بَعْضَهُمْ - قَالَ عَمْرٍو: جَاءَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ، وَقَالَ: غَيْرُ عَمْرٍو: أَبُو عَبْسٍ بْنُ جَرٍّ، وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ، وَعَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ، قَالَ عَمْرٍو: جَاءَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعْرِهِ فَأَشْمُهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمَكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ، فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ، وَقَالَ مَرَّةً: ثُمَّ أَشْمُكُمْ.

فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطَّيِّبِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا، أَيُّ أَطْيَبَ، وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو: قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ، قَالَ عَمْرٍو: فَقَالَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشْمَ رَأْسَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا اسْتَمَكَنَ مِنْهُ، قَالَ: دُونَكُمْ، فَفَقَلُّوهُ، ثُمَّ أَتَوَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرُوهُ. اهـ

هكذا الغيرة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذه حادثة أخرى أخرجها البخاري في صحيحه^(١) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ، وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) البخاري: (٤٠٣٩).

وَيُعِينُ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي حِصْنٍ لَهُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ، وَقَدْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَرَاحَ النَّاسُ بِسَرَحِهِمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأَصْحَابِهِ: اجْلِسُوا مَكَانَكُمْ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ، وَمُتَلَطِّفٌ لِلْبَوَّابِ، لَعَلِّي أَنْ أَدْخَلَ.

فَأَقْبَلَ حَتَّى دَنَا مِنَ الْبَابِ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِثَوْبِهِ كَأَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً، وَقَدْ دَخَلَ النَّاسُ، فَهَتَفَ بِهِ الْبَوَّابُ، يَا عَبْدَ اللَّهِ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخَلَ فَادْخُلْ، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُغْلِقَ الْبَابَ، فَدَخَلْتُ فَكَمَنْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ النَّاسُ أَغْلَقَ الْبَابَ، ثُمَّ عَلَّقَ الْأَغَالِيقَ عَلَى وَتَدٍ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَى الْأَقَالِيدِ فَأَخَذْتُهَا، فَفَتَحْتُ الْبَابَ.

وَكَانَ أَبُو رَافِعٍ يُسَمِّرُ عِنْدَهُ، وَكَانَ فِي عَلَائِيٍّ لَهُ، فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْهُ أَهْلُ سَمَرِهِ صَعِدْتُ إِلَيْهِ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا فَتَحْتُ بَابًا أَغْلَقْتُ عَلَيَّ مِنْ دَاخِلٍ، قُلْتُ: إِنْ الْقَوْمُ نَذَرُوا بِي لَمْ يَخْلُصُوا إِلَيَّ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَاَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُظْلِمٍ وَسَطٍ عِيَالِهِ، لَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ الْبَيْتِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَأَهْوَيْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ وَأَنَا دِهْشُ، فَمَا أَغْنَيْتُ شَيْئًا، وَصَاحَ، فَخَرَجْتُ مِنَ الْبَيْتِ، فَأَمَكْتُ غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ دَخَلْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا الصَّوْتُ يَا أَبَا رَافِعٍ؟

فَقَالَ: لِأُمِّكَ الْوَيْلُ، إِنَّ رَجُلًا فِي الْبَيْتِ ضَرَبَنِي قَبْلَ السَّيْفِ، قَالَ: فَأَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أَنْخَتَهُ وَلَمْ أَقْتُلْهُ، ثُمَّ وَصَعْتُ طَبَّةَ السَّيْفِ فِي بَطْنِهِ حَتَّى أَخَذَنِي ظَهْرُهُ، فَعَرَفْتُ أَنِّي قَتَلْتُهُ، فَجَعَلْتُ أَفْتَحُ الْأَبْوَابَ بَابًا بَابًا، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى دَرَجَةٍ لَهُ، فَوَضَعْتُ رِجْلِي، وَأَنَا أَرَى أَنِّي قَدْ انْتَهَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَوَقَعْتُ فِي لَيْلَةٍ مُقْمَرَةٍ، فَاَنْكَسَرَتْ سَاقِي فَعَصَبْتُهَا بِعِمَامَةٍ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ حَتَّى جَلَسْتُ عَلَى الْبَابِ، فَقُلْتُ: لَا أَخْرُجُ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَعْلَمَ: أَقَتَلْتُهُ؟ فَلَمَّا صَاحَ الدِّيْكُ قَامَ النَّاعِي عَلَى السُّورِ، فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ تَاجِرَ أَهْلِ الْحِجَازِ.

فَانْطَلَقْتُ إِلَى أَصْحَابِي، فَقُلْتُ: النَّجَاءُ، فَقَدْ قَتَلَ اللَّهُ أَبَا رَافِعٍ، فَاَنْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «ابْسُطْ رِجْلَكَ» فَبَسَطْتُ رِجْلِي فَمَسَحَهَا، فَكَأَنَّهَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ.

وهكذا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم في الدفاع عن دين الله وعن رسول الله، وعن كتاب الله، وعن شرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أقول ما سمعتم، واستغفر الله العظيم.



[١٣] كيفية الانتصار لرسول الله ﷺ

[الخطبة الثانية]

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَمْدًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ، وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

جاء في الصحيحين^(١) من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ - حَدِيثُهُ أَسْنَأُهُمَا، تَمَيَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعِ مِنْهُمَا - فَعَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمَّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟

قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يَفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَعَمَزَنِي الْآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي، فَأَبْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ.

(١) البخاري: (٣١٤١) مسلم: (١٧٥٠).

ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟»، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُهُ، فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟»، قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: «كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلَبَهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ»، وَكَانَا مُعَاذَ ابْنَ عَفْرَاءَ، وَمُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجُمُوحِ .

وروى أبو داود في سننه ^(١) من حديث ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَقَعُ فِيهِ، فَيَنْهَاهَا، فَلَا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمُغُولُ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَوَقَعَ بَيْنَ رِجْلَيْهَا طِفْلٌ، فَلَطَخَتْ مَا هُنَاكَ بِالدَّمِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْشُدُوا اللَّهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ».

فَقَامَ الْأَعْمَى يَتَخَطَّى النَّاسَ وَهُوَ يَتَزَلُّزِلُ حَتَّى قَعَدَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا، فَلَا تَنْزَجِرُ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللَّوْلُوتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ، وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ الْمُغُولَ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَشْهَدُوكُمْ أَنَّ دَمَهَا هَذَرٌ» ^(٢).

(١) أبو داود: (٤٣٦١).

(٢) وهو في الجامع الصحيح (٦٠٥).

وفي الصحيحين^(١)، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ، وَقَالَ: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السَّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ». واستثنى من هذا الأمان أربعة أشخاص، ومن هؤلاء الأشخاص رجل يقال له ابن خطل، وهذا الرجل كان قد أسلم وتنصر وارتد، وقتل رجلا من المسلمين واتخذ قيتين تغنيان، وتسبان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فلم يجعل له النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الأمان، بل أمر أصحابه إن وجدوه أن يقتلوه، فبحثوا عنه فإذا به متعلق بأستار الكعبة، فقالوا: يا رسول الله، وجدناه مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، قال: «اقْتُلُوهُ» وإن كان متعلقا بأستار الكعبة.

كل ذلك تعظيما لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وأن من طعن فيه أو من سبه، فإنه يقتل، ويهدر دمه.

وهكذا يا معاشر المسلمين، واجبنا اتجاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن نعظمه، وأن نعمل بسنته، وأن نأخذ هديه، وأن نتعلم شرعه، وأن نقيم دين الإسلام، ونجاهد أعداء الله

(١) حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البخاري: (٣٠٤٤)، مسلم: (١٣٥٧). أما حديث: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ أَمَّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ، إِلَّا أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَأَمْرَاتَيْنِ وَقَالَ: «اقْتُلُوهُمْ، وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ، عِزْمَةُ بَنِي أَبِي جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطْلٍ وَمَقِيسُ بْنُ صُبَابَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي السَّرْحِ» رواه النسائي.

وحديث: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السَّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»، حديث أبي هريرة في مسلم: (١٧٨٠).

عَزَّ وَجَلَّ، ونقيم هذه الشعيرة العظيمة، فإنهم يطعنون في ديننا، وفي رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي كتابنا، دائماً وأبداً.

ماذا نتظر من أقوام، قتل أجدادهم نبيناً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في مدينته، قتل رجال بني قريظة، وأجلى بني النضير، وأجلى بني قينقاع، وأخرج أهل خيبر، وقتل منهم من قتل، ولم يبقهم فيها إلا لزراعة الأرض، ليأخذوا نصف الثمرة.

ماذا تتظر من أقوام يمثلون في قلوبهم الحقد الدفين على دين الإسلام، لما حصل لهم من الذل والمهانة، في زمن أولئك الأبطال، وفي زمن أولئك الرجال، أما نحن في أيامنا فقد صار المسلمون في حالة لا يعلمها إلا الله من الذل والمهانة، والتمزق والتفرق، بقي المسلمون ينظرون إلى الدشوش والتلافز ما يصنعه أعداء الإسلام من الطعن في نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وإن أخذت أحدهم الغيرة، خرج إلى الشارع يهتف بأعلى صوته، أهكذا الدفاع عن دين الإسلام؟ أهكذا الغيرة على نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!، ما هكذا يعباد الله.

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا تورديا سعد الإبل
أين الرجوع إلى الله، أين تعلّم العقيدة؟ أين الولاء والبراء؟ أين البعد عن التشبه بأعداء الإسلام؟ أحدنا ربما لا يصلّي إلا الجمعة، ثم يزعم أنه يغار على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أين إقامة أركان الإسلام؟ أين العمل بتوحيد الله؟ أين المحافظة على الصلوات؟ أين أداء الزكوات؟ أين الوحدة، أين التراحم، أين التأخي؟

ألم يقل الله **جَلَّ وَعَلَا**: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

صار المسلمون يتناحرون ويتقاتلون ويتنافرون، وأعداؤنا يصدقون ويسمون ما يحصل في أوساط المسلمين بـ «الربيع العربي» ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ربيع تسفك فيه الدماء، وتنتهك فيه الأعراض، وتدمر فيه الجيوش، ويفكك فيه أهل الإسلام، ثم يسمى الربيع العربي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فتفككت القوة، وذهب الريح، وتمزق المسلمون، وصار أعداء الإسلام يعبثون بنا وبأراضي، وبشرواتنا، وبديننا، وبشبابنا، والطيران الأمريكي يتنقل من بلد إلى بلد، ويأخذ من شاء، ويضرب من شاء، ويسفك دم من شاء.

كل ذلك لما ضعفت قوانا، وتركنا ديننا، وتمزقنا فيما بيننا، وتناحرنا، وإلا فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** قد ضمن الخلافة والتمكين والنصر والتأييد، لمن آمن به إيماناً صحيحاً، ووحده توحيداً عظيماً، وعمل بسنة نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

ألم يقل نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، كما في الصحيحين عن جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي» قال ومنها: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»^(١).

(١) البخاري: (٣٣٥)، ومسلم: (٥٢١).

أما نحن صرنا نخاف في دورنا، وفي قرانا، وفي بلداننا، من أعدائنا لما تخلينا عن دين الإسلام، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾** [يونس: ٢٧].

وقال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، كما في "مسند أحمد" وغيره ^(١) عن ابنِ عُمَرَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال: **«جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»**.

فالرجوع الرجوع عباد الله، والاستقامة الاستقامة، والتوبة التوبة، من كل ذنب وبدعة، ومن كل تشبه بأعداء الإسلام، وبالرجوع إلى الله، وإلى دين الله **عَزَّ وَجَلَّ**، فإن في ذلك عزنا، ومجدنا، وكرامتنا في الدنيا والآخرة: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾** [النور: ٥٥].

اللَّهُمَّ رُدِّ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا، اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ عليك باليهود والنصارى، فإنهم لا يعجزونك، اللَّهُمَّ عليك بهم وبمن تعاون معهم، اللَّهُمَّ مزقهم كل ممزق، اللَّهُمَّ خذهم أخذ عزيز مقتدر، اللَّهُمَّ احصهم عددا واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحدا، يا قوي يا متين. والحمد لله رب العالمين.



(١) رواه أحمد: (٥١١٥)، والطبراني: (١٤١٠٩)، وهو في صحيح الجامع: (٢٨٣١).

[١٤] الرجوع إلى العلماء

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا،
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ
ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

يا أيها المسلمون عباد الله، إن الله تبارك وتعالى رفع منزلة أهل العلم وجعل
لهم مكانة عالية، وجعلهم منارات يُهتدى بها؛ ولهذا قال النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ»،
كيف لا يكونون كذلك وهم يحملون ميراث الأنبياء الذي قال عنه النبي
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ
أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظٍّ وَافِرٍ».

وهكذا معاشر المؤمنين، قال الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿أَقَمْنِ يَعْلَمَ
أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾
[الرعد: ١٩]، ويقول الله جل وعلا: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا
يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ
لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، أهل العلم جعلهم الله عَزَّ وَجَلَّ حملة
الشرعية بعد موت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فإذا ما كانت الأمة
ترجع عند العضلات إلى علمائها وتَسْأَلُ عما استشكل عليها فإنها بخير والله،
ومتى ما أعرضت الأمة عن أهل الحق وأهل العلم وابتعدت عن آرائهم وعن
أقوالهم المأخوذة من الكتاب والسنة ضَلَّتْ وانحرفت؛ ولهذا قال الله جل وعلا:
﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ولهذا ما قَلَّ العلماء في بلد
إلا وَكَثُرَ شره، وما زاد العلماء في بلد إلا وَقَلَّ شره وازداد خيره، وما مات العلماء

وذهبوا إلا وحصلت الفتن والشور، قال الله جل وعلا في كتابه: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الأنبياء: ٤٤]، قال بعض المفسرين: نقصان الأرض بموت العلماء:

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها فإن يمت عالم يمت طرف

كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها فإن أبى حل في أكنافها العطب

ولو تصفحت القرآن ونظرت في سيرة النبي ﷺ وقلبت صفحت التاريخ لرأيت أمثلة كثيرة ومواقف عديدة أعرض بعض الناس عن أهل العلم وعن أقوالهم وعن نصحتهم وعن توجيههم فحل بهم ما حل؛ لأن أهل العلم يزنون الأمور بميزان الشرع وبميزان الكتاب والسنة عن دين وتقى وزهد وورع؛ ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: (أهل العلم يعرفون الفتن عند قدومها، وجهلة الناس لا يعرفونها إلا عند إدارها).

وإليك أخي الكريم نبذة وأمثلة من هذا الباب: قال الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]، يقول ابن كثير رحمه الله ما معناه: أنه إن لم يتدبر الناس ويرثوا ويتثبتوا ويرجعوا إلى علمائهم فإنه يحصل بذلك الشر، والله يقول في هذه الآية: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، والمراد بهم في هذه الآية: أهل العلم، فإن أولوا الأمر العلماء الصالحون والأمراء المتقون، وتنصب هذه الآية على أهل العلم، أما أن يتصدر الجهلة وأن يتقدموا الكتاب

والسنة ويُعرضوا عن علماء الأمة فإن ذلك يحصل به الشر المستطير، قال النبي ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا: أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»، رواه الإمام مسلم في مقدمة "صحيحه"، وصححه الألباني.

وجاء في "الصحيحين" عن المغيرة قال: أن النبي ﷺ «كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ»، أي: عن الخوض في الكلام ونقله بغير تروٍ ولا تهمس ولا تأكد ولا تحقق؛ ولهذا عباد الله فقد جاء في "الصحيحين" من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمع الناس يقولون: طلق النبي ﷺ نساءه، فانطلق إلى المسجد ووجد الناس يكون في المسجد ويقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فدخل عمر على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أطلقت نساءك، قال: «لَا»، فخرج عمر إلى المسجد وجعل يرفع صوته ويقول: يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه وإنما آلى منهن شهراً، قال عمر: ففي أنزل الله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، قال: فكنت أنا من الذين استنبطوا في هذه المسألة.

الرجوع إلى أهل العلم عند الفتن والمعضلات والمشكلات وسؤالهم عما أشكل فيه سلامة للعباد وسلامة للمجتمعات، والإعراض عن العلم وعن أهل العلم وعن أهل الخير فيه العقوبات العاجلة والآجلة.

وهكذا جاء في "صحيح الإمام مسلم" من حديث يزيد الفقير **رَحِمَهُ اللَّهُ** قال: (كُنْتُ قَدْ شَعَفَنِي رَأْيِي مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةِ ذَوِي عَدَدٍ يُرِيدُ أَنْ نَحْجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وَ ﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢]، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: «اتَّقُوا الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِيهِ -؟» أَي: قول الله جل وعلا: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمُحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ، قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضَعَ الصِّرَاطِ، وَمَرَّ النَّاسُ عَلَيْهِ، - قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَلِكَ - قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّ قَوْمًا يُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، قَالَ: - يَعْنِي - فَيَخْرِجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَسِمِ، قَالَ: «فَيَدْخُلُونَ نَهْرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَغْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرِجُونَ كَأَنَّهُمْ الْقَرَاتِيسُ»، فقال: يزيد الفقير لأصحابه: (وَيُحْكُمُ أَتْرُونَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَرَجَعْنَا فَلَا وَاللَّهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ)، أَي: رأي الخوارج.

انظر كيف استفاد هذا الرجل واستفاد من كان معه يوم أن رجعوا إلى هذا الصحابي الجليل واستفادوا من نصحه واستفادوا من توجيهه، ولو أنهم أعرضوا عما جاء به وعما دعا إليه وعما بينه لربما عاثوا في الأرض فسادًا ولربما وقعوا في سفك الدماء المحرمة.

وهكذا من تلك الأمور العظيمة ما ذكر النبي ﷺ كما في "الصحيحين" عن أبي سعيد: «إِنَّ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذِّلَ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا»، وهكذا الجهلة إذا تصدروا للعلم والفُتْيَا بغير علم، «فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟»، هكذا كلام أهل العلم يوم أن يؤخذ من الكتاب والسنة، يوم أن يؤخذ من الشرع العظيم، يوم أن يؤخذ من دين الله عَزَّ وَجَلَّ يكون سببًا لحل المُعضلات والمشكلات، وسببًا لنجاة كثير من العباد، «وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أَنَا سًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوَاءٌ»، فانطلق الرجل عرف السبب وعرف المرض وعرف المخرج، يعيش في بيئة فاسدة ولو تاب فإنه إن رجع في أوساطهم ربما أثروا عليه مرةً أخرى ولكن ينتقل إلى بلاد الصالحين ويُجالس الأخيار الذين يشدونه على الخير ويأمرونه به ويحذرونه من الشرك، «فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ

المُوتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ...»، والحديث مشهور لدى الجميع، فكان عاقبة أمره أن صار من أهل الجنة بوصية هذا العالم وبسبب نصحه، انظر كيف نجاه الله تبارك وتعالى.



[١٤] الرجوع إلى العلماء

[الخطبة الثانية]

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يُحِبُّ ربنا ويرضى،
وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله **صَلَّى**
اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: القصص في هذا الباب كثيرة، ومما نذكره في هذا المقام ما
ذكر الله **عَزَّ وَجَلَّ** في سورة القصص عن ذلك الملك الطاغية الذي أكرمه الله **عَزَّ**
وَجَلَّ بالنعم الكثيرة، وآتاه الله **عَزَّ وَجَلَّ** من الكنوز العديدة؛ ولكنه لم يشكر نعم
الله جل وعلا بل تكبر وطغى وأصابه الأشر والبطر، قال الله جل وعلا:
﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ
لَتَنْوُؤُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ﴾ [القصص: ٧٦]، أي: لا تبطر،
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ
نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ
ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٦-٧٨]، قارون مع ما أعطاه الله الخزائن التي فيها
أملاكه والتي فيها أمواله مفاتيحها يحملها العصابة من الرجال، بل قد يعجزون

عن حملها ومع ذلك يذكرونه ويذكره الله **عَزَّ وَجَلَّ** أن هناك من كان قبله ممن أُعطي أكثر مما أُعطي قارون فأهلكهم الله فلماذا تتكبر يا هذا المسكين؟ قال الله جل وعلا: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩]، هذا حال الجهلة الذين لا يفقهون دين الله جل وعلا؛ ولهذا ترى في أزماننا وفي أيامنا أن كثيرا من الناس يَنسَاقُونَ وينقادون وراء من يُعطيهم شيئا من الدنيا ومن حُطامها وإن سلب عقيدتهم وإن أخذ كرامتهم وإن أخذ دينهم، ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴿[القصص: ٧٩-٨٠]، الذين لا يتغيرون ولا يبدلون ولا يتأثرون بالدنيا وزخارفها، وإنما يسرون مع الحق أينما كان في الليل والنهار، في السفر والحضر، في السراء والضراء، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]، المال مع الكبر والغطرسة لا ينفع صاحبه بل يكون وبالا عليه، ﴿وَيَلَكُمْ﴾ [القصص: ٨٠]، لماذا تغترون؟ ولماذا تتأثرون؟ وهو صاحب باطل، وصاحب أشر، وصاحب بطر، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأُمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَانِّنُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَانِّنُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنَ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠-٨١]

٨٢، لكن بعد ماذا؟ عرفوا الحقيقة بعد أن وقعوا في الشر، بعد أن نُصِّحوا فلم يقبلوا وعرفوا بعد ذلك، وهكذا الجاهل بعد أن ينغمس في الفتنة، وبعد أن يقع في الشر، وبعد أن يفوته الأوان يعرف أنه كان على باطل، ولو أنه رجع إلى الكتاب والسنة وإلى حملة الكتاب والسنة لحصل على خير عظيم.

أيها المؤمنون عباد الله، كما يُنادي علماء السنة ودعاتها المجتمعات بالرجوع إلى الله جل وعلا، والاستقامة على دينه وترك ما يُخالف ذلك، والناس في باطلهم يعمهون إلا من رحم الله جل وعلا، كم حذر أهل السنة من الثورات والانقلابات؟ كم حذر أهل السنة من الحزبيات؟ كم حذر أهل السنة من المظاهرات؟ كم حذر أهل السنة من شر اليهود والنصارى وتمدد الرافضة المجحدين، ولكن كثيرًا من الناس لا يستجيبيون حتى يحل الفأس بالرأس وحتى يقع الناس في الشر ثم بعد ذلك يندمون، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يجعلون في مناصبهم وفي أماكن الفتوى الجهلة والضلال والمنحرفين الذين يقودون الناس إلى كل باطل ويبعدونهم عن كل خير، قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَتَزَعُهُ مِنْ صُدُورِ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»، متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو.

فالرجوع الرجوع عباد الله، والاستقامة الاستقامة، والإقبال على الأعمال الصالحة وخصوصًا في زمن الفتن، فإن النبي ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا

كَقَطَعَ اللَّيْلَ الْمُظْلِمَ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»، وفي "مسلم" عن معقل: قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«الْعِبَادَةُ فِي الْهَرَجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ»**، والله جل وعلا يقول: **﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾** **﴿آل عمران: ١٣٣-١٣٤﴾**.

فلا يرفع الله جل وعلا ما يحل بالأمة إلا إذا رجعت إليه واستقامت على دينه وقدمت شرع الله جل وعلا على جميع الأقوال والآراء وعلى جميع الأفكار، فكن معظمًا لله ولرسول الله ولدين الله ومحترمًا لأهل العلم وآخذًا بنصائحهم قبل أن تندم في موضع لا ينفع فيه الندم، أو ما سمعت الله يقول: **﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** **﴿النحل: ٤٣﴾**.

نسأل الله جل وعلا أن يدفع عنا وعن بلادنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وعن سائر بلاد المسلمين، **اللَّهُمَّ** من أَرَادَنَا وَدِينَنَا وَبِلَدْنَا بِسُوءٍ فَاجْعَلْ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ، **اللَّهُمَّ** عليك باليهود والنصارى فإنهم لا يُعْجِزُونَكَ، **اللَّهُمَّ** مزقهم كل ممزق، **اللَّهُمَّ** اجعل الدائرة عليهم يا قوي يا متين، والحمد لله رب العالمين.



[١٥] إخراج أهل السنة من أرضهم

[الخطبة الأولى]

إِن الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهُدْيِ، هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها المسلمون عباد الله، إن الناظر في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وما ذكر سبحانه عن أنبيائه ورسله وما قص الله علينا من ذلك، وما جاء في سنة النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يرى أن أعداء الرسل، وأعداء الأنبياء، وأعداء الصالحين يُجاربونهم على مر العصور والتاريخ، ويقفون في طريقهم ويصدون عن سبيلهم، فإن تمكنوا من أهل الحق قتلوهم ولو كانوا من أنبياء الله ورسله، وإن استطاعوا أن ينتهكوا أعراضهم فعلوا، وإن استطاعوا أن يأخذوا أموالهم فعلوا، وإن استطاعوا أن يُخرجوهم من أرضهم فعلوا، وإن استطاعوا أن يشوهوا سمعتهم بالدعايات الكاذبة والإشاعات الفاجرة لا يفتأون عن ذلك ولا يفترون ولا يتأخرون، وكم ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ لنا من ذلك في كتابه الكريم من عداوة الكافرين ومن إليهم من المنافقين وأذيتهم لأهل الإيثار وهذا شيء أراد الله شيء قضاه الله عَزَّ وَجَلَّ وأراده لرفعة درجات أهل الإيثار وبيان منزلتهم وبيان الثابت منهم والصابر المحتسب من المتأرجح المتردد؛ ولهذا قال الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿الم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ انطلق إلى ورقة بن نوفل مع خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ودخل عليه وجعل يُحدثه بما حصل له، فقال له ورقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا ليتني فيها جذعاً إذ يُخرجك قومك، فقال النبي ﷺ: «أَوْخَرَجِيَّ هُمْ» فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ،

لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي وَأُوذِي، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا.

والشاهد من هذا الحديث: (لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي وَأُوذِي)، فمن جاء بمثل ما جاء به النبي ﷺ من الأنبياء السالفين والمرسلين الماضين ابتلاهم الله بأقوامهم وابتلاهم الله عَزَّ وَجَلَّ بأعدائهم فحاربوهم أشد المحاربة، وعاندوهم أعظم المعاندة، ووقفوا في طريقهم، وصدوا عن سبيلهم فمنهم من قتلوه، ومنهم من ضربوه، ومنهم من حاكوا له المؤامرات ووضعوا له العقبات وصدوه عن السبيل كما ذكر الله جل وعلا في كتابه الكريم.

ومن سنة المشركين وطريقة الكافرين: أنهم إن عجزوا عن الحجة والبرهان وصد ما جاء من الشرع والقرآن فإنهم يلجؤون إلى القوة والسلاح ويتكالبون على أهل الإيمان من هنا وهناك؛ ولهذا لما عجز قوم إبراهيم عليه السلام وظهرت حجته عليهم كما قال الله جل وعلا: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣]، لما عجزوا عن مقارعة الحجة بالحجة؛ لأنهم يعبدون الأوثان وهو يعبد الرحمن؛ لأنهم يتبعون الشيطان وهو يتبع الوحي من الله جل وعلا فأجمعوا على قتله وتآمروا على إبادته وتكالبوا من هنا وهنا وجعلوا يُضرمون النيران ويجمعون الأحطاب لما أن هدم أصنامهم وكسر آلهتهم، قال الله جل وعلا: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فنجاه الله تبارك وتعالى، قال سبحانه: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، والشاهد من هذا: أنهم تكالبوا على إبادته: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا

نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿التوبة: ٣٢-٣٣﴾.

وهكذا نبينا ﷺ آذاه المشركون في مكة، وضعوا سلى الجزور على ظهره، خنقه بعضهم بردائه حتى كاد يقتله، رجوه بالحجارة حتى أدموا عرقوبيه، آذوه ولم يكتفوا بذلك بل أخرجوه من أرضه ومن دياره ومن مكانه الذي ولد فيه.

خرج النبي ﷺ من مكة حين أمره الله عَزَّ وَجَلَّ بالهجرة، فلما خرج منها قريباً نظر إلى مكة ثم قال: «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ»، فلم يكتفِ المشركون بذلك، بل أرسلوا خلفه من يُطارده ومن يبحث عنه وجعلوا جائزته مائة من الإبل، فخرج الناس يميناً ويسرة وهم يبحثون عن رسول الله ﷺ الذي خرج فاراً بهذه الرسالة وهارباً من أذى المشركين، قال الله جل وعلا: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، ونستفيد من هذه الآية: أنه كلما اشتد عدا الأعداء وأذى المشركين والمنافقين كلما قَرَّبَ النصر؛ ولهذا قال: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠].

فوصل النبي ﷺ المدينة وبدأ بتأسيس المسجد، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وأقام دولة الإسلام، وبدأ النصر والتمكين، وانتشر الخير، وعمّ النفع، وبدأ يُقاتل المشركين في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ حتى مكّنه الله، وما هي إلا عشر سنين وإذا به يرجع مكة فاتحاً يُحطم الأصنام بعصاه ويقرأ قول الله جل وعلا: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

هذه طريقة أعداء الرُّسل مع الرسل: أنهم يُحاربونهم بشتى الوسائل؛ ولهذا قال الله لنبيه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأَنْفَال: ٣٠].

وهكذا يقول الله عَزَّ وَجَلَّ عن قوم لوط؛ لما عجزوا عن مواجهته بما عنده من البرهان والرسالة: ﴿قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]. فهكذا أعداء الرُّسل وأعداء أهل الإيثار لا يُريدون في أوساطهم من يتطهر، ومن يتزكى، ومن يعبد الله، ومن يوحد الله تبارك تعالی لا يريدون إلا مجتمعات فاجرة، مجتمعات فاسدة، مجتمعات خاسرة لا تعبد الله، ولا توحّد الله، ولا تمتثل أمر الله، ولا تتقيد بشرع الله تبارك وتعالی؛ ولهذا يتكالب أعداء الرسل وأعداء الإسلام على أهل الإسلام من هنا وهناك، وكلما رأوا بلدًا لا زال الخير فيها موجودًا ولا زالت السنة منتشرة إلا وتكالبوا عليها؛ لتفريقها، وتمزيقها، وإضاعتها، وإبعادها عن دين الله تبارك وتعالی، وصدق الله حين قال لنا: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].



[١٥] إخراج أهل السنة من أرضهم

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يُحب ويرضى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون، فإنما سمعتم وقرأتم وربما نظرتم أو نظر بعضكم لما حصل لأهل السنة والجماعة من التهجير من دار الحديث بدماج وإخراجهم من بلدهم ومن ديارهم وأموالهم من قبل أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ومن تحالف معهم من رافضة إيران، ومن تعاون معهم من منافقي هذه البلد له جُرم عظيم وذنب جسيم يُخشى على أهل اليمن وغيرهم أن يُعاقبهم الله تبارك وتعالى عليه، كل من وقف في صف الرافضة، وكل من خذل أهل السنة فإننا والله نخشى عليه أن يُعاقبه الله، وأما أهل السنة والجماعة فإنهم يعتبرون ذلك نصراً من الله فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٣-١٤]، ولقول الله جل وعلا عن موسى ومن معه من المستضعفين يوم أن توعدهم فرعون بالطرد والإبادة والتشريد والإهانة، قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ

فَرَعُونَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿[النقص: ٤-٥]﴾، هذا وعد الله تبارك وتعالى الذي نؤمن به، والذي نتوكل عليه ونعتصم به سبحانه فنقول للعالم أجمع سواء كانت أمريكا أو إيران أو من عاونهم أو من ساعدتهم: فهبوا أنكم أخرجتم أهل السنة من دار الحديث بدماج فما أخرجتموهم من الإيمان، ما أخرجتموهم من القرآن، ما نزعتم الإيمان من قلوبهم ولا السنة من أوساطهم فكلهم قرآن وسنة يدعون إليهما أينما كانوا، بل يزيد ذلك ثباتهم ويقينهم فقد حصل لهم في هذا الابتلاء العظيم من الحصار العاشم، والحرب غير المتكافئة، حصل لهم من العبر، وحصل لهم من الآيات، وحصل لهم من الكرامات ما ازداد به إيمانهم وعظم يقينهم وازداد توكلهم على الله تبارك وتعالى، كيف لا وهم يقرؤون القرآن ليلاً ونهاراً والله جل وعلا يقول في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿[آل عمران: ٢٠٠]﴾، ما قدره الله عزَّ وجلَّ خير وربما لا نعلم: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿[النور: ١٩]﴾، وإنما علينا أن نصبر على طاعة الله، وأن ندأوم على طاعة الله، وأن نمضي قدماً في حفظ القرآن والسنة والعمل بهما والدعوة إليهما، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولنعلم عباد الله أن مؤامرات الأعداء لا تتوقف عند هذا، ولا تنتهي عن مثل هذه القضية فإنها مؤامرات على كل بلاد الإسلام وعلى كل من يقول: لا إله إلا الله، ليست على أهل دماج فحسب بل على كل المسلمين عموماً في بلدانهم، في دينهم، في ثرواتهم، في أخلاقهم، في توحيد صفوفهم، في دمائهم، في أعراضهم، فأعداء الإسلام ليلاً ونهاراً وهم يُدبرون المؤامرات ويحكيونها ويُحططون لها؛ ولكن كما قال الله جل وعلا: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، فنبش السامعين وغيرهم: أن دعوة أهل السنة والجماعة لا تزداد إلا قوة، ولا تزداد إلا ثباتاً، ولا تزداد إلا نصوعاً، أو ما سمعت قول النبي ﷺ إذ يقول: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ»، ونقول للناس أجمعين: مهما حصل لأهل السنة من الظلم ومن الجُرم فإنهم يسيرون وراء الكتاب والسنة لا يتقدمون ولا يتأخرون، لو كان غيرهم لرأيتم العجائب، وها أنتم تُشاهدون وتسمعون من الجماعات والحزبيات ما يصنعون بمقابل ما يحصل لهم من القتل والتشريد، من سفك الدماء وانتهاك الأعراض، وإذا بهم يُقابلون ذلك بِجُرم وبمخالفات شرعية من سفك الدماء وغيرها، أما أهل السنة والجماعة فدعوتهم رحمة للرئيس والمرؤوس، والحاكم والمحكوم، والكبير والصغير، والقوي والضعيف، والغني والفقير؛ لكن ليسوا بمستعدين أن يتخلوا عن دعوتهم وهم مؤمنون بقضاء الله وقدره متوكلون عليه ويعلمون أن هذه الأمور

هي من ضمن الابتلاء والامتحان الذي وعدهم الله به في كتابه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

نسأل الله جل وعلا بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يدفع عنا وعن عقيدتنا وعن بلدنا وسائر بلاد المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم عليك باليهود والنصارى، اللهم عليك بهم فإنهم لا يُعجزونك، اللهم عليك بالرافضة المجوس ومن عاونهم، اللهم زلزل الأرض من تحت أقدامهم يا قوي يا متين، والحمد لله رب العالمين.



[١٦] الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

[الخطبة الأولى]

إِن الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء : ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾
[سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

يا أيها المسلمون عباد الله، يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** في كتابه الكريم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، أهل الإيمان والحق يُقاتلون من أجل الله **عَزَّ وَجَلَّ** وإعلاء كلمته ونصرة دينه وإقامة شعائره، وأهل الباطل يُقاتلون في سبيل الشيطان؛ لإقامة الشرك والوثنية والإلحاد والخروج عن ملة الإسلام: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

إنما يدور في هذه الأيام من الحرب بين أهل السنة والإيمان، وبين أهل الرفض والتشيع والكفر والزندقة؛ إنها حرب بين الإسلام والكفر، إنها حرب بين التوحيد والشرك، إنها حرب بين الحق والباطل، وقد صبر أهل السنة كثيرًا، وتحملوا كثيرًا، وتغاضوا كثيرًا، وتناسوا كثيرًا؛ ولكن أعداء الله **عَزَّ وَجَلَّ** من حفدة المجوس وعُباد الأصنام وأعداء الإسلام أبوا إلا أن يُقحموا أهل الإيمان في هذه المعركة التي ظهر فيها الحق من الباطل، وظهر فيها أنصار الحق من أنصار الباطل، وظهر فيها المؤمنون من المنافقين فإن فيما يدور في هذه الأيام إما مؤمن يُناصر أهل الإيمان بنفسه وماله ولسانه وقوله، وإما مناصر لأعداء الإسلام سواء كان بنفسه أو كان بهاله.

إن أهل السنة والجماعة قد شُوهِت سمعتهم، وقد أُوذوا كثيرًا من قِبَل المبتدعة والحزبيين وأهل الأهواء بل وأعداء الإسلام ووسائل الإعلام وغير ذلك، وهم

تُكّال عليهم التُّهم ليلاً ونهاراً وهم صابرون، كثير من الناس يُعرض عن دعوتهم مع ما فيها من الخير للمجتمعات، هذه الدعوة المباركة التي لها ما يُقارب أربعين سنة في بلد الإيمان والحكمة التي ما عرف الناس منها شرّاً ولا تلقوا منها ضرّاً منذ أن جددها ذلك الإمام: مُقبل بن هادي الوادعي ولم يُعرض عنها ولم يُجاربها ولم يقف في طريقها إلا الحاقدون، إلا المنافقون، إلا أعداء الدين أو من في قلبه مرض أو من لُبِسَ عليه، وها هي تُحاك هذه المؤامرة داخليّاً وخارجيّاً للقضاء على أهل السنة في ذلك المكان العظيم الذي يحوي حفظة القرآن والسنة، والذي يحمل العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله تبارك وتعالى.

وإننا لنعجب عباد الله أن تعود شائعات الرافضة وإعلامهم الكاذب، فيعود على فئام من الناس فيقبلون كلامهم ويسمعون هجومهم مع علم المسلمين بتاريخ الرافضة وما عندهم من العقائد الفاسدة والعقائد الكاسدة، إن الرافضة يا عباد الله لا يُريدون فلائناً ولا فلائناً وإنما يُريدون المسلمين عموماً، يُريدون من يقول لا إله إلا الله، فهذا قائد ثورتهم الذي زُرِعَ في باريس والذي أنشأه أعداء الإسلام وهو الخميني لا رَحِمَهُ اللهُ يطعن في أنبياء الله ورسله ويقول: بأن الأولياء سيكملون المهمة التي عجز عنها الأنبياء، ويقول أيضاً في كتابه: "الحكومة الإسلامية": (إن الأولياء كلامهم أعظم من القرآن)، إذا كان هذا مؤسس ثورتهم وهذا عالمهم وهذا الذي يُمجدونه ويُعظمونه في كل بلاد، وفي بلادنا اليمنية

يُعظمونه غاية التعظيم يقول هذا الكلام: إن أئمتنا لهم كلاماً أعظم من القرآن، فماذا نتظر من هؤلاء عباد الله؟

إن الرافضة شرهم مستطير، وضررهم خطير، وانتشارهم سريع هنا وهناك، إن الرافضة يا أيها المسلمون لا يُريدون صعدة ولا جبالها، ولا صنعاء ولا حجارها، ولا ذمار وما فيها وإنما يُريدون البلاد الإسلامية بأكملها، وفي بلاد اليمن يُريدون ميناء عدن، يُريدون ميناء الحديدة، يُريدون أرض المسيلة، يُريدون مأرب، يُريدون أماكن البترول، وأماكن الثروات؛ لينصبوا على الأمة الإسلامية؛ ولهذا فإنهم يغازلون بعض آباءنا وبعض إخواننا في صُحفهم وفي إذاعاتهم وفي قنواتهم أنهم لا يُريدون أهل الجنوب والعياذ بالله، من الذي يُقتل في دار الحديث بدماج؟ إنهم أبناؤكم، إنها أعراضكم؟ إنهم إخوانكم؟ من الذي يُقتلون في أرض كتاف؟ إنهم أبناؤكم يا أهل عدن، ويا أهل يافع، ويا أهل أبين، ويا أهل حضرموت هبوا لنداء الجهاد لرفع هذه الراية لكسر هذا العدو الصائل الذي يُريد البلاد فأكملها فأف لأصحاب السياسات الذين يُريدون المناصب والدنيا على حساب العقيدة، على حساب الدين، على حساب القيم، على حساب الأخلاق، على حساب الشرف، على حساب الكرامة يُريدون الدنيا وفي الطعن في دين الله تبارك وتعالى، إن في هذه الحرب ظهر أعداء الحق، إما أن تكون مُناصرًا للحق، أو أن تكون خاذلاً له.

ظهر في هذه الحرب من أعداء السنة؟ من أعداء الدين؟ من أعداء الملة؟ إما أن تكون مناصراً للرافضة المجرمين وإما أن تكون مناصراً لأهل الحق وأهل السنة، أهل السنة قد بذلوا أنفسهم وأموالهم وأوقاتهم لنصرة دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** والله ناصرهم، قال الله جل وعلا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، وهو القائل سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣]، ولو تكالب الأعداء، وهذا الحاصل في أيامنا تكالب من اليهود والنصارى ابتداءً بأمريكا دمرها الله وإيران دمرها الله وهكذا بالأعداء في الداخل من الرافضة ومن يُناصرهم ومن يؤيدهم ومن يتعاون معهم والله ناصر دينه، فسنة رسول الله ﷺ تتحطم عندها جيوش الإلحاد؛ ولهذا فقد حاول الرافضة مراراً خلال هذا الشهر والعشرة الأيام مراراً أن يقذفوا أهل السنة بأشد ما يجدون عندهم من الصواريخ والدبابات وغيرها من القاذفات ولكن الله بالمرصاد، نصر أوليائه ودحر أعداءه والنصر من الله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

قامَ قبائل اليمن الشرفاء وأهل السنة النبلاء من هنا وهناك يهبون لنصرة إخوانهم لاستنقاذ أعراضهم لإخراج أطفالهم من ذلك الدمار والإبادة الجماعية، وإذا بأفواه أسكتها الله تقول: بأن هذه حرب سياسية، الدفاع عن الدين حرب سياسية، الدفاع عن العرض حرب سياسية، الدفاع عن الدماء حرب سياسية، أين العقول يا عباد الله؟ فهب يا عبد الله لنصرة دين الله **عَزَّ وَجَلَّ**، إن دماء أهل السنة لا تذهب هدراً، إن دماء أهل السنة التي تُسفك من قبل الرافضة ومن شاركهم فإن من عاونهم أو أيدهم فهو مشارك في تلك الدماء وسيلقى الله جل وعلا بذلك، والله ناصر دينه، وأهل السنة ووطنوا أنفسهم إما شهداء وإما منصورين: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

النصر آتٍ آتٍ بإذن الله تبارك وتعالى؛ ولكنه الابتلاء والامتحان والاختبار، تخلى القريب والبعيد حتى دولتنا وفقها الله تخلت عن رعاياها تخلت عن أبنائها، وهكذا القوات المسلحة وهكذا غيرهم ولكن لنا الله فهو ناصر عباده ومؤيد أوليائه وهو الذي يقول للشيء كن فيكون، وهو الذي يدحر الأعداء، وهو الذي ينصر الأولياء، وهو الذي ينصر عباده فهو القائل في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩]، فنصر الله جل وعلا

لمن سلك دينه وسلك سبيله وعَمِلَ بشرعه وصبر على اللأواء والشدة، وصبر على
 البلاء، وصبر على الامتحان فالله جل وعلا يقول: ﴿الم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ
 يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ
 اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].



[١٦] الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

[الخطبة الثانية]

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يُحب ربنا ويرضى،
وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ
اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

فنبشر إخواننا جميعاً الحاضرين والسامعين، بأن الله عَزَّ وَجَلَّ قد نصر عباده،
وقد أيد أوليائه فهم يوم بعد يوم وأعداء الله عَزَّ وَجَلَّ في ضعف وخَوَرٍ، إن قُتِلَ
من أهل السنة رجُلان قُتِلَ من أولئك الأعداء عشرة، وهكذا تؤخذ جباههم
وتُسحق قواتهم مع ما يملكون من القوة، ومع ما عندهم من الدعم، ومع ما
عندهم من التأييد الإعلامي الداخلي والخارجي ولكنهم مهجورون بإذن الله
تبارك وتعالى.

وإننا وإن تألمنا على إخواننا فإنهم في خير عظيم، والله لقد سبقونا بالخير فإن
الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ
يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ
مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١]،

اختارهم الله، اتخذهم الله، اصطفاهم الله وإنما نحزن على أنفسنا أين نحن من
 نصره دين الله جل وعلا؟ أين نحن من نصره سنة رسول الله
 ﷺ؟ نحن نسمع إخواننا يتألمون والقذائف على رؤوسهم ليلاً
 ونهاراً، أبناؤنا إخواننا أعراضاً ونحن لا زلنا ساكتين ولا زلنا متقاعسين، أما
 أولئك فقد فازوا والله فإن الله جل وعلا يقول: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا
 إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ
 بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢]، هنيئاً والله لمن قدم نفسه من
 أجل الله عَزَّ وَجَلَّ ليس من أجل فلان ولا فلان، من نصر دين الله عَزَّ وَجَلَّ
 وتعاون مع أهل السنة فجزاه الله خيراً أيّاً كان، ومن اعترض ذلك فلا جزاه الله
 خيراً ولا لقاءه خيراً ولا رأى خيراً الذي يصد عن سبيل الله تبارك وتعالى، أهل
 السنة وهم في هذه المضايق وفي أشد المواقف وإذا بهم يُتهمون أنهم في تنظيم
 القاعدة، أو أن تنظيم القاعدة هو الذي يُساعدهم، أو هو الذي سينقذهم ونحن
 والله نبرأ من هذه الأفعال ومن هذه الأقوال، من الذي بين أقوال تنظيم القاعدة
 وطريقهم المنحرف وعقيدتهم الفاسدة؟ إلا أهل السنة حينما نام كثير من
 المسؤولين، حين نام كثير من الوجهاء، حين نام كثير من العقلاء فبين أهل السنة
 هذه الطريقة العوجاء، فليس لنا إلا الله لا تنظيم قاعدة ولا غيره بل نحن برآء
 من أفعالهم ومن طريقتهم ولكن هذا من تنمة المؤامرة، فقد ثبت أن بعض تنظيم
 القاعدة لهم علاقة بإيران فهذا من تنمة المؤامرة، فاصبروا يا أهل السنة فإن النصر

حليفكم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

أهل السنة رفعوا هذه الراية وصرخوا بها صُراخاً على منابرهم وفي مساجدهم وفي جبهاتهم ما تسللوا لواءاً؛ ولهذا يطمئن الجواسيس الذين ينقلون الأخبار هنا وهناك خذها مباشرة من على المنابر فأهل السنة يعلنون ذلك صراحة لا يخافون في الله لومة لائم سواء كان الحوثي وراؤه إيران، أو كانت وراؤه أمريكا دمرها الله تبارك وتعالى؛ لأنهم في مرضات الله وفي نصره دين الله، من عاش منهم عاش سعيداً، ومن مات منهم مات شهيداً حميداً، وهنيئاً لمن كان هذا حاله فإن أقواماً تُسفك دماؤهم من أجل المناصب ومن أجل الكراسي وفي الساحات والشوارع والطرق بغير فائدة تذهب هباءً منثوراً وربما أصحابها يتحملون الأوزار، وأما من قُتل في سبيل الله **عَزَّ وَجَلَّ** فهنيئاً له.

فإياك يا أيها المسلم أن تنظلي عليك الدعايات أو أن تُنفق عندك الشعارات، أو أن تقبل ما يُقال في الجرائد والصحف والمجلات أو في القنوات الفضائية فإن ذلك كله من الحرب على الإسلام وأهله والله مُحِقُّ الحق ومُبطل الباطل: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، الله ناصر دينه ومؤيد عباده: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

فنتعصم بالله عَزَّ وَجَلَّ ونثق به سبحانه ونتوكل عليه وندعوه آناء الليل
وأطراف النهار أن ينصر إخواننا في جبهات القتال.

اللَّهُمَّ انصر عبادك الموحدين في كل مكان، اللَّهُمَّ انصر عبادك المستضعفين في
بلاد سوريا، اللَّهُمَّ انصر عبادك الموحدين في دار الحديث بدماج وفي كتاف وفي
حرض وفي غيرها من الجبهات، اللَّهُمَّ كن لهم مُعِينًا ونصيرًا، اللَّهُمَّ ثبت أقدامهم،
اللَّهُمَّ سدّد رميهم، اللَّهُمَّ اربط على قلوبهم، اللَّهُمَّ عليك بالرافضة الحوثيين، اللَّهُمَّ
مزق أشلائهم، اللَّهُمَّ أفشل مؤامراتهم، اللَّهُمَّ احصهم عددًا واقتلهم بدًا ولا
تُغادر منهم أحدًا، اللَّهُمَّ عليك بهم فإنهم لا يُعجزونك، اللَّهُمَّ عليك بهم وبمن
أيدهم وتعاون معهم يا قوي يا متين، والحمد لله رب العالمين.



[١٧] حرمة القتل

[الخطبة الأولى]

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

يا أيها المسلمون عباد الله، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. يُبين الله عَزَّ وَجَلَّ أنه قد أكمل هذه الشريعة المحمدية ببعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكانت هذه الآية أنزلها الله عَزَّ وَجَلَّ على نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو في حجة الوداع وهو واقف بعرفة في يوم الجمعة فأنزل الله عليه هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ولما كان كذلك فإن نبينا محمد ﷺ خطب في الحجاج في حجة الوداع ثلاث خطب ودع فيها الأمة ووعظهم وذكرهم، وحذرهم وأنذرهم وبين لهم الحقوق العظيمة التي تجب عليهم تجاه خالقهم والتي تجب عليهم تجاه بعضهم بعضاً.

وكان مما قال كما في حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»، فَأَعَادَهَا مَرَّارًا، ثُمَّ

رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ»، وجعل يُشير بأصبعه إلى السماء ثم ينكتها على الناس كما في البخاري من حديث عبد الله بن عباس.

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث العظيم هذه الحقوق العظيمة التي ضيعها كثير من المسلمين: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ»، وحديثنا معكم عباد الله عن حق ضيعه كثير من المسلمين ووقعوا فيه وارتكبوه وقد نهى الله جل وعلا عنه وبين عظمه وعِظَمَ العقوبة التي يجدها من وقع فيه في الدنيا والآخرة: إنها الدماء المحرمة، هذا المنكر العظيم الذي حذر الله جل وعلا منه في كتابه الكريم وحذر منه نبينا ﷺ أعني: دماء المسلمين.

ففي "صحيح الإمام مسلم" قال ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال ﷺ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِأَخَذِ ثَلَاثٍ: الثِّبِّ الزَّانِي، وَالنَّفْسِ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»، المسلمون اليوم تجاه هذا الحق ومقابل هذا الأمر مضيعين له إلا من رحم الله جل وعلا، فما أكثر ما تُسفك الدماء على أتفه الأسباب فترى القتل والقتال هنا وهناك، وربما يُقتل الرجل وهو لا يدري لماذا قُتل، وربما يقتل الرجل وهو لا يدري لماذا قُتل كما قال النبي ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِي أَيِّ شَيْءٍ قَتَلَ، وَلَا يَدْرِي الْمُقْتُولُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ قُتِلَ»، انتشر القتل وسفك الدماء، فهذا يُقتل هاهنا وذاك يُقتل هناك وكأن الأمر هين وهو عظيم عند الله تبارك وتعالى.

أيها المسلمون، إن سفك الدماء المحرمة دماء أهل الإيمان مُحَرَّمَةٌ عند الله جل وعلا، ومن أعظم المنكر والموبقات؛ ولهذا كانت من الكبائر العِظام كما في "الصحيحين" من حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْكَبَائِرَ، أَوْ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ»، وجاء نحوه في "الصحيحين" عن أبي بكرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**.

إذا كان في "البخاري" من حديث ابن عمر قال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»، المعاهد: هو الكافر الذي يكون في بلاد الإسلام بعهد وأمان وضمان من قبل ولي الأمر فإذا قُتِلَ فإن قاتله لا يجد رائحة الجنة، فكيف بالذي يقتل مؤمناً يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ ولهذا جاء عند النسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَزَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»، زوال الدنيا بأجمعها أهون عند الله من قتل رجل مسلم، وروى الإمام الترمذي في "جامعه": من حديث عبد الله بن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الْكَعْبَةِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ: «مَا أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ».

المسلم مكانته عالية، ودمه محرم وماله كذلك، وعرضه كذلك؛ ولهذا جاء في "الصحيحين" من حديث أسامة بن زيد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَّةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: فَصَبَّخْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، قَالَ: وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: فَكَفَّ عَنْهُ

الأنصاري، فطعنته برُحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ لِي: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتُهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، قَالَ: «أَقَتَلْتُهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، «فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، الذي يجترئ على هذا المنكر يُعاقبه الله في الدنيا قبل الآخرة ويُبغضه الله سبحانه، ففي "البخاري" عن عبد الله بن عباس: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ»، ومنهم: «وَمُطَلَبٌ دَمِ امْرِئٍ بَغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِّقَ دَمَهُ».

أيها المسلمون، وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن من ارتكب هذا المنكر يُضيق عليه دينه ويُحشى عليه من أن يموت على الكفر، ومن أن يموت على المنكر، ففي البخاري عن ابن عمر: قال ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا حَرَامًا»، وفي "سنن الترمذي" وغيره عن أبي الدرداء: قال ﷺ: «لَا يَزَالَ الْمُؤْمِنُ مُعْنَقًا صَالِحًا مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَحَ»، وفي "البخاري" عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ، الَّتِي لَا تَخْرُجُ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكُ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ»، بل إنه من الجرائم العظام التي إن لقيَّ العبد بها ربه سبحانه وتعالى يُحشى عليه ألا يُغفر ذنبه، فقد روى الإمام النسائي عن معاوية، وجاء من حديث أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا الرَّجُلُ يَقْتُلُ الْمُؤْمِنَ مُتَعَمِّدًا، أَوْ الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا»، والله جل وعلا يقول في كتابه الكريم: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا

* يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخَذُّ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٨-٧٠﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، فقرن الله جل وعلا قتل النفس المؤمنة المحرمة بالشرك به سبحانه وتعالى.

وهكذا يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** عن ابن آدم: ﴿وَأَنُلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧-٢٩]، وفي "الصحيحين" من حديث عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ»، وعقوبات هذه الجريمة كثيرة في الدنيا والآخرة حسية ومعنوية.

فالحذر الحذر عباد الله، فإن من الناس من يتساهل في هذا الأمر؛ ولهذا ما أكثر ما نرى وما أكثر ما نسمع في بلاد الإيذان والحكمة في هذه البلاد الطيبة من سفك الدماء، فهذا يُسفك دمه من أجل أرض، وذاك من أجل مال، وربما من الناس من يُقتل بغير سبب ولا ذنب وهكذا ولا حول ولا قوة إلا بالله.



[١٧] حرمة القتل

[الخطبة الثانية]

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى،
وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله **صَلَّى**
اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يا أيها المسلمون! إن هذا الذنب عظيم وجرمه جسيم وإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** قد
بين لنا في كتابه الكريم: أنه يجزي الظالم على ظلمه ويأخذ للمظلوم حقه، ويقول
الله جل وعلا في كتابه: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]،
من قُتِلَ ظُلماً فقد جاء عن النبي **ﷺ** كما في حديث ابن مسعود وابن عباس،
وجاء من حديث جرير بن عبد الله **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: قال **ﷺ**: «يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذاً بِيَدِ
الرَّجُلِ يَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي، فيَقُولُ: «فِيمَ قَتَلْتُهُ؟» فيَقُولُ: يَا رَبِّ قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ
الْعِزَّةُ لِفُلَانٍ، قَالَ: فيَقُولُ: «فَإِنَّهَا لَيْسَتْ لَهُ، بُوءُ بَعْمَلِكَ»، وَيَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذاً بِيَدِ
الرَّجُلِ فيَقُولُ: هَذَا قَتَلَنِي، فيَقُولُ: «فِيمَ قَتَلْتُهُ؟» فيَقُولُ: لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِلَّهِ، قَالَ:
فيَقُولُ: «فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِي»، وفي حديث جرير **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** قال: «يَجِيءُ الْمُقْتُولُ آخِذاً قَاتِلَهُ
وَأَوْدَاجُهُ تَشْخُبُ دَمًا عِنْدَ ذِي الْعِزَّةِ، فيَقُولُ: يَا رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي»، فالذي
يرتكب هذا المنكر كيف يُقابل الله تبارك وتعالى؟ وكيف يكون موقفه في ذلك
اليوم؟

جاء من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند الترمذي، ومن حديث ابن عباس وأبي بكرة عند الطبراني وصححه الألباني: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «لَوْ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ عَلَى قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ لَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ»، ما أكثر ما يتساهل بعض المسلمين في ذلك من أجل الدنيا، من أجل المناصب، من أجل الكراسي، من أجل الجاه، من أجل شيء تافه من حطام الدنيا، بل ومن الناس من يسفك الدماء المحرمة ببعض الشبهات التي لبس عليهم بها إبليس الرجيم بزعمهم أنهم يأمرون بالمعروف وأنهم ينهاون عن المنكر فيسفكون الدماء ويزعزعون الأمن وينشرون الرعب بهذه الحجة، وتالله إن قتلهم للأبرياء وسفكهم للدماء لمن أعظم المنكر، ما هكذا يُنكر المنكر، وما هكذا يؤمر بالمعروف.

إن المسلمين جميعاً واجب عليهم أن يأمروا بالمعروف وأن ينهاوا عن المنكر لكن بالضوابط الشرعية والشرعة المحمدية التي جاءت عن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ولا يجوز السكوت عن المنكر لقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُنْكَرْ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»، قال الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، أين هؤلاء الأقوام من هذا الوعيد الشديد من الله جل وعلا وهم يسفكون الدماء، بل منهم من ربما يذبح بعض أهل الإيثار الذين يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويصلون، ويقرؤون القرآن ثم يذبحه بالسكين ويقول: اللهم تقبل مني، هؤلاء يرتكبون هذا المنكر العظيم الذي يُسبب فساد الحرث والنسل، وهؤلاء حققوا لأعداء الإسلام ما لا يستطيعون تحقيقه على مر عصور كثيرة وسنوات عديدة، فالحذر الحذر عباد الله من هذه الطائفة الضالة

ومن هذا الفكر المنحرف، وإننا ندعوهم أن يتوبوا إلى الله، وأن يرجعوا إلى الله، وأن يرجعوا إلى أهل العلم: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]، ما حلوا بلدة إلا وحصل فيها الشر، ولنا عبرة يا أهل هذه البلدة بما حصل لإخواننا في محافظة أبين من سفك دمائهم، ومن تحطيم بنيانهم، ومن تخريب بلادهم، ومن ذهاب الأمن في أوساطهم، وما حصل لهم وكل ذلك بسبب هذا الفكر المنحرف الذي يستشري وينتشر في أوساط الشباب وربما يختطفون الولدان وصغار السن الذين يجدون عندهم الحماس والذين يجدون عندهم الاندفاع.

فالحذر الحذر عباد الله، حافظوا على بلادكم، حافظوا على أبنائكم، أمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر كما جاء في كتاب الله تبارك وتعالى، أما هذه الطريقة ليست من دين الله تبارك وتعالى، وما أكثر تحذير أهل السنة من زمن قديم وهم يحذرون من هذه الطريقة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

فالله الله عباد الله في الرجوع إلى الله والبعد عما حرم الله **عَزَّ وَجَلَّ** من سفك الدماء، وانتهاك الأعراض، وأخذ الأموال وغير ذلك مما حرمه الله تبارك وتعالى.

اللَّهُمَّ ادفع عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين.



ثانياً: المحاضرات والكلمات

[١] تعظيم الله عَزَّ وَجَلَّ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، خلق الله عَزَّ وَجَلَّ العباد لعبادته وطاعته، وأمرهم بتوحيده، ونهاهم عن معصيته عَزَّ وَجَلَّ، وتكفل بأرزاقهم، وكتب ذلك وهم في بطون امهاتهم، وقضى آجالهم سبحانه وتعالى.

ومع ذلك فإن كثيراً من العباد: ﴿عَنِ الصَّراطِ لَنَا كِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٤]، وفيما حرم الله عَزَّ وَجَلَّ واقعون، ولحدوده متعدون إلا من رحم الله تبارك وتعالى، فلو سأل الإنسان لماذا يُعصى ربُّ العالمين سبحانه وتعالى؟ لماذا تارك الصلاة يترك

الصلاة؟ لماذا يقع في الشرك من يقع فيه؟ لماذا يتعاطى السحر من يتعاطاه؟ لماذا يعق والديه من يعق والديه؟ لماذا؟ ولماذا؟

لأسباب كثيرة نذكر سببًا واحدًا، هذا السبب: **هو ضعف تعظيم الله عزَّ وجلَّ في القلوب.**

إذا ضَعُفَ تعظيم العبد لربه سبحانه وتعالى في قلبه فإن ذلك يحمله على معصيته ومخالفة أوامره سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، ما عظموا الله حق تعظيمه؛ ولهذا وقعوا في الشرك، ووقعوا في الكفر وإلا فإن من عَظَّمَ الله سبحانه وتعالى عبده وأطاعه واستقام على شرعه.

أنت تقول في صلاتك في كل انتقال من ركن إلى ركن: «الله أكبر»، وإذا دخلت فيها وافتحتها قلت: «الله أكبر»، وإذا أَدَنَ المؤذن قال: «الله أكبر»، ما معنى: «الله أكبر»؟

إذا كان المسلم لا يُعَظِّمُ الله تبارك وتعالى يقول بلسانه ما لم يخطر على قلبه فالله عزَّ وجلَّ أكبر، وهو أعظم، وهو أعلى، إذا كان الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه الكريم: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة مبهمة ملقاة في فلاة، سبحانه وتعالى، وهكذا يقول الله عزَّ وجلَّ

في كتابه الكريم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

من لم يُعَظِمَ الله حق تعظيمه عصاه وخالف أمره، مع ضعف الإنسان ومع عدم قوته وصغر بنيانه وجسمه ومع ذلك يعصي الله تبارك وتعالى، انظر يمينه ويسرة إلى كثير من المخلوقات العظيمة التي خلقها الله **عَزَّ وَجَلَّ** وجعل لها نظاماً معلوماً موزوناً مُقدَّراً لا يمكن أن تُخالف ذلك النظام، قال الله جل وعلا: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٨-٤٠]، هذه الشمس وما عسى ألدنا أن يكون مقابل الشمس مع كبرها وشدة حرارتها وإشعاعها ومع ذلك تجري إلى أجل مسمى كما أخبر الله في هذه الآية، وهكذا القمر لا يمكن أن يُدرك القمر الشمس ويُسبقها ولا الشمس كذلك وإنما يسيران بنظام معلوم وموزون، وهكذا الليل والنهار هذا يذهب وهذا يأتي لا يمكن أن تحصل المداخلة ولا المعارضة ولا التمرد على أمر الله **عَزَّ وَجَلَّ** القدري، وهذا الإنسان مع ضعفه ومع عجزه يتعدى حدود الله ويخالف أوامر الله سبحانه وتعالى.

إن من عظم الله **عَزَّ وَجَلَّ** في قلبه حملة على مخافته، حملة على تذكر لقاءه سبحانه وتعالى، جاء من حديث أبي هريرة وجاء عن جابر: أن النبي ﷺ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ﴾، وفي رواية: ﴿عَنْ مَلِكٍ﴾، ﴿إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ

أُحَدِّثُ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ وَعُنُقُهُ مُتَنِّ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا»، وفي رواية: «سبحان الله ما أعظم ربنا»، انظر إلى هذا المخلوق العجيب! رجلاه قد مرقت تُخَوِّمَ الأرض رأسه تحت العرش وهو يُعْظِمُ الله، كم تكون رقبة أحدنا؟ كم يكون طوله؟ كم يكون عرضه؟ كم تكون قوته؟ ومع ذلك يعصي الله ويغفل عن عبادته، ويتعدى حدوده ويخالف أوامره، إذا وجد التعظيم في القلب من العبد للرب سبحانه وتعالى سار سيرًا صحيحًا.

يا أيها الناس: لو عَظَّمَ الإنسان ما ذكر الله في كتابه مما هو تحت قدرته جل وعلا مما أعد لعباده الصالحين أو توعده به الكافرين في الدار الآخرة؛ لحمل العبد ذلك على الطاعة، جاء في الصحيحين عن جماعة من الصحابة: قال النبي ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّائِبُ الْجَوَادُ الْمُضْمَرَّ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا»، يا ترى كم طول هذه الشجرة؟ وكم عرض هذه الشجرة التي خلقها الله عَزَّ وَجَلَّ في الجنة؟ وما هي إلا شجرة واحدة.

وبالمقابل في النار، في "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة: قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ضَرَسُ الْكَافِرِ، أَوْ نَابُ الْكَافِرِ، مِثْلُ أُحُدٍ»، يُضَخِّمُهُ اللَّهُ وَيُعْظِمُهُ اللَّهُ حتى يجد ألم العذاب: «ضَرَسُ الْكَافِرِ، أَوْ نَابُ الْكَافِرِ، مِثْلُ أُحُدٍ»،

«إِنَّ بَيْنَ سَعَةِ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَغَاتِقِهِ، مَسِيرَةَ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^(١)، أو كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

فما أحوجنا إلى أن نُعَظِمَ الله سبحانه ونستشعر ما نقوله من العبادات، أنت تدخل في الصلاة فتقول: «اللهُ أَكْبَرُ»، فينبغي أن تعلم ما معنى: «اللهُ أَكْبَرُ»؟ فإذا ركعت قلت: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، ينبغي أن تعلم ما معنى هذه العبارة، فإذا سجدت قلت: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، ينبغي أن تعلم معنى هذه العبارة حتى تتلذذ بالعبادة وتقوم بمقتضاها، وتسير على ما أراد الله سبحانه وتعالى، جاء في البخاري من حديث جابر قال: (كنا) أي: (في زمن النبي ﷺ)، أي: في السفر: (إذا نزلنا سبحنا، وإذا صعدنا كبرنا)، ما هو المناسبة: أن المسافر إذا نزل يُسبح، وإذا علا يُكبر؟

قال أهل العلم: أنه مهما ارتفعت فالله أكبر، مهما علوت فالله أعلى، وأنه مهما نزلت فيجب أن تُنزه الله، فإن سبحان الله أي: أنزه الله عن هذا السفول فهو أعلى وهو العلي الأعلى كما في كتابه الكريم، هذا كله من تعظيم الله سبحانه وتعالى.

(١) في صحيح الترغيب والترهيب: (٣٦٨٤)، صحيح موقوف عن ابن عباس.

فيجب على العبد أن يُعظم ربه **عَزَّ وَجَلَّ**، وأن يتفحص قلبه أين هو من تعظيم الله؟ أين هو من تعظيم شرع الله؟ أين هو من تعظيم كتاب الله؟ وكلام رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، إنه لا ينبغي بل لا يجوز للمسلم أن يكون كلام ربه سبحانه وتعالى يقرأه كما يقرأ الجرائد والمجلات، عبارات لا يفهما، ولا يتلذذ بقراءتها، ولا يعمل بمقتضاها وإنما كعادة من العادات، تدخل المسجد وأنت تقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ»، العظيم: هو الذي يراك، العظيم: هو الذي خلقك، العظيم: هو الذي يعلم سرّك ونجواك، تدخل من باب المسجد وأنت تقول: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَيَوَجِّهَهُ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، تنتهي من صلاة الفريضة ثم تقول: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»، تُظهر فقرك وحاجتك وضعفك إلى الله سبحانه وتعالى، وتطلب منه المعونة، وهذا هو التعظيم فأنت لست بحيلتك ولا بذكاك حافظت على الصلاة وأديتها في جماعة، فكثير ممن تركوا الصلاة ربما أذكى منك، وأكثر منك مالا، وأقوى منك شخصية؛ ولكنه توفيق من الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا علمنا النبي **ﷺ**: أن نلجأ إليه في كل خير نفعله، وأن نلجأ إليه في دفع كل شر يُلاقينا: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»، التجاء إلى الله وتعظيم الله سبحانه وتعالى، وإظهار للفقر والذلة والمسكنة بين يديه سبحانه، أو ما سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: ١٥-١٦].

انظر في سائر المخلوقات التي خلقها الله تبارك وتعالى كيف ذللها؟ وكيف سيرها؟ وكيف جعلها تسير بنظام معلوم موزون: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]، من الذي امسك السماء حتى لا تقع على الأرض؟ إنه الله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النحل: ٧٩]، من الذي يسر لهذه الطيور وهذه النسور: أن تقف في السماوات، وأن تطير في السماء، وأن تجوب الهواء؟ إنه الله سبحانه وتعالى.

وهكذا لو نظرت في سائر المخلوقات التي خلقها الله جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧]، الإبل وحش من الوحوش؛ لكن الله ذلله وربما تجد طفلاً صغيراً يقودُ بعيراً كبيراً، ربما لو هاج لأكل كذا وكذا من الناس، ومع ذلك يُدللُّ الله سبحانه وتعالى فيقوده طفل صغير بخطامه يمنة ويسرة: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، إلى آخر الآيات.

إذاً لا بد أن نتفكر وأن نتذكر عظمة الله سبحانه وتعالى، وأنا بحاجة إلى رحمته، وبحاجة إلى عفوه، وبحاجة إلى حفظه، وبحاجة إلى النجاة من عذابه سبحانه وتعالى يوم القيامة، فإن هذا يَحْمِلُنَا على أداء الواجبات وترك المحرمات،

أما إذا ذهب التعظيم من القلوب لعلام الغيوب فإن هذا يؤدي بالعبد إلى التمرد وإلى العصيان فيقع في الضلال في الدنيا والهلاك في الآخرة.

وفق الله الجميع لما يُحب ويرضى والحمد لله رب العالمين.



[٢] مَا خُلِقْنَا عَبَثًا

الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يُحِبُّ ربُّنا ويرضى، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، **صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم**.

أما بعد:

أولاً: نحمد الله تبارك وتعالى الذي وفقنا وإياكم لأداء هذه الشعيرة العظيمة وهذه الفريضة التي طالما فرط فيها كثير من المصلين، ولا أقول المسلمين ولكن كثير من المصلين، ترى أحدهم يُصلي الجمعة ثم يتخلف عن صلاة العصر، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، والصلاة الوسطى في أصح قول أهل العلم: هي صلاة العصر؛ لحديث علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** في صحيح مسلم، قال النبي **ﷺ**: «شَغَلُونَا عَنْ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ»، فهي الصلاة التي خصها الله **عَزَّ وَجَلَّ** بالذكر من بين سائر الصلوات مع أنها داخلة في العموم المتقدم: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ومنها صلاة العصر: ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨].

فمن حافظ على هذه الشعيرة فليحمد الله سبحانه وتعالى فإن له من الفضل الشيء الكثير والثواب الجزيل: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، والبردان: صلاة

الفجر وصلاة العصر، متفق عليه عن أبي موسى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

أيها الإخوة الكرام، ينبغي أن نعلم جميعًا: أن الله عَزَّ وَجَلَّ ما خلقنا عبثًا، ولا أوجدنا هملاً، وإنما خلقنا لعبادته وطاعته وإقامة دينه في أرضه؛ ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ [المالك: ١-٢]، خلقنا للابتلاء وجدنا للامتحان، فمن الناس من يفشل في هذا الامتحان ويضيع عليه عمره، ويذهب عليه شبابه، وتذهب صحته، وتفوته أيامه وهو في غفلة وإعراض وبُعد وشرود؛ ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا التَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١-٣].

من الناس من يفشل فتفوته الأيام والليالي ويشيبُ رأسه ويُدرکه الموت وهو في غفلة وإعراض وبُعد عن الله تبارك وتعالى، لا يتعظ بالمواعظ والذكرى، ولا يعتبر بمن حوله، ولا ينظر ولا يتفكر، ولا يقرأ وإن قرأ لا يتدبر تضيع عليه أغلى الأوقات وأجل الأيام وهو في معصية الله عَزَّ وَجَلَّ، قال النبي ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»، رواه البخاري عن ابن عباس.

كثير من الناس يُغش ويُخدع في دينه، في صحته، في عبادته، في عُمره، في أوقاته؛ لكنه لا يرضى أن يُغش وأن يُخدع في أمور الدنيا التافهة وشهواتها الفانية، بل تجده حريصًا ذكيًا كما قال الله جل وعلا: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

شرع الله عَزَّ وَجَلَّ لأهل الإسلام أن يجتمعوا في كل اسبوع يومًا فيعظهم خطيبهم ويكلمهم إمامهم بذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، كما قال في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]، فيعظهم خطيبهم، وربما ذكرهم بالموت، والجنة، والنار، والقبر، والحساب، والجزاء، والصراط، والميزان، وربما حذرهم من الشرك، والبدع، والخرافة، والمعصية، ورغبهم في الأعمال الصالحة، فإذا خرج الناس من صلاة الجمعة كأن لم يكن شيء، فإذا جاءت صلاة العصر لا ترى أحدًا يزيد على العدد المعتاد، أين الذين حضروا تلك الخطبة؟ أين الذين اتعظوا بكلام الجبار سبحانه وتعالى، والخطيب يخطب وربما علا صوته، واشتد غضبه، واحمر وجهه وهم يهزون رؤوسهم لكن أين العمل؟ وأين التطبيق؟ وأين السير الصحيح؟

يا أيها الناس، نقرأها في كل صلواتنا، سواء كنا أئمة أو مأمومين أو منفردين، ونحن نقول ونكرر: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، ومع ذلك يخرج أحدنا وإذا به ينحرف يمنة ويسرة، ربما لا يتجاوز مسجده أمتار وإذا به ينحرف

عن الصراط المستقيم، لماذا لا يُستجاب لهذا الدعاء؟ لا بد من البحث عن الأسباب والنظر في العقبات والموانع التي تكون بيننا وبين إجابة الله **عَزَّ وَجَلَّ** لنا، هذا أعظم دعاء تدعو الله **عَزَّ وَجَلَّ** به، هل استحضرتَه؟ هل تفكرت في عظيم معناه وأنت تقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، بعض الناس ربما لا ينتبه إلا إذا سمع الناس يقولون: آمين، وإلا ربما لا يدري ما الذي قرأ، ولا ما الذي سمع، ولا ما هي السورة التي قرأها الإمام، ولا ما هو الموضوع الذي خطب عنه، أحدهم ربما يقف تحت الإمام وتحت الخطيب والخطيب يزجر من أول خطبته إلى آخرها وهو يحذر مثلاً: من الربا وعقوبة المرابين، وربما صاحبنا يتعامل بالربا، يهز رأسه، وربما تدمع عينه ولكنه كأنه يظن أن المعني غيره، فيخرج من صلاته ولم يُغير شيئاً، ولم يُصلح من حاله.

أيها الناس، قست القلوب بسبب الذنوب، كما قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، فالذنوب أول ما تؤثر على القلب، فإذا فسد القلب فسدت الجوارح: ﴿أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ﴾، السمع يفسد، والبصر يفسد، واللسان يفسد، واليدان، والقدمان، والفرج كل هذه الجوارح تفسد إذا فسد القلب، وفساد القلب بمعصية الله تبارك وتعالى، فيصير العبد لا يعرف معروفاً

ولا يُنكر منكراً، يسمع المواعظ والذكرى، يقرأ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكأنه صخرة صماء لا يتأثر بها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يا أيها الناس، جاء عن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أنه قال كما في "البخاري" و"أحمد" من حديث بُريدة: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»، وعند أحمد: «مُتَعَمِّدًا»، «حَبِطَ عَمَلُهُ»، كم الذين يتركون صلاة العصر متعمدين؟ ذاك يتركها في جماعة ويؤخرها إلى غروب الشمس، وآخر يتركها بالكلية تذهب أعماله كلها: قراءته للقرآن، صيامه لرمضان، حجه لبيت الله الحرام، صدقته، إحسانه للجيران، بره للوالدين، تسبيحه، دعاؤه، استغفاره كل ذلك يذهب هباءً منثورًا، يحبط؛ لأنه ترك صلاة متعمدًا وهي صلاة العصر.

قال بعض أهل العلم: الحديث عام في كل الأعمال، وقال بعضهم: تُحْبَطُ أعمال ذلك اليوم الذي ترك فيه صلاة العصر، وهذه مُصِيبَةٌ إِذَا لَقِيَ اللَّهَ **عَزَّ وَجَلَّ** وهو على هذه الحالة وقد حبطت أعماله، فانظروا ما أشد هذا التفريط، المصلون في صلاة الفجر معدودون في كل مسجد إلا إذا كان مسجد مدينة يزدهم الناس فيها وإلا فالمصلون معدودون وكأنها وضيعة عمل يعملون في شركة من الشركات قد سُجِلَتْ أَسْمَاؤُهُمْ ووضعت أرقامهم، فإذا جاء الإنسان إلى المسجد فلان وفلان وفلان، وربما تخلف واحد من المسجلين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وبقية الناس أليسوا من أمة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**؟ أليسوا ممن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله؟ أليسوا ممن ينتسب إلى الإسلام ويكتب في

أوراقهم ووثائقهم الديانة: مسلم، أين الإسلام؟ قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**:
«لَتَنْقُضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالَّتِي تَلِيهَا، وَأَوَّلُهُنَّ نَقْضُ الْحُكْمِ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»، الصلاة آخر شيء، إذا نقضها
المسلم ما بقي معه من دينه شيء: ﴿ **فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ**
فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ [التوبة: ١١]، ومفهوم الآية: إذا انعدمت هذه الصفات فلا
إخوة في الدين: **«مَا بَيْنَ الرَّجُلِ وَالشَّرْكِ»**، أي: الكفر: **«تَرَكُ الصَّلَاةَ»**، هذا هو
الحد الفاصل، والحديث في "صحيح الإمام مسلم" من حديث جابر بن عبد الله.

فالله الله عباد الله في المحافظة على طاعة الله **عَزَّ وَجَلَّ** ما استطاع المسلم إلى
ذلك سبيلاً، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبذل النصيحة للغير فإن هذا
والله منكر عظيم: أن تكثر مساجدنا ويقل فيها العباد الصالحون: ﴿ **فِي بُيُوتٍ**
أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * **رِجَالٌ لَا**
تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا
تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [النور: ٣٦-٣٧]، وإذا نظرت بالمقابل لأمر الدنيا
تجد الناس يزدحمون، ويتقاتلون، ويتضاربون، لو أعلم شخص من فاعل الخير أو
من أي الجهات: بأنه سيوزع للناس مواد غذائية لكل رجل كيساً من الدقيق في
مكان كذا وكذا، والله لو أعلم أن التوزيع بعد منتصف الليل لرأيت الناس
يزدحمون ولا حول ولا قوة إلا بالله، كيف وربك سبحانه وتعالى يقول عنه نبيه
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نَزْلاً كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»**،

أي: ضيافة في الجنة، ولا مقارنة بين أمور الآخرة والجنة وبين أمور الدنيا وحُطامها، فأين الثرى من الثُريا؟ ولكنها ذهبت العقول، وطرأت الغفلة، وابتعد الناس عن دين الله عَزَّ وَجَلَّ.

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه: أن يوفقنا وإياكم لما يُحب ويرضى.

والحمد لله رب العالمين وبارك الله فيكم.



[٣] النَّصْرُ لِلْإِسْلَامِ

الحمد لله، حمداً طيباً مباركاً فيه، كما يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَى، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، تسليماً كثيراً مزيداً إلى يوم الدين.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

فإن الناظر في أحوال الأمة الإسلامية وما يعانونه من تسلط الأعداء، وما يعانونه من الضعف، وما يعانونه من التفرق، وما يعانونه من الحَوَرِ ربما يبعث في أنفُس كثير من الناس الإحباط، وأن أعداء الله عَزَّ وَجَلَّ قد ملكوا زمام الأمور وسيطروا عليها، وأن أهل الإسلام لا بقاء لهم ولا كيان لهم ولا رفعة لهم وهذا ظن خاطئ وفهم غير سديد، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ قد بين لنا في كتابه الكريم: أن العاقبة للتقوى، وأن دينه عَزَّ وَجَلَّ منصور، وأن أوليائه من أهل الإيمان منصورون بإذن الله تبارك وتعالى مهما حصلت الابتلاءات، ومهما حصلت النكبات، ومهما حصلت الأذيات، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ أيضاً في كتابه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا

﴿النور: ٥٥﴾، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ أَيُّضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

مهما اشتد الأذى، ومهما تكالب الأعداء، ومهما عَظُمَ الكرب فإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب كما أخبر النبي ﷺ، مهما تداعى الأعداء من هنا وهناك بجحافلهم ومخططاتهم وأعدادهم وأذنانهم وأموالهم فإن الله عَزَّ وَجَلَّ ناصر دينه؛ ولهذا فإنه لا يجوز للمسلم: أن يظن أو يعتقد أن الكفر سينصر على الإسلام نصرًا مطلقًا، وإنما تحصل الابتلاءات والامتحانات وإن حصل التكالب، كما قال النبي ﷺ في حديث ثوبان عند الإمام ابن ماجه: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْكُمْ غَنَاءٌ كَغَنَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، ونحن نعيش هذا الوهن، ونلاحظه ونشاهده: «وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»، وفي رواية: «حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

مع هذا كله ومع ما نشاهده ولكن نبينا ﷺ قد ترك لنا ما يُفرح القلوب ويُسعد النفوس من البشارات العظيمة في نصرة دين الله تبارك وتعالى

عاجلاً أو آجلاً، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، متفق عليه، وقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كما في صحيح مسلم من حديث ثوبان: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ»، إلى آخر الحديث.

ومن تلك البشارات العظيمة: ما جاء في الحديث المتواتر الذي رواه البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة: أن النبي **ﷺ** قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»، هذا حديث متواتر يُطمئن القلوب: بأن أهل الحق منصورون، وأن أهل الحق موجودون وإن حصل الابتلاء والامتحان:

الْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُتَحَنٌّ فَلَا تَعْجَبْ فَهَذِي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ
هكذا يقول ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى.

وهكذا يُبين نبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: أن أهل الحق لا يزالون مستمرين في خيرهم وفي استقامتهم، وفي طريقتهم، وفيما يحملونه من الحق: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ»، منصورون راياتهم مرفوعة، وآياتهم باهرة، وحججهم قاهرة؛ لأنهم يحملون الحق من الكتاب والسنة، والله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

هذه الطائفة الناجية المنصورة التي بين النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** أنها تستمر إلى قيام الساعة تجعلنا نؤمن: بأن الباطل يضمحل ويفشل مهما علا وارتفع، مهما كثر أنصاره، مهما كثر أعداد حامليه من الأسلحة الفتاكة والأمور المادية إلا أن الله ناصر دينه وعباده، أو ما سمعت قول الله **عَزَّ وَجَلَّ** حيث قال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]، ويقول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

وفي هذا الحديث العظيم يقول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ»؛ لأنهم مطمئنون لما يحملون، وواثقون من الطريق التي يسиров عليها فلا يتأرجحون، ولا يتزعزعون، ولا يتشككون، خالفهم من خالفهم، عارضهم من عارضهم ممن كان في صفوفهم أو ممن كان خارجاً عنهم، وهكذا صاحب الحق لا ييالي بمن شرق أو غرب إذا أيقن أنه على الحق وسار على الحق وعمل بالحق ودعا إلى الحق ولو أعرض عنه كل الخلق فإن أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام عارضهم أقوامهم وخالفوهم، فصبروا وساروا واستمروا ودعوا إلى الله تبارك وتعالى ولم يرجعوا يوماً من الدهر، ولم يعرضوا عما هم عليه من الخير: «لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ» أي: من غيرهم، «وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ»، بخلاف المناهج المنحرفة التي تنتسب إلى الإسلام،

لو رجع بعض رموزها لرأيت الخلل يعلوها والضعف يدب فيها؛ لأنها مبنية على الرجال وليست مبنية على الحق من الكتاب والسنة، مبنية على الأفكار البشرية وليست مبنية على الأوامر الإلهية من كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** ومن سنة رسوله **صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم**.

يا أيها الناس، هذا الحديث الذي سمعت الحديث المتواتر، يبعث في أنفسنا الأمل مع ما نشاهده ومع ما نسمع به مما يحل بالأمة الإسلامية هنا وهناك من القتل والتشريد، والتفريق والسحب، وانتهاك العرض والأرض والمال، والدين والعقيدة، إلا أننا نؤمن أن الحق منصور، وأن أهله منصورون عند الله تبارك وتعالى، أو ما سمعت الله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول في كتابه الكريم: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

وفي هذا الحديث العظيم: وصف لهذه الطائفة التي بشر النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** الأمة ببقائها، وظهورها، ونصرها، واستمرارها، وصفها بأوصاف عظيمة في هذا الحديث العظيم.

أولاً: أنها مستمرة على الخير، وعلى حمل الحق وعلى العمل به وعلى الدعوة إليه، فلا تنقطع يوماً من الأيام، ولا تتخلى عن الحق الذي عرفته والتي حملته فهي مستمرة لا تزال، فهذا من الأفعال التي تدل على الاستمرار، فهذه الطائفة لا تزال مستمرة لا تكل ولا تمل ولا تتعرقل وإن حصل لها ما حصل فإنها تستمر بإذن الله

تبارك وتعالى، ما أعظم هذا الحديث: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ»، ومن حمل الحق ظهر، ومن حمل الحق انتصر، ومن حمل الحق غلب خصومه بإذن الله تبارك وتعالى، فيها هو نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** لما عرض عليه المشركون الأموال والنساء والمُلْكُ أعرض عن ذلك كُلِّه، ثم قرأ عليهم ما يُثَلِّج الصدور، وهكذا يُحْطَم ما في قلوب أعداء الله تبارك وتعالى، فتلى عليهم من سورة فُصِّلَتْ إلى قول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣]، قناعة وصدع بالحق وصبر عليه وإن فعل الأعداء ما فعلوا؛ ولهذا يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** لنبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٩]، كم حصل للنبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من الأذية؟ هل تأخر؟ هل تراجع؟ هل تقهقر؟ لا والله وإنما مضى قُدَّماً وثبت ثبوت الجبال وواجه الأعداء كلهم بقوله وفعله **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

يأتي أحدهم فيضع سلى الجزور على ظهره وهو يُصلي لربه تبارك وتعالى، ويأتي الآخر فيخنقه بردائه حتى يكاد يقتله ويفك عنه أبو بكر الصديق **رضي الله تعالى عنه** ويقول يا أيها الناس: أقتلونا رجلاً أن يقول ربي الله.

وهكذا آذوه وسخروا منه وأشاعوا عليه الإشاعات الكاذبة: فتارةً يقولون ساحر، وتارةً يقولون: كاهن، وتارةً يقولون: كذاب، بل اجتمعوا على قتله وسفك دمه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

هل ضره ذلك؟ أو حرك فيه شعره؟ لا والله، بل إنه صبر وصابر واستمر: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ»**، فأظهر الله **عَزَّ وَجَلَّ** ما جاء به نبيه **ﷺ** في فترة وجيزة، وفي سنوات معدودة وإذا به يرجع مكة فاتحاً لها بعد أن خرج منها وهو مُطارِد يختبئ في غار ثور ويبقى فيه ثلاثة أيام يغيبُ عن أنظار المشركين حتى لا يُصيبه أذى، يقول أبا بكر: وقد اقتربوا من باب الغار: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدمه لأبصرنا، فقال له **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِأَنْتَيْنِ اللَّهُ تَالِهُمَا؟»**.

خرج النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من بلده وهو لا يريد الخروج؛ ولكن آذاه قومه فأمره الله **عَزَّ وَجَلَّ** بذلك، ننظر إلى مكة عند خروجه وقال: **«وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَيَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلَا أَنِّي أَخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ»**، رواه الإمام أحمد من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ الْحَمْرَاءِ، وما هي إلا عشر سنوات وإذا به يرجع إلى مكة فاتحاً ويكسر الأصنام بيده ويقول: **﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾** [الإسراء: ٨١].

إذاً: فليفعل الأعداء ما شاءوا سواء كانوا من الرافضة المجوس، أو اليهود، أو النصراني، أو الروس أو غيرهم من أعداء الله **عَزَّ وَجَلَّ** فإن النصر حليف أهل

الإسلام قَرَبَ الوقت أم بَعُدَ، ألم يقل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** في أحاديث كثيرة: أن النصر للإسلام وأن هذا الدين كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»، هذا حديث صحيح من حديث المقداد وهكذا من حديث أبي بن كعب وآخرين، وهو في "السلسلة الصحيحة" للعلامة الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ**.

إِذَا: فديننا منصور وديننا ظاهر بإذن الله تبارك وتعالى، ولكن لا بد من الابتلاء، ولا بد من التمحيص، ولا بد من الاختبار: ﴿الم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

ومع ذلك معاشر المؤمنين، فإنه يجب علينا أن نأخذ بالأسباب الشرعية المذكورة في كتاب رب البرية، وفي سنة خير البرية نبينا محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** التي تُؤهلنا لنتصر على أعدائنا ويُقهرُ المشركون كما أخبر الله في كتابه وفي سنة نبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فالله وعد بالنصر، ووعد بالتمكين، وذهب الخوف وحلول الأمن، وحصول الخلافة لأهل الإسلام واشترط عليهم في هذه الآية ثلاثة شروط: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]،

فاشترط الله: إقامة التوحيد، والبُعد عن الشرك، والإيمان الصحيح، والعمل الصالح، فإذا كان أهل الإسلام في هذه الأبواب الأربعة كما أراد الله فلن يُخيب الله سعيهم ولن يُضل عملهم، ولن يُمكن لأعدائهم؛ لكن أين نحن من توحيد الله؟ أين نحن من العقيدة الصحيحة؟ أين نحن من التفقه في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ**؟ أين نحن من حفظ القرآن يا أمة القرآن؟ أين نحن من العمل به؟ أكثر أهل الإسلام يجهلون دين الله تبارك وتعالى؛ ولهذا يتنازلون عنه، ويتأخرون عنه، ويُساومون من أجل غيره؛ لأنهم جهلوا دين الله تبارك وتعالى، فكان من السهل أن يُبعدوا عنه، وأن يُفارقوا، وأن يؤخذوا ذات اليمين وذات الشمال، ولو عرفوا عقيدتهم، وتعلموا دينهم، وحفظوا كلام ربهم وسنة نبيهم **ﷺ** ما استطاع أعداؤهم أن يفرقوهم ولا أن يمزقوهم، وما استطاع أعداؤهم أن ينتصروا عليهم، ارجعوا قليلاً في التاريخ من الذين نصرهم الله **عَزَّ وَجَلَّ** في معركة بدر، وفي معركة الأحزاب، ويوم فتح مكة، وفي غزوة خيبر، وهكذا في تبوك، ويوم القادسية وغيرها من تلك المعارك العظيمة.

إن الله عز وجل نصر أهل القرآن، أهل التوحيد، أهل العقيدة الصحيحة الذين توكّلوا على الله حق توكّله، الذين اعتصموا به سبحانه فهو نعم المولى ونعم النصير، الذين حملوا العقيدة التي لا يُمكن أن يتزحزح أصحابها ولا أن يبيعوها، ولا أن يتخلفوا عنها فباطن الأرض خير لهم من ظاهرها أن يتخلوا عن عقيدتهم وعن منهجهم، ما نصر الله **عَزَّ وَجَلَّ** المهاجرين والأنصار ومن سار على طريقهم

من التابعين الأخيار إلا لما يحملونه من هذه العقيدة، إلا لما يحملونه من هذا التوحيد، إلا لما يعملونه من الأعمال الصالحة، إلا لما يحملون في قلوبهم من الإيمان الصحيح الصافي النقي الذي أمر الله به سبحانه في كتابه الكريم وفي سنة نبيه **صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم**.

أيها المؤمنون عباد الله، تخلف المسلمون عن أسباب النصر فحل بهم ما حل، وقد أخبر الله **عَزَّ وَجَلَّ** أنه ليس بيننا وبينه قرابة ولا نسب، وأنا عباده إن أطعناه أكرمنا، وإن عصيناه عاقبنا، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** عن الأمم الماضية الجاحدة: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الزمر: ٥١]، إذاً ليس بيننا وبين الله قرابة ولا نسب، وإنما هي أعمالنا وإيماننا وطاعاتنا، من أطاع الله **عَزَّ وَجَلَّ** أكرمه في الدنيا والآخرة، ومن عصى الله تبارك وتعالى حل به ما حل من العقوبة العاجلة والآجلة كما أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه، وكما جاء في "صحيح البخاري": من حديث أبي هريرة: قال **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

نجح أعداء الإسلام في نشر المخالفات الشرعية في أوساط الأمة المحمدية وارتكاب الجرائم والموبقات والكبائر، وترك الواجبات والفرائض، وهذا الذي يُريده أعداء الإسلام من هذه الأمة حتى إذا تساوا معهم حصل لهم الضعف، وحصلت لهم الهزائم، وحصل لهم الذل، ونُزعت المهابة من قلوب الأعداء، جاء

من حديث قرة بن إياس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عند الإمام الترمذي وغيره، وهو في الصحيح المسند: قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ، فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ»، قال أهل العلم: معنى الحديث: أنه إذا وصل الحال بأهل الشام إلى أن انتشر في أوساطهم الفساد فهذا يدل على أن هذه الأمة قد أصابها ما أصابها من البُعد، ومن الشر، ومن المعاصي، ومن المخالفات، وانظر إلى ما يعيشه أهل الشام، نجح أعداء الإسلام في نشر الفساد في تلك البلاد وفي غيرها لا تكاد تجد امرأة متحجبة حجابًا شرعيًا إلا الشيء اليسير وهذا الذي يهدف إليه أعداء الإسلام، يسعون إلى سلب عقيدة المؤمنين عومًا وعقيدة أهل الشام خصوصًا، إلى نزع الحياء من قلوب الرجال والنساء عموماً ومن أهل الشام خصوصًا، يسعون ليلاً ونهاراً أن يحولوا تلك البلاد إلى أن تكون قطعةً من دول الكُفر الأوربية التي يعيش أصحابها كما تعيش البهائم لا إيمان يضبطهم، ولا عقيدة تقودهم، ولا دين يسرون خلفه، وإنما كما قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢]، بل هم يعيشون حياةً هي أرذل من حياة البهائم، فيريدون لهذه الأمة أن تعيش تلك الحياة من خلال ما ينشرونه من الشر، والفساد، والعهر، والأخلاق الرديئة، وإبعاد الناس عن الفضيلة، وإبعاد الناس عن العقيدة، وإبعاد الناس عن القرآن، وإبعاد الناس عن الإيمان، فإذا استجاب أهل الإسلام

لأعدائهم وتشبهوا بهم قولاً وفعلاً وحالاً ومقالاً حصلت لهم الذلة والمهانة كما أخبر النبي ﷺ، كما في مسند أحمد من حديث أبي منيب الجرشي عن عبد الله بن عمر: أن النبي ﷺ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي، وَجُعِلَ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

أين المسلمون في أيامنا؟ ترى كثير منهم يتسابقون إلى التشبه بأعداء الإسلام في مظهرهم ومخبرهم، في أقوالهم وأفعالهم ثم يبتغون النصر من الله، والتأييد من الله، والتمكين من الله، إن الله عَزَّ وَجَلَّ يُمكن لأهل الصلاح والخير، لأهل الإيمان والتوحيد، لأهل العقيدة الصحيحة كما في هذه الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

أين أبناء المسلمين في أيامنا؟ امتلأت بهم النوادي، والشوارع، والمراقص، والملاهي، والمساح، لكن أينهم في بيوت الله تبارك وتعالى؟ أينهم في باب حفظ القرآن والعمل به؟ أينهم في باب العبادة والطاعة؟ أينهم في باب الأخلاق الحسنة والمعاملة الطيبة؟ أين أبناء الأمة وشبابها؟ ضاع كثير منهم وراء الانترنت وشاشات التلفاز وغير ذلك من الخلاعات والبلايا والرزايا والمنكرات، فصار

المسلمون يُتابعون أعداء الإسلام في كل رذيلة ويتركون كل فضيلة إلا من وفقه الله سبحانه وتعالى.

إِذَا: فما علينا عباد الله إلا أن نرجع إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وندعو الأمة الإسلامية جمعاء إلى أن توحد صفوفها فإن أعداء الإسلام لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، فهم اليوم في حلب وغدًا يكونون في اليمن، وبعد غدٍ ربما يجتاحون الجزيرة بأكملها فهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يريدون لهذه الأمة خيرًا حسيًا ولا معنويًا إلى قيام الساعة، أو ما سمعت قول ربك جل وعلا: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِيتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، أو ما سمعت قول الله جل وعلا: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، أو ما سمعت قول الله جل وعلا: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، فهم لا يريدون لنا خيرًا يفتلون لنا بالذروة والغارب ليلاً ونهارًا، ينفقون أموالهم الطائلة ويسعون بالمؤامرات المتكررة ليلاً ونهارًا؛ لسحق أهل الإسلام وإبعادهم عن هذا الخير العظيم، وعن هذا الكنز الثمين، وعن هذا المجد المؤثل الذي من أخذ به رفعه الله، وأكرمه الله، ونصره الله سبحانه وتعالى، ومن تخلف عنه أهانه الله، يسعون ليلاً ونهارًا لإبعادنا عن كلام ربنا وسنة نبينا ﷺ، فما علينا إلا أن نُشمر عن

سواعدا ونجتهد في عبادة الله، وفي التفقه في دين الله، وفي تعلمنا لهذه العقيدة الصحيحة التي لأجلها خلقنا الله وأوجدنا الله، والتي من أجلها سنُسأل في قبورنا وبين يدي ربنا، والتي لأجلها خلق الله **عَزَّ وَجَلَّ** الجنة والنار.

هذه العقيدة العظيمة التي يجب علينا أن نتعلمها ونتعلم ما يُضادها ويخالفها من العقائد الفاسدة، والأفكار المنحرفة، والآراء الضالة التي تأخذ بكثير من أبناء الأمة ذات اليمين وذات الشمال فيتفرقون من أجل ذلك، ويتناحرون من أجل ذلك، ويتباغضون من أجل ذلك فيحصل الضعف، ويحصل الخور، ويتسنى لأعداء الإسلام أن يتسلطوا، وأن يتمكنوا فنرجع إلى هذا الحق ونتمسك به ظاهراً وباطناً ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

ونجتهد في عبادة الله ونعتصم به سبحانه، ندعوه آناء الليل وأطراف النهار، ندعوه جل وعلا فهو نِعَمَ المولى ونِعَمَ النصير، ندعوه في السراء، ندعوه في الضراء، ندعوه في الشدة، ندعوه في الرخاء، ندعوه على أعداء هذه الأمة من اليهود والنصارى، وهكذا ندعو لأهل الإسلام أينما كانوا وما يحلُّ بهم، ندعو الله **عَزَّ وَجَلَّ** لهم بكل ما نقدر عليه، وفي كل وقت نستطيعه، ونستقيم على شرع الله سبحانه وتعالى، ونترك البدع والأهواء، ونترك ما يمزق صفوفنا، ويُفرق جموعنا من الآراء المنحرفة المستوردة من أعداء الإسلام من العصبية الجاهلية، والحزبية المقيتة، والجمعيات المنحرفة التي فرقت هذه الأمة وجعلتهم شذر مذر، ونعتصم بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ على فهم سلف الأمة فإن في

ذلك النجاة، وفي ذلك الخلاص في الدنيا والآخرة: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ [آل عمران: ١٠٣].

نسأل الله جل وعلا بمنه وكرمه وجوده وإحسانه: أن يفقهنا وإياكم في دينه، وأن يجعلنا هداة مهتدين، اللهم عليك باليهود والنصارى فإنهم لا يعجزونك، اللهم مزقهم كل ممزق، اللهم عليك بالرافضة المجوس، اللهم عليك بالنصيريين، اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم انصر اخواننا المستضعفين من المؤمنين أينما كانوا، اللهم انصر إخواننا في بلاد الشام، اللهم انصرهم في كل مكان، اللهم كن لهم ولا تكن عليهم، وانصرهم ولا تنصر عليهم، وامكر لهم ولا تمكر عليهم، اللهم كن لهم حافظاً ومُعِيناً ونصيراً، اللهم ارحم قتلهم، واشفِ جرحاهم، وعافِ مبتلاهم، وارحم صغيرهم، واجبر كسيرهم، اللهم كن لهم ولا تكن عليهم يا قوي يا متين، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين.



[٤] التمسك بالإسلام

إِن الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا،
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
 [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ
 ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها الإخوة السامعون حفظكم الله، في هذه الدقائق وفي هذه اللحظات نوجه بعض النصائح التي نحن في أمس الحاجة إليها إلى إخواننا المسلمين في بلاد الصومال، وإخواننا السلفيين على وجه الخصوص، والمسلمين على وجه العموم.

أيها الإخوة الكرام، إنه يجب علينا أن نشكر الله تبارك وتعالى على نعمه الكثيرة وآلائه الوفيرة الجسيمة الكثيرة التي تترا علينا ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، قال الله جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، فَنِعْمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ علينا مصبوغة ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]، ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٥٣-٥٤]، نِعْمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كثيرة وتحتاج من العباد إلى شكر، وأجل النِعَمِ وأعظمها على الإطلاق: أن جعلنا من أمة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، أن جعلنا الله **عَزَّ وَجَلَّ** من المؤمنين المسلمين الموحدين فهذه نعمة لا تعدلها نعمة، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فهو دين ارتضاه الله جل وعلا لنا فلنحمد الله ولنشكر الله أن جعلنا الله **عَزَّ وَجَلَّ** من أهل الإسلام، وأن جعلنا الله **عَزَّ وَجَلَّ** من أمة القرآن، وأن جعلنا الله **عَزَّ وَجَلَّ** من أتباع محمد

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولننظر يمنةً ويسرةً في أصقاع الأرض وربوع العالم نجد أن كثيرًا من الناس ضُرفوا عن هذا الإسلام وانحرفوا عن هذا التوحيد فعبدوا الأوثان، الأشجار، والأحجار، والأنداد، وغرقوا في الشرك والكفر والإلحاد فنددوا وأشركوا وابتعدوا وتمردوا، فنحن نحمدُ الله تبارك وتعالى على ما ألهمنا وعلى ما وفقنا فله الفضل كله وله الحمد كله وله الشناء كله فهو الذي بيده نواصي العباد، وهو الذي يهدي من يشاء ويعصم ويُعافي فضله، ويُضِل من يشاء ويخذل ويبتلي عدله سبحانه وتعالى، خلقنا لطاعته وإقامة دينه وعبادته وتوحيده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وعلى ذلك أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، وما أكثر الأدلة في كتاب الله عزَّ وجلَّ، وفي سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ التي فيها بيان عظمة التوحيد، والتي فيها بيان عظمة الإسلام الذي ضَمِنَ الحقوق كلها صغيرها وكبيرها فأعطى كل ذي حق حقه، ضَمِنَ للراعي حقه وللرعية حقها، ضَمِنَ للرجل حقه وللمرأة حقها، ضَمِنَ للوالدين حقها وللأبناء حقوقهم،

ضَمِنَ للجار حقه، بل ضَمِنَ حتى للحيوانات فهو دين عظيم ودين شامل كامل باق إلى قيام الساعة: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ويقول الله جل وعلا: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ويقول الله جل وعلا: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، فهذه هي النعمة الكبرى والمنة العظمى التي مَنَّ الله بها على هذه الأمة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فيجب علينا معشر السامعين أن نستشعر هذه النعمة، وأن نعتبر بالمجتمعات الكافرة وما يعيشون فيه من الحياة البهيمية الحياة الدنيئة، الحياة المليئة بالظلم والانحرافات والشرك والشر وغير ذلك من السيئات والموبقات، ونحن أكرمنا الله عَزَّ وَجَلَّ بهذا الدين القويم، وبهذا القرآن العظيم، وبهذا النبي الكريم نُسَيِّرُ عليه نظام حياتنا في معتقداتنا، في عبادتنا، في معاملتنا، في أخلاقنا، في كل ما نأتي ونُذَر، في أقوالنا وأفعالنا، فيا لها من نعمة، ويا له من شرف، ويا له من دين؛ لمن عرف حقه ومكانته.

أيها المؤمنون عباد الله، وإذا كان كذلك فإن الواجب على المؤمن والواجب على المسلم أن يسعى لمعرفة هذا الدين العظيم الذي فيه شرفه ومكانته، والذي فيه فوزه وفلاحه، والذي فيه سعادته الظاهرة والباطنة فإن النفوس لا تسعد

والقلوب لا تطمئن والصدور لا تنشرح إلا بالتمسك بهذا الدين العظيم واتباع طريق النبي الكريم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فإذا أردنا أن تنشرح صدورنا، وأن تسعد نفوسنا، وأن تصلح أحوالنا فعلينا أن نرجع إلى هذا الدين العظيم فتتفقه فيه ونتعلمه ونأخذ أحكامه ونعُص على ذلك بالنواجذ فإن الخير كل الخير يوم أن ترجع الأمة إلى دينها، وتتفقه في أحكام شريعتها، وتتمسك بذلك رجالاً ونساءً، ظاهراً وباطناً، قليلاً وكثيراً فإن الفوز والفلاح إلا بهذا الدين العظيم، والنصر والتمكين ليس إلا بهذا الدين العظيم؛ ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وما حصل لهذه الأمة من الذل والهوان، والضعف والعجز والافتراق والتمزق وتسلط الأعداء إلا لما تركوا دينهم خلف ظهورهم، وابتعدوا عن تعلم الكتاب والسنة، وجعلوا الأحكام الشرعية، وابتعدوا عن العقيدة المرضية، قال الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ

أَمَّنَّا يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴿[النور: ٥٥]﴾، فَضَمِنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الأَمْنَ والأمان، والتمكين في الأرض والخلافة، واشترط على عباده إقامة التوحيد، وطاعة رب الأرض والسماء، وعمل الصالحات، والإيمان بالله جل وعلا، وهذا كله لا يتأتى إلا بالفقه في دين الله جل وعلا.

فأنصح نفسي وإخواني السامعين: أن تُقبل على دين الله تبارك وتعالى، أن تُقبل على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ فتتفقه وتُفقه أهاليك وأبنائك وإخوانك ومن استطعنا، قال الله جل وعلا: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، هذا شرف العلماء، وهذه مكانتهم، وهذه منزلتهم عند الله تبارك وتعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، ويقول الله جل وعلا: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩]، ويقول الله جل وعلا: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

العلم العلم يا عباد الله فإنه سلامة من الفتن وأمان من الضلال، وما تخبط من تخبط من أهل الإسلام وانحرفوا عن جادة الصواب إلا لما قلَّ علمهم وزاد جهلهم فتسلط عليهم أهل البدع والأهواء وأهل الشبهات والآراء، ولو أننا تفقهنّا في دين الله عَزَّ وَجَلَّ لعرفنا الطريق السوي والصراط المستقيم وأنزلنا

الناس منازلهم، فعرفنا المبطل بباطله، والمحق بما عنده من الحق فإن العلم نور وهدى، إن العلم نور وضياء، أو لم تسمع قول الله جل وعلا وهو يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، فمن أخذ بالقرآن هداه الله جل وعلا في معتقده، هداه الله عَزَّ وَجَلَّ في أخلاقه، هداه الله عَزَّ وَجَلَّ في معاملته، هداه الله عَزَّ وَجَلَّ في منهجه، هداه الله عَزَّ وَجَلَّ في كل ما يأتي ويذر، أصلح الله عَزَّ وَجَلَّ شأنه، وأصلح الله عَزَّ وَجَلَّ أحواله، فعلينا أن نرجع إلى دين الله فيه عزنا، وبه نصرنا، وبه سعادتنا، وبه حياتنا، وبه نجاتنا يوم لقاء ربنا سبحانه وتعالى، أو ما سمعنا قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»، رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذا طريق مُيسر إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فعلينا معاشر المؤمنين أن نُقبل على طلب العلم، فوالله لو أقبلت المجتمعات لقل الشر في أوساطها، واضمحلت الفتن وذهب أهلها؛ ولكن أهل الشر وأهل الانحراف والأفكار الهدامة والآراء المخالفة والعقائد الفاسدة يجدون المجتمعات جاهلةً بدين الله عَزَّ وَجَلَّ فيتسنى لهم نشر أفكارهم ونشر آرائهم والدعوة إليها لا سيما مع وجود الفقر مع كثرة الجهل وقلة العلم فيستجيب لهم من يستجيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فاحرصوا إخواني في الله على أن تعلم دين الله ومن عجز أو كبر سنه أو انشغل بعمله فلا يخلنَّ على أهله وأولاده وبناته أن يجعل منهم من يتعلم شرع الله سبحانه وتعالى فإن هذا الزاد الحقيقي والسلاح الناجح العظيم الذي به تواجه هذه الأمة جميع أعدائها من اليهود، والنصارى، والفرس، والمشركين، والوثنيين بل وسائر أهل الباطل من أهل البدع والخرافات، هذا هو الزاد وهذا هو الحصن الحصين الذي نواجه به الشيطان الرجيم، ونواجه به شياطين الإنس.

العلم النافع الذي من أقبل عليه أفلح، ومن تمكن منه نجح بإذن الله **عَزَّ وَجَلَّ** إذا صلحت النوايا وأخلص أصحابها واتقوا الله تبارك وتعالى، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، «أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»،** رواه البخاري عن عثمان بن عفان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»،** هكذا جاء في الصحيحين عن معاوية وعند الترمذي عن عبد الله بن عباس.

فالعلم العلم عباد الله، والحرص الحرص على الأوقات والأعمار فإنها تذهب سُدى وتضيع هدرًا وأنت مسؤول عن عمرك، ومسؤول عن شبابك، ومسؤول عن صحتك، ومسؤول عن فراغك: **«مَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ»،** فأنت بين يدي الله **عَزَّ وَجَلَّ** موقوف، وعن عمرك وحياتك ووقتك مسؤول، فاتقِ الله عبد الله وحافظ على هذا الوقت

الثلثين، واجعل هذا الوقت محشواً ومملوءاً بطاعة الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وطلب العلم من أفضل الطاعات وأعظم القربات.

إخواني في الله إن مما نتواصى به في هذا المقام: أننا نسعى إلى تآلف القلوب وتراحمها، ووحدة الصفوف واجتماعها على الحق والهدى، وعلى الصراط المستقيم والكتاب المبين، وهذا الذي أمر الله **عَزَّ وَجَلَّ** به سائر المؤمنين وعباد الله أجمعين فهو القائل في كتابه الكريم: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، أخوة الإيمان، أخوة الإسلام لا تعدلها نعمة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فينبغي للمؤمن أن يسعى في تقويتها وإصلاحها وازدهارها وتثبيت دعائمها وتقويتها: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»، «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»، هكذا ينبغي أن يكون المؤمن مفتاح خير في مجتمعه، مفتاح خير بين إخوانه وأهله وذويه، مفتاح خير بين أهل منهجه وطريقته، إياك يا أيها المسلم إياك يا أيها السني: أن تكون مفتاح شر أو أن تكون ممن يجلب على الأمة تمزقاً وتفرقاً، فلنسع جميعاً في إذهاب أسباب الفرقة والبعد عن أسباب الشحناء والبغضاء، قال الله جل وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢]، ويقول الله لنبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ

وَكَاُنُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿[الأنعام: ١٥٩]﴾، والنبي ﷺ من أعظم ما دعا إليه وقام به في أول دعوته وتأسيس تلك الدولة العظيمة: أن جمع بين المهاجرين والأنصار وأخى بينهم، أخى بينهم أخوة إسلامية إخوة إيمانية، وليس معنى هذا أن تؤاخي أهل الباطل والبدع والأهواء ولكنك تخفض جناحك لإخوانك من أهل الإيمان والصلاح والتقوى، وتكون مفتاح خير وإن حصل شيء من الخلاف فليرد إلى الكتاب والسنة وإلى طريق سلف الأمة، ولنخفض أجنحتنا لإخواننا ولنصبر:

وتغافل عن أمورٍ إنهُ لم يفز بالحمد إلا من غفل مع عدم المداينة والتنازل والمحابة لأهل الباطل والبدع والأهواء فإن هذا أصل أصيل من أصول أهل السنة والجماعة: مُباينة أهل البدع والبعد عنهم وهجرهم والتحذير من شرهم؛ بيانًا للأمة وتحذيرًا من الشر، وإقامة للحجة، وبراءة للذمة.

أيها المؤمنون عباد الله، ينبغي لنا جميعًا أن نسعى إلى تطبيق ما جاء عن رسول الله ﷺ ظاهرًا وباطنًا في كل ما نأتي ونذر في أنفسنا وأهاليها، وفي كل من نقابله ونعامله ونُعاشره، في كل ما نأتي ونذر تكون أقوالنا توافق أفعالنا موافقةً لشريعتنا، نتمسك بسنة نبينا ﷺ وعلى آله وصحبه وسَلَّم، ولكن القدوة الحسنة والمثل الأعلى للمجتمعات الجاهلة، قال الله جل وعلا: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ

قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿[الأعراف:٣]﴾، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧]، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

نحن في زمن الغربة، وفي زمن كثر فيه الشر وكثر فيه دعائه وأنصاره وحملته، فإنه يحتاج المؤمن السني السلفي الذي اختار طريق الكتاب والسنة منهاجاً وطريقاً وصراطاً يحتاج إلى أن يشد في التمسك بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ، وأن يُشمر عن ساعد الجد وأن يتمسك بذلك وأن يصبر ويُصابِر فلا يُبالي بكثرة المخالفين، ولا بعدد المتساقطين وإنما يُراقب الله تبارك وتعالى ويصبر على ذلك حتى يلقاه فإننا في دار الابتلاء والامتحان والاختبار، قال الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، ويقول النبي ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، رواه مسلم عن ابن عمر وأبي هريرة بنحوه، وجاء خارج الصحيح، قال: «الَّذِينَ يُصَلِّحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»، وفي رواية: «الَّذِينَ يَصْلَحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»، وفي رواية: «الَّذِينَ يُصْلَحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ».

فالصبر الصبر عباد الله فإننا في دار الابتلاء والامتحان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك:١-٢]، ﴿الم * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ

يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿العنكبوت: ١-٣﴾، وهكذا يقول الله جل وعلا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فمن صبر ومن رضي ومن تحمل فله الرضا والإكرام من الله جل وعلا، ومن تسخط وأعرض فإن الجزاء من جنس العمل.

فالثبات الثبات عباد الله، والصبر الصبر ولا يُشِينَا انحراف كثير من الناس أو ظهور الشهوات والشبهات فإن الموعد قريب، وإن الله سبحانه وتعالى أعد لعباده الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، وبالمقابل أعد عذاباً أليماً لمن خالف وتعدى حدوده وخالف دينه وعصاه سبحانه وتعالى.

فالله الله عباد الله بالتمسك بالإسلام ظاهراً وباطناً، والأخذ بما جاء في كتاب الله جل وعلا وسنة رسوله ﷺ، والاهتمام بالتفقه في دين الله تبارك وتعالى، ابتداءً بتوحيد الله وتحقيقه كما أراد الله عَزَّ وَجَلَّ، والبعد كل والبعد عن الشرك الذي يُحْبِطُ العمل ويُذْهِبُ العبادة والدين، والبعد عن البدع والخرافات ومجاراة أهل الأهواء، وهكذا البعد عن أرباب المعاصي والفتن والجرائم والمنكرات، والتمسك حتى نلقى الله تبارك وتعالى فإنه: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ»، أي: لكثرة الفتن

واحتدامها وانتشارها؛ ولهذا قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُضْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمَيِّي كَافِرًا، أَوْ يُمَيِّي مُؤْمِنًا وَيُضْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».

نسأل الله جل وعلا بمنه وكرمه وجود وإحسانه: أن يوفقنا وإياكم لما يُحِبُّ ويرضى، وأن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبارك الله فيكم.

السؤال: اعطنا كلمة مختصرة عن مراكز أهل السنة، وعن المشايخ القائمين على الدعوة في اليمن، وتعليمات لمن يريد أن يلتحق إلى مراكز أهل السنة في اليمن؟

الجواب: بارك الله فيكم، الدعوة السلفية في اليمن على خير عظيم، وفي ازدهار وتقدم بحمد الله تبارك وتعالى، وإنه ومهما حاول الأعداء أن يطفئوا نور الله كما قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣]، أخرج أعداء الله **عَزَّ وَجَلَّ** أهل السنة من دار الحديث بدماج فانبت عنها دورًا للحديث كثيرة في سائر البلاد اليمنية، والخير موجود والمساجد ممتلئة، والدعوة قائمة، والمحاضرات، والتأليف، والتدريس والله الحمد والمنة، وإذا تحدثنا ربما لا يتسع المقام ولكن هناك

دورًا للحديث كثيرة لا أستطيع أن أحصرها في هذا المقام، ومن أشهر تلك الدور: تلك الدار العامرة في دار الحديث السلفية في بلاد حضرموت لشيخنا الفاضل: أبي بلال الحضرمي حفظه الله تعالى المليئة بطلاب العلم من طلاب دار الحديث بدماج وغيرها، وهكذا دار الحديث السلفية في بلاد الضالع والقائم عليها أخونا رشاد الضالعي، وفيها خير وسنة ودعوة، وفيها أعداد هائلة كثيرة من طلاب العلم ممن يتفقه في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وهكذا عندنا هنا في مدينة عدن في أكثر من مسجد، عندنا هنا دار الحديث بصلاح الدين لله الحمد والمنة فيها الخير الكثير وفيها الدروس العامرة ليلاً ونهاراً رجالاً ونساءً والله الحمد والمنة، وهكذا مساجد أهل السنة في مدينة عدن كمسجد الجامع الكبير للشيخ: أحمد بن عثمان، ومسجد السلام للشيخ: سامي بن ذيبان، ومساجد كثيرة، وأما في المحافظات الشمالية: فتلك الدار المباركة التي فيها الشيخ الفاضل: محمد بن حزام الإبي^(١) التي فيها مئات الطلاب في مدينة إب، وهكذا مساجد ودور للحديث في مدينة صنعاء فيها أيضاً خير عظيم وطلاب ودعوة مباركة رجالاً ونساءً، وهكذا لو نظرت في بلاد حضرموت في غير ذلك المكان وهكذا في بلاد المهرة فيها كثير من مشايخ أهل السنة، ولا أستطيع أن أحصر فهي كثيرة جداً والخير حاصل والله الحمد والمنة، ولو لم يكن إلا أن هذه الدعوة المباركة رافعةً رأسها بحمد الله **عَزَّ وَجَلَّ** تأمر

(١) هذا قبل أن يتغير ويفارق إخوانه.

بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقول الحق أينما كانت وإن كان بعض المناطق التي سيطر عليها الرافضة يحصل شيء من الأذى لإخواننا ولكن لعلَّ الله عَزَّ وَجَلَّ سيجعل بعد عسر يُسرًا، والفرج مع الكرب بإذن الله تبارك وتعالى.

وطلب العلم في مثل هذه المراكز مفتوح لمن جاء من أهل الخير والصالح لمن أراد أن يطلب العلم بشرط: أن يكون معروفًا أو يُزكّيه أحد من أهل السنة المعروفين سواء كان من اليمن أو من خارج اليمن، والحمد لله رب العالمين.



[٥] كيف يكون الانتصار

إِن الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَ: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤].

أيها الإخوة المؤمنون:.. سمعنا في قراءة إمامنا في صلاة المغرب وهو يقرأ قول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأفصال: ٤٥-٤٧]، إلى آخر الآيات، آيات عظيمة سمعناها في صلاة المغرب في هذه الآيات؛ ولهذا نجعل محاضرتنا عما تضمنته هذه الآيات.

أولاً: ينبغي أن نعلم معاصر المؤمنين أن أعداء الله تبارك وتعالى من يهود، ونصارى، ومجوس، وسائر المشركين والوثنيين: أنهم يُحْطِطُونَ ليلاً ونهاراً؛ للصد عن سبيل الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ولإبعاد هذه الأمة عن عقيدتها، وعن كتاب ربها، وعن سنة نبيها **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**؛ ولهذا قال النبي **ﷺ** كما في حديث ثوبان بن بُجْدٍ، عند الإمام أحمد: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أَفْقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا»، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قِلَّةِ بَنِي يَوْمِئِذٍ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ يَوْمِئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمُهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنُ»، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»، [والحديث في صحيح الجامع: (٨١٨٣)].

والشاهد من الحديث: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ»، الأمم الكافرة تتحد أراؤها في ضرب أهل الإسلام وعداوتهم قديماً وحديثاً، من زمن النبي **صَلَّى اللَّهُ**

عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ إلى يومنا هذا إلى ما شاء الله سبحانه وتعالى وأهل الباطل يُبرمون المؤامرات ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً، أو ما سمعت قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]، فهم ينفقون أموالهم كلها ويسعون بجهد جهيد ويعملون ليلاً ونهاراً؛ لضرب أهل الإسلام، واستئصال شأفتهم، وإبعادهم عن عقيدتهم العظيمة.

ولهذا معاصر المؤمنين، الواجب على المسلم: أن يتسلح بالأسباب العظيمة التي بين الله عَزَّ وَجَلَّ أن من تسلح نصره الله، ومن أخذ بها مكنه الله، ومن فرط فيها أهانه الله؛ ولهذا جاء من حديث ابن عمر عند الإمام أحمد: أن النبي ﷺ قال: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّىٰ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، إذا فالطريق طويل وأنت في بدايته، لا تظن يا عبد الله أن أعداء الإسلام تخبوا نارهم أو يهدأ بالهم أو يتوقف مكرهم، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١]، فهم يجتمعون ويتحدون مع أنهم فيما بينهم ربما يختلفون، وربما يتناحرون، وربما يتقاتلون، لكنه بمقابل أهل الإسلام تجتمع كلمتهم وهذا الذي نراه ونلاحظه في هذه الأيام تتحد كلمة النصارى، مع كلمة اليهود، مع كلمة المجوس، مع كلمة الرافضة، مع كلمة

الإلحاديين في ضرب أهل الإسلام، سواءً كان في بلاد الشام أو في بلاد اليمن أو في بلاد العراق أو في غيرها من البلدان.

وما سمع بعضكم بما حصل في الليلة الماضية: من إطلاق صاروخ على مكة المكرمة وأسقط قبلها بخمس وستين كيلو من قبل الحوثيين؛ إلا ليدل دلالة واضحة أن هؤلاء يسعون في استئصال عقيدة أهل الإسلام وتخريب مقدساتهم وإن زعموا أنهم يدعون الإسلام ويحاربون من أجل القرآن ويسمون جرائمهم بالمسيرة القرآنية وهم بعيدون عن القرآن والسنة.

وهكذا ما يصنع إخوانهم في بلاد الشام، وما يصنعون في بلاد العراق بتأييد دولي نصراني يهودي كل هذا من المؤامرات على أهل الإسلام، وإذا عَلِمَ المسلم ذلك فالواجب عليه: أن يأخذ بالأسباب العظيمة، وأن يُشمر عن ساعد الجَدِّ وأن يُقبل على ما أمره الله **عَزَّ وَجَلَّ** به، الأسباب التي بها يُمكن الله لأهل الإيمان، وبها يكسر الله شوكة أهل الطغيان، وقد ذكر الله **عَزَّ وَجَلَّ** في هذه الآيات التي سمعتموها جملة من الأسباب العظيمة التي بها يحصل النصر والتمكين، وما أحوج هذه الأمة إلى أن يعود لها مجدها، وعزها، ونصرها، وتاريخها العظيم، فإن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** يقول: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ»، متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، تاريخ عظيم، أعداء الله **عَزَّ وَجَلَّ** ترتعد فرائضهم وتضعف عزائمهم وتضطرب أحوالهم إذا سمعوا برسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** أنه متجه إليهم على بُعد شهر، وهكذا أصحابه، وهكذا

أحبابه، ثم تخلف الناس عن الإسلام شيئًا فشيئًا وارتكبوا الصعب والذلول، وخالفوا السنة والكتاب، واتبعوا بنيات الطريق، ووقعوا في الابتداع والأهواء، فضعف حالهم كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كما في الحديث المتقدم: «تُتَرَعُّ الْمُهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، انقلبت الموازين، وصار أهل الإسلام يُغزون في عُقْرِ دارهم، بل إن أعداء الله **عَزَّ وَجَلَّ** لا يحتاجون أن يصلوا بجنودهم وأفرادهم وقواتهم، وإنما يוכלون من أهل النفاق والشقاق ممن ينتسب إلى الإسلام بهتانًا وزورًا وظلمًا، فيقوم بما يريدون على أكمل وجه وأحسنه.

صار المؤمنون يُغزون في عُقْرِ دارهم ويخافون في بلدانهم من أعداء الله تبارك وتعالى، وما ذلك إلا لأنهم تخلفوا عن السلاح الفتاك وعن الأسباب العظيمة التي بين الله **عَزَّ وَجَلَّ** أن من أخذ بها أفلح، ومن تمكن منها نُصر، قال الله جل وعلا في هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥]، ذكر سببين عظيمين من أسباب النصر والتمكين: أما السبب الأول: فهو الثبات.

والسبب الثاني: الإقبال على الله جل وعلا، والإكثار من ذكره سبحانه، كان النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يقول: «لَا تَمْتَنُوا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُّوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»، متفق عليه من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

إذا لقيَ المؤمن خصمه من الأعداء فإنه يجب عليه أن يثبت حتى ينصره الله، وحتى يُمكن الله تبارك وتعالى له، ما الذي يملك على التقهقر؟ ما الذي يملك على التراجع؟ ما الذي يملك على الفشل؟ ما الذي يملك على عدم الصبر وأنت تحمل العقيدة الصحيحة؟ وأنت تدافع عن العقيدة، وعن الدين، وعن العرض، وتدافع عن الدماء، وتدافع عن الأموال، وتدافع عن الأرض، وأنت تُقاتل عدوًا مُشركًا بالله تبارك وتعالى، إذا ما الذي يملك على عدم الثبات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

لو أقبل المسلمون على ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ وخاصةً المُجاهدون والمرابطون في سبيل الله تبارك وتعالى؛ لحصل لهم خير عظيم، ولكنها طغت الغفلة على كثير من الناس، فإذا تساوى المجاهد وعدوه وخصمه في الغفلة، وتساوى معه في البُعد عن الذكر، وتساوى معه في البُعد عن الدعاء والاستغفار والاستغاثة بالله تبارك وتعالى أنى يأتيه النصر، وأنى يأتيه التمكين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وأنت في تلك المواطن العظيمة ينبغي أن تتذكر قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، إذا رسخت هذه العقيدة في قلب المؤمن فإنه يثبت ثبات الجبال، ولكن لما تخلف كثير من الناس عن معرفة التوحيد، وعن معرفة العقيدة، وعن معرفة الاعتصام بالله عَزَّ وَجَلَّ حصل لهم الضعف فصاروا يتقهقرون أمام المشركين الذين قال الله عَزَّ وَجَلَّ

عنهم: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١]، المشرك الرعب حليفه، والهزيمة تلاحقه، والتقهر دأبه؛ لأنه أشرك بالله جل وعلا، الشيطان وليه، والرحمن عدوه: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، أي: يخوفكم بأوليائه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

والسبب الذي بعده: قال الله جل وعلا: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ذكر ثلاثة من الأسباب العظيمة التي إن حققها أهل الإيمان نصرهم الرحمن سبحانه وتعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وأين نحن من طاعة الله ورسوله؟ البدع المنتشرة، والشرك متفشي، والسحر موجود، والمعاصي، والتبرج، والسفور، والاختلاط، والخمر، والزنا وغير ذلك من البلايا والرزايا المنتشرة في بلاد أهل الإسلام بُعد عن كتاب الله تبارك وتعالى، أين نحن من القرآن الكريم وحفظه، والعمل به، والدعوة إليه؟ أين نحن من مدارس سنة محمد ﷺ؟ وعلى آله وصحبه وسلّم؟ أين نحن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ؟

يا عبد الله، هل تتوقع أن تجد من يُقاتل الرافضة وهو لا يُصلي؟ هذه مُصيبة: أن يكون مُجاهدًا في سبيل الله بزعمه وهو يُضيع الصلوات، تأتي صلاة العصر وهو مُحزن أنى يأتيه النصر وهو على هذه الحالة، وهكذا عدد من المعاصي

والسيئات التي يرتكبها أهل الإسلام المُقاتلون والمرابطون والقاعدون وغيرهم من أهل الإسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أعداء الله تبارك وتعالى يدعون الخير والطاعة ولكن أفعالهم تُخالف ذلك، فيقولون: المسيرة القرآنية، وقائد المسيرة القرآنية، قال بعض أتباعهم: بعد أن رزقه الله عزَّ وجلَّ عقلاً: ذهبت إلى محل التسجيلات فقلت لهم: أريد المصحف المرتل لقائد المسيرة القرآنية، فقالوا: ما عنده مُصحف مرتل، قائد المسيرة القرآنية لا يُحسن أن يقرأ القرآن، تريد أن نُعطيك من الزوامل؟ قال: فتعجبت كيف يكون قائداً للمسيرة القرآنية وليس عنده مُصحف مرتل، ولا يُحسن قراءة القرآن، قال: وإذا بالزوامل في محل التسجيل، وفي سياراتهم، وفي أسواقهم، وفي متارسهم، قال: فقلت هؤلاء أبعد الناس عن القرآن، فلا ينبغي لنا عباد الله أن نكون مثل أعداء الله تبارك وتعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ٤٦]، كلما ازددنا طاعة لله كلما حصل النصر والتمكين، جاء في "صحيح الإمام مسلم": من حديث عمر رضي الله عنه: أنه أرسل إلى عتبة بن فرقد وكان أميراً على بعض البلدان والجيوش، فقال: «وَأَيَّاكُمْ وَالتَّنَعُّمَ، وَزَيِّ أَهْلِ الشَّرِّ، وَلَبُوسَ الْحَرِيرِ»، وفي رواية: «وَزَيِّ الْعَجَمِ وَأَهْلِ الشَّرِّ»، فانظروا يا عباد الله يُرسل هذه الرسالة من المدينة النبوية إلى شرق آسيا أو إلى قُرب بلاد الهند يُرسلها لهذا القائد ويُحذره من هذه المخالفة: أن يلبس لباس المشركين.

أولئك الرجال نصر الله **عَزَّ وَجَلَّ** بهم الدين؛ لأنهم أطاعوا الله وأطاعوا رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** ظاهرًا وباطنًا، لما ذهب عمر الفاروق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** إلى بيت المقدس ذهب على حالةٍ رثة وهيئة متواضعة، فوجده أبو عُبَيْدة بن الجراح استقبله فقال له: يا أمير المؤمنين لو على غير هذه الهيئة فإنه سيراك النصارى، فقال عمر بن الخطاب: لو غيرك قالها يا أبا عُبَيْدة لصنعت به وصنعت، نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فإن ابتغينا العزة بغير الإسلام أذلنا الله.

إِذَا أَيْن طاعة الله؟ وأَيْن طاعة رسوله التي بها فُتِحَتْ كسرى وقيصر؟ أَيْن طاعة الله **عَزَّ وَجَلَّ** وطاعة رسوله التي سقط بها الشرك في بلاد الأندلس؟ والتي فُتِحَ بها الهند والسند؟ أَيْن نحن من طاعة الله وطاعة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**؟

صار المسلمون يتشبهون بأعداء الإسلام ويُريدون مقاتلتهم ومنازلتهم وهم يتشبهون بهم في الصغير والكبير، والقليل والكثير، والنقيير والقطمير أُنَى يأتي النصر عباد الله.

ذكروا في ترجمة خالد بن الوليد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أنه خرج في جيش إلى بلاد الروم، فحاصر بلدةً من بلدانهم، وكانت مُحَصَّنَةً بحصن عظيم فتأخر النصر وتأخر الفتح، ولما تأخر أرسل ملك تلك البلدة رسالةً لخالد بن الوليد فقال له: يا خالد إنكم من العرب وإنكم تُحِبُّون الأموال فخذوا من الأموال ما تشاؤون ودعونا وشأننا، لو كان خالد ككثير من القادة هذه الأيام لربما رضىخ للمال وترك الجهاد

في سبيل الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ماذا قال له خالد؟ رد له برسالة: ارتعدت منها فرائضه وخاف منها وذعر، وخرج مُسَالِّمًا ومستسلمًا، قال له خالد: نعم إننا من العرب ونُحِبُّ الأموال ومع ذلك نُحِبُّ شُرْبَ الدماء، وقد أخبرنا أن دماء الروم من ألدِّ الدماء فلا نفارقكم حتى نُقاتلكم، أو كما قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**، فوصلت هذه الرسالة فخاف ذلك الملك وعَلِمَ أن خالدًا لن يُفارقه ولن يتركه ولن يتنازل من أجل المال وحُطام الدنيا، فخرج مُستسلمًا ومُصالحًا.

أولئك الرجال كانوا يُقيمون طاعة الله في سفرهم، في حضرهم، في أنفسهم، وعلى أهاليهم، وعلى أولادهم في كل أحوالهم وهم مع طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**؛ ولهذا نصرهم الله.

﴿وَلَا تَنَارَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأففال: ٤٦]، والمراد بالريح في هذه الآية: القوة، فإن التنازع سبب للفشل، وسبب للضعف، وقد أدرك ذلك سحرة فرعون يوم أن حشدتهم وأراد مناظرة موسى، فجمع السحرة من أقصى البلاد من هنا وهناك، قال الله جل وعلا عنهم أنهم قالوا: ﴿فَاجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه: ٦٤]، إذا اجتمع المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها على عقيدة واحدة، وعلى طريقة سوية، وعلى منهج قويم وهو منهج الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة والله لذاب أعداء الله وارتعدت فرائضهم وتركوا أهل الإسلام وشأنهم، وصار المسلمون يغزون الكفار إلى دورهم؛ ولهذا يقول شيخ الإسلام في السياسة الشرعية وغيره من أهل

العلم يقول: ينبغي لولي الأمر أن يغزو أعداء الله **عَزَّ وَجَلَّ** في أقل أحواله مرتين في السنة، لو كان أهل الإسلام مجتمعين على دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** لحصل الخير العظيم؛ ولكن أعداء **عَزَّ وَجَلَّ** علموا أن التفرق سبب للضعف، وأن التفرق سبب للفشل، فنشروا في أوساط هذه الأمة البدع، ونشروا في أوساطها الأحزاب، وما جاءت هذه الأحزاب إلا من أعداء الله تبارك وتعالى، فهي طريقتهم ومنهجهم وعقيدتهم، قال الله جل وعلا: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، يا محمد أنت لست من هؤلاء، ولا على طريقة هؤلاء فإنك تدعو إلى الألفة، وتدعو إلى الوحدة، وتدعو إلى الأخوة، وتدعو إلى الترابط: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، قبل أن يهاجر النبي ﷺ إلى المدينة النبوية كان فيها قبيلتان عظيمتان من قبائل الأنصار، وأصلهم من اليمن وهم الأوس والخزرج، وكانت بينهم حروب طاحنة ذهب من ورائها وجرائها ساداتهم، وقاداتهم، وسرااتهم، وعظماؤهم، فلما جاء النبي ﷺ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم جمع الله به الكلمة، بل آخى بين المهاجرين والأنصار فصاروا كتلة واحدة على قلة أعدادهم وعلى قلة عتادهم، وفي العام الثاني من الهجرة ما مضى إلا عام واحد وإذا بالنبي ﷺ يخرج إلى

معركة خلدها التاريخ يواجه فيها الجبابرة، ويواجه فيها كفار قريش وهي معركة بدر الكبرى التي نقرأ عنها في كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ**، والتي ذكرت في التاريخ والسير، التي قُتِلَ فيها صناديد الكفر وأهينوا وأرغمت أنوفهم، وألقوا في ذلك القليب وحصل لهم ما حصل كما تعلمون معاشر المؤمنين، كل ذلك؛ لأن النبي **ﷺ** دعا إلى ما يربط النفوس بعضها ببعض، وإلى ما يوحد الصفوف فتشدد الأمة وتقوى عزائمها وتظفر بعدوها؛ ولهذا كان التفرق من أسباب الفشل ومن أسباب الضعف؛ ولهذا فإن أعداء الإسلام في أيامنا وزماننا يسعون إلى تشتيت دول الإسلام وإلى تمزيقها، وكلما وجدوا دولةً مجتمعةً صاحبة قوة وجيش وسلاح سعوا إلى تمزيقها وإلى تفريقها وإلى إشعال الحروب في أوساطها حتى يصير المسلمون همجاً رعاً متفرقين هنا وهناك يتناحرون فيما بينهم، فيتسنى لأعداء الإسلام ما يريدون من التسلط، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

واعلموا معاشر المؤمنين: أنه إن دُكِرَ الاعتصام والاتفاق ونبذ الفرقة والاختلاف ليس معنى هذا أن تتخلي عن عقيدتك، ولا أن تتزحزح عن منهجك الصحيح، ولكن هذه دعوة للأمة جمعاء: أن يترك صاحبُ البدعة بدعته، وصاحبُ التحزب تحزبه، وصاحبُ الجمعية جمعيته، وصاحبُ الشرك شركه، وصاحبُ الخيانة خيانتته، وصاحبُ الكبيرة كبيرته، ويرجع المسلمون جميعاً إلى كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وإلى سنة رسوله **ﷺ**، وإلى طريقة المهاجرين والأنصار، فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ

بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴿التوبة: ١٠٠﴾، قال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ ﴿التوبة: ١٠٠﴾، ليس الذين اتبعوهم بإساءة، ببدع، بخرافات، بمخالفات، بمعاصي وترهات، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿النساء: ١١٥﴾.

وذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في هذه الآية: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿الأنفال: ٤٦﴾، الصبر عواقبه حميدة في الدنيا والآخرة، فإذا تحلت هذه الأمة بالصبر حصلت على الخير العظيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿آل عمران: ٢٠٠﴾.

لو ذكرنا على سبيل المثال: هؤلاء الحوثيين الأنجاس الأرجاس الزنادقة، أحدهم ربما يجلس في كهف ليس معه من الطعام إلا الشيء اليسير، وربما يضرب بالطيران وقذائف المدفعية ويبقى في مكانه لا يتزحزح إلا أن قُتِلَ، من أجل ماذا؟ من أجل عقيدة فاسدة، من أجل نشر الرذيلة والخنأ، من أجل أن تحول بلادُ الإيمان والحكمة إلى بلاد رافضية صفوية، ويأتي أهل الإيمان فينفذ صبرهم، وتضعف عزائمهم، وربما بعضهم لو لم يكن ما يُسمى بالصرقة لترك الجهاد في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، وربما لو نقص طعامه وشرابه ترك هذه الفريضة وهذه الشعيرة، أين الصبر يا عباد الله؟

هكذا يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]،
وهكذا يأمرنا الله **عَزَّ وَجَلَّ** بالصبر في غير ما آية، ويبين لنا ثمرته وعواقبه: ﴿إِنَّمَا
يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَلَقَدْ
كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا
مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِإِ الْمُرْسَلِينَ * وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ
إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ
بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤-
٣٥]، فنصر الله **عَزَّ وَجَلَّ** آتي ولكنه حليف الصابرين، حليف المؤمنين، حليف
الموحدين كما بين الله **عَزَّ وَجَلَّ** في هذه الآية.

ثم قال بعدها مبيناً أدباً من الآداب العظيمة التي ينبغي أن يتحلّى بها أهل
الإيمان، لا سيما المجاهدون في سبيل الله **عَزَّ وَجَلَّ**، قال الله تبارك وتعالى:
﴿وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا
وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٦-
٤٧]، كلما رزقك الله **عَزَّ وَجَلَّ** طاعة كلما ازددت له تواضعاً سبحانه وتعالى، هياً
الله **عَزَّ وَجَلَّ** لك الجهاد في سبيله ولم يهيئه لغيرك فعليك أن تزداد تواضعاً لله، ولا
يُصيبك البطر ولا الكبر ولا الأشر فإن هذا من أسباب الهزائم ومن أسباب
الضعف، وكلما تواضع العبد لربه سبحانه وتعالى كلما نصره الله، تذكر نبيك
محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قاتل المشركين واجههم في بدر، وأحد، والأحزاب
وغيرها من السرايا والغزوات، ولما جاء فتح مكة بعد تلك العقبات وبعد تلك

الإرهاصات ما دخل النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** مكة المكرمة إلا وهو مطأطئ رأسه تواضعًا لله **عَزَّ وَجَلَّ** وشكرًا له سبحانه وتعالى، لم يدخل متكبرًا، ولا متجبرًا، ولا متغطرًا وهكذا أهل الإيثار: **«وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»**.

أيها المؤمنون عباد الله، ومن أسباب النصر أيضًا وهي كثرة مما لم يُذكر في هذه الآية: إقامة توحيد الله تبارك وتعالى، إقامة العقيدة الصحيحة في صفوف المؤمنين المقاتلين وغيرهم، فإن أمةً ضيعت عقيدتها من السهل أن يلعب عليها، وأن تُفترق، وأن تُستباح أموالها وأعراضها ودماؤها وأراضيها وثرواتها، وأمة بُنيت على العقيدة الصحيحة فإنه لا يستطيع لها أحد بإذن الله تبارك وتعالى، أو ما سمعت قول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، نحن من أمة القرآن؟ نحن ممن يؤمن بكلام الله **عَزَّ وَجَلَّ**؟ أم أننا نقرأه كما نقرأ الجرائد والمجلات؟ فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** اشترط في هذه الآية ثلاث شروط إن حققها أهل الإيثار مكن لهم في الأرض، وأعاد لهم ما كان في زمن المصطفى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وفي زمن أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق وبقية الصحابة الأخيار: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، فآين نحن من توحيد الله تبارك وتعالى؟ آين نحن من الدعوة إلى التوحيد؟ آين نحن

من تعلم التوحيد، بعض المقاتلين ربما يموت وهو لا يدري ما معنى لا إله إلا الله، لا حول ولا قوة إلا بالله.

كيف يأتي النصر لأقوام لا يعرفون معنى لا إله إلا الله؟ كيف يأتي النصر لأقوام ما عرفوا العقيدة الصحيحة، أين الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ؟ أين عمل الصالحات؟ اقرأ في تراجم المتقدمين، اقرأ في سير الصحابة رضي الله تعالى عنهم كيف كانوا في باب العمل؟ كيف كانوا في باب الإيمان؟ كيف كانوا في باب العقيدة؟ كيف كانوا في باب التوحيد، رجل واحد منهم يهز أمة من الأمم ويتسبب في هزيمة جيش من الجيوش، واقرأ في كتب التاريخ تأييد ذلك ماثلاً وواضحاً.

إذا: فنحن بحاجة إلى أن نراجع ديننا، وأن نتعلم عقيدتنا في بيوتنا، في مساجدنا، في متارسنا، في إداراتنا الحكومية، الراعي يحتاج إلى أن يتعلم العقيدة، والرئيس يحتاج إلى أن يتعلم العقيدة، والوزير يحتاج إلى أن يتعلم العقيدة، وقائد الجيش يحتاج إلى أن يتعلم العقيدة، والجندي يحتاج إلى أن يتعلم العقيدة، والرجل يحتاج إلى أن يتعلم العقيدة، والمرأة تحتاج إلى أن تتعلم العقيدة.

ولما عَلِمَ أعداء الإسلام: أن أهل السنة في هذه العصور المتأخرة يسعون إلى تعلم العقيدة فإنهم سعوا إلى إبعادهم عن ذلك، وما مؤامرة دماج عنكم ببعيد، التي تعاون فيها رؤوس الكُفر عن طريق الرافضة: لإبعاد أهل السنة عن مكان يتربون فيه على العقيدة الصحيحة والمنهج السليم وتوحيد رب الأرض

والسماوات الذي إذا انتشر في الأرض وغُرِسَ في القلوب وتعلمه القاضي والداني، فإنه لا يقوم له الصواريخ بعيدة المدى، ولا القنابل العنقودية، ولا السلاح الكيماوي، ولا غيره من الأسلحة الحديثة ولكننا جهلنا عقيدتنا، وفرطنا في الإيمان بالله تبارك وتعالى، فحصل لنا ما حصل من الضعف، فصرنا كما قال بعضهم عند تفسير قول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾ [النحل: ٨]، قال: جُعِلَ المسلمون دولهم ضمن دول العالم الثالث الدول النامية احتقارًا وازدراءً من أعداء الإسلام ونحنُ السبب؛ لأننا أضعنا ما به مجدنا، وأضعنا ما به عزتنا، ضيعنا ما تُرفع به الرؤوس وتُنكس به رايات أهل الشرك ورايات أهل الإلحاد: توحيد الله تبارك وتعالى.

ومن الأسباب أيضًا عباد الله: التوكل على الله تبارك وتعالى، صدق الاعتماد على الله **عَزَّ وَجَلَّ** مع الأخذ بالأسباب المأذون بها شرعًا، إذا كان أهل الإسلام على هذه العقيدة فهنيئًا لهم، والله لو اجتمع أهل المشرق وأهل المغرب على حربهم واستئصال شأفتهم ما ضرهم ذلك، التوكل على الله تبارك وتعالى، ولكننا صرنا ولا حول ولا قوة إلا بالله لا نؤمن إلا بالأمور المادية الحسية وتركنا التوكل على الله **عَزَّ وَجَلَّ**: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»، إذا انقطع عن كثير من الناس أمور الدنيا من المطعم والمشرب أو قل شيء من ذلك ممكن أن يتخلى أحدهم عن العقيدة، ممكن أن يكون جاسوسًا مع اليهود أو مع النصارى؛ لأنه سيُعطي ما يأكل به ويشرب وكما

يقول بعضهم: قطع الرأس ولا قطع المعاش، المهم مستعد أن يبيع دينه وعقيدته؛ لأنه ما عنده ثقة بالله، ولا توكل على الله، ولا اعتصام به سبحانه وتعالى، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

ينبغي أن تعلم أن النصر من الله وأن الأمور بيد الله، وأن نواصي العباد بيد الله سبحانه وتعالى، أو ما سمعت الله يقول: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦- ٢٧]، يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** لأصحاب نبيه مذكراً لهم هذه النعمة: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]، هكذا يبين الله **عَزَّ وَجَلَّ**، كانوا على مكة على عدد الأصابع والناس يؤذونهم من هنا وهناك وخرجوا إلى المدينة، بل خرجوا قبل ذلك إلى الحبشة، أعداد يسيرة وهم في ضعف فقواهم الله، وأيدهم الله، ونصرهم الله سبحانه وتعالى، وهكذا ينبغي أن نعلم أن النصر من الله **عَزَّ وَجَلَّ**، قال الله جل وعلا لأصحاب محمد: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ

﴿التوبة: ٢٥﴾، إلى آخر الآيات يُبين لهم: أن الأمور من عنده سبحانه وتعالى، وأن الأمر كله لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً فأين التوكل على الله عباد الله؟ أين التوكل على الله سبحانه وتعالى؟ فإن هذه العقيدة إن عُرسَتْ في القلوب واطمأنت بها النفوس حصل الخير في الأمة الإسلامية ولكن ضَعُفَ يقيننا، وَضَعُفَ توكلنا، وَضَعُفَ اعتصامنا بالله، وَضَعُفَ اعتمادنا على الله سبحانه وتعالى فحصلت الهزائم النفسية قبل الهزائم الحسية فتسلط أعداء الإسلام.

ولكن يا عباد الله ينبغي لنا أن تكون آمالنا بعيدة، ونظراتنا بعيدة، وأن تكون هممنا عالية، وأن نعلم أن الله تبارك وتعالى لن يُضيع أهل الإيمان فإنه القائل في مُحْكَم القرآن: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وهو القائل في كتابه يُخاطب أصحاب محمد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، والنبى ﷺ يقول: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»، والحديث في "السلسلة الصحيحة" عن المقداد بن الأسود وغيره من الصحابة.

فإذا كان الأمر كذلك فإننا لا ينبغي لنا أن نحزن: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾
 [التوبة: ٤٠]، نتذكر هذا القول من النبي ﷺ وهو في ذلك الغار وقد طارده
 المشركون ليس له من ينصره ولا من يدفع عنه، يقول له أبو بكر الصديق: يا
 رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدمه لأبصرنا، فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ
 بِاثْنَيْنِ، اللَّهُ تَالِثُهُمَا؟»، ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

هكذا ينبغي أن يكون أهل الإيثار وإن تسلط النصارى، وإن تسلط اليهود،
 وإن تسلطت الرافضة، وإن تسلط المجوس، وإن تسلطت أمريكا، فالعاقبة
 للفقير، وإنما يجب علينا أن نرجع إلى الله، وأن نتوب إلى الله، وأن نستمسك
 بشرع الله تبارك وتعالى، وأن نأخذ الأسباب الصحيحة والطرق السليمة التي
 توصل إلى النصر المبين والتمكين من رب العالمين سبحانه وتعالى، وأن نبتعد عن
 الأسباب الكثيرة التي تُسبب الهزائم والضعف والتشتت والفرق والوهن، وكم
 حذرنا الله عَزَّ وَجَلَّ من ذلك في كتابه وفي سنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 وَسَلَّمَ.

أيها المؤمنون عباد الله، أسباب النصر كثيرة وإنما هذه مقتطفات، نسأل الله
 عَزَّ وَجَلَّ بمنه وكرمه، وجوده وإحسانه: أن يُعز الإسلام وأهله، وأن يُذل الشرك
 وأهله، اللَّهُمَّ عليك باليهود والنصارى فإنهم لا يُعجزونك، اللَّهُمَّ عليك بأمريكا
 ومن تعاون معها، اللَّهُمَّ عليك بالمجوس الصفويين، اللَّهُمَّ عليك بالرافضة

الحوثيين، اللَّهُمَّ عليك بأعداء الإسلام، اللَّهُمَّ مزقهم تمزيقًا، اللَّهُمَّ شتت شملهم،
وفرق جمعهم، واجعل الدائرة عليهم، اللَّهُمَّ اجمع كلمة المسلمين على الحق المبين،
اللَّهُمَّ وحد صفوفهم، اللَّهُمَّ أعنهم، اللَّهُمَّ ردهم إليك ردًا جميلًا، اللَّهُمَّ ردهم إليك
ردًا جميلًا، اللَّهُمَّ ردهم إليك ردًا جميلًا، إنك على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير،
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



[٦] هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا،
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ،
وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

يا أيها المسلمون، يقول ربنا تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، أرسل الله عَزَّ وَجَلَّ نبيه محمدًا ﷺ: ﴿بِالْهُدَى﴾ [التوبة: ٣٣]، وهو العلم النافع، ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣]، وهو العمل الصالح، ووعد سبحانه وتعالى بالنصر والتأييد والتمكين: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، ولو أعرض من أعرض، ولو كره من كره فإن الله عَزَّ وَجَلَّ ناصر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥]، الله جل وعلا وعد رسوله بالنصر، ووعد بالتمكين؛ لما جاء به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الوحي من العلم النافع والعمل الصالح.

وهو وعد منه سبحانه لنبيه ولمن اقتفى أثره واهتدى بهداه وأخذ بدينه وحمله كما جاء به عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ ولهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، فالله عَزَّ وَجَلَّ ناصر أوليائه وناصر عباده، ومعلن كلمته سبحانه.

والله جل وعلا أرسل هذا النبي الكريم وبعثه والناس في جاهلية جهلاء وفي ظلمات بعضها فوق بعض من الشرك بالله جل وعلا، وعبادة الأوثان،

والأصنام، والأشجار، والأحجار، وجدهم النبي ﷺ وهم يرتكبون المحرمات صغيرها وكبيرها، فجعل يصرخ بأعلى صوته: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»، وبيّن لهم أن سر الفلاح وسبب النجاح هو في توحيد الله، وفي عبادة الله، وفي الانقياد لشرع الله تبارك وتعالى فانقاد له من انقاد، واستجاب له من استجاب، وآمن به من آمن، فأخرجهم سبحانه وتعالى من الظلمات إلى النور ومن الشرك إلى التوحيد: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، زكاهم الله عَزَّ وَجَلَّ بالقرآن وبسنة النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، زكاهم الله عَزَّ وَجَلَّ بالإيمان بعد أن كانت قلوبهم تتعلق بالأحجار والأشجار تعلقت بالواحد القهار سبحانه وتعالى، فانتشر الخير، وعم النفع، ودخل الناس في دين الله أفواجا في زمن قصير وفي فترة محدودة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٣].

النبي ﷺ دعا إلى الله وبلغ أمر الله؛ فلماذا قال الله عَزَّ وَجَلَّ له: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، ويقول النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَيُنْذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ هُمْ»، الحديث رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

دعا النبي ﷺ ليلاً ونهاراً إلى الله، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، وهكذا يقول الله عنه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ففي تلك الفترة الوجيزة التي لا تصل إلى ربع قرن وإذا بمكة قد صارت بلدًا إسلاميًا، وإذا بالمدينة النبوية تصير معقلًا لأهل الإسلام، ودخل العرب في دين الله ووفد الوفود على رسول الله ﷺ، شيء عجاب دخول الناس في دين الله تبارك وتعالى في هذه الفترة القصيرة؛ ولهذا معاشر المؤمنين للمسلم أن يسأل كيف عاش النبي ﷺ في دعوته إلى دين الإسلام؟ وما أحوالنا إلى أن نتعرف على سيرته، وأن نتعرف على دعوته، وأن نحذو حذوه وأن نسير خلفه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

النبي ﷺ دعا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ بأقواله وأفعاله وأخلاقه ومعاملته، في ليله ونهاره، في سره وجهاره، في سفره وحضره دعا إلى الله جل وعلا أقاربه ودعا من كان بعيداً عنه، دعا اليهود والمنافقين، دعا المشركين والأعراب، بل راسل الملوك والزعماء والعظماء يدعوهم إلى الله تبارك وتعالى، بذل كل وسيلة شرعها الله جل وعلا له في دعوة الخلق إلى الحق، فما أحوالنا إلى أن نتعرف على شيء من شمائله من دعوته إلى الله تبارك وتعالى.

: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ:

«مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بذل حياته كلها من أجل تبليغ دين الله عَزَّ وَجَلَّ ونشر هذا الخير الذي وصل إلينا، وورثناه عن آبائنا وأجدادنا، وقرأناه في الكتب وسمعناه، ليلاً ونهاراً وهو يدعو إلى الله تبارك وتعالى، فما أحوجنا إلى أن نتعرف على ذلك؛ ولهذا فإني ذاكر في هذا المقام بعض ما كان عليه النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الدعوة إلى الإسلام وترغيب الناس فيه، وتحذيرهم من مخالفته والبعد عنه.

فمن ذلك عباد الله، ما جاء في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: (أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه، فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العِصاه، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة وعلق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوننا، وإذا عنده أعرابي، فقال: «إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي، وَأَنَا نَائِمٌ»، النبي صلى الله عليه وسلم نام بجانب الشجرة وعلق بها سيفه فجاء هذا الأعرابي من أهل البادية، وهو غورث بن الحارث كما في رواية البخاري، فأخذ السيف ثم

شهره وقال: يا محمد من يمنعك مني، فالتفت النبي ﷺ إليه والسيف في يده فقال له: «الله»، فسقط السيف من يد الأعرابي، فأخذه النبي ﷺ، وقال له: «مَنْ يَمْنَعُكَ؟» قَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، قَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قَالَ: لَا وَلَكِنْ أَعَاهِدُكَ عَلَى أَنْ لَا أَقَاتِلَكَ وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، قَالَ جَابِرٌ: فَخَلَّى سَبِيلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، جاء في بعض الروايات: أن هذا الرجل ما مكث إلا يسيرًا وإذا به يدخل في دين الإسلام، فانظروا إلى النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كيف حرص على هداية هذا الرجل وأن يدخل الإسلام إلى قلبه وكان بإمكانه أن يأخذ بحقه وأن يضرب عنقه؛ لأنه كافر أراد قتل النبي ﷺ، أنزل الله إثر هذه الحادثة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

ومشاهد كثيرة، فمن ذلك: ما جاء في "البخاري" و"مسلم" من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجاء في "البخاري" من حديث أبي هريرة: أن رجلاً أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ إلى المسجد، والنبي ﷺ يحدث أصحابه، فعقل الأعرابي بغيره، فبينما هو كذلك اعتزل في طائفة من المسجد ثم جعل يبول في المسجد أحب البقاع إلى الله جريمة، فقام إليه الصحابة وأرادوا أن يضربوه، هموا به كيف يفعل هذا المنكر، فقال النبي ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعْوَاهُ»، فتركوه حتى انتهى من البول، والرجل متعجب ما الذي صنعت؟ ما الذي اقترفت؟ لماذا أرادوا ضربي؟ يظن أنه في البادية عند الأشجار والأحجار والأبقار والأغنام والإبل، إذا أراد أن يبول

جلس بجانب شجرة أو حجر وبال، فهو يظن أنه ما صنع شيئاً يتعجب من فعلهم، فلما انتهى من البول قال النبي ﷺ: «هَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ»، لو ضربوه لتناثر البول على ثيابه وبدنه وأصاب أماكن كثيرة في المسجد؛ ولكنه لما انتهى من البول طهر ذلك البول بالماء، ثم قال له: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»، فتعجب هذا الأعرابي وعندها عَلِمَ أنه أخطأ ولكنه تعجب من حلم النبي ﷺ ومن حسن تعليمه ورحمته، فلما أراد أن ينصرف قال: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَقَدْ حَجَرْتَ وَاسِعًا».

ومن ذلك أيضًا: ما جاء في "صحيح الإمام مسلم" عن جماعة من الصحابة ومنهم جابر بن سمرة وبريدة وأبو سعيد وجاء عن غيرهم: (أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُھَيْنَةَ أَتَتْ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزَّئْنِ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمُّهُ عَلَيَّ)، امرأة مُحْصَنَة وحدها: إن زنت أن تُرجم بالحجارة حتى تُفارق الحياة، فأرادت أن تتطهر من هذا الذنب، فقالت: (فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمُّهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: «أَحْسِنُ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعْتَ فَأُنَبِّئْ بِهَا»، فَفَعَلَ)، فذهبت المرأة وكان بإمكانها أن تغيب وأن تهرب وأن تستر نفسها ولكنها أصرت على التوبة وإقامة الحد، فمكثت حتى وضعت طفلها، ثم جاءت به تحمله إلى النبي ﷺ، وقالت: أصبت حدًا فأقمه عليّ، فنظر النبي ﷺ إليها ومعها ذلك الطفل الرضيع الذي ما زال في أيامه الأولى، فقال لوليها: «أذهب بها

فإذا أرضعته فأتني بها»، لو أقام عليها الحد ربما تلف ذلك الغلام فهو بحاجة إلى أمه ولبنها وحضانتها وحفظها، والله جل وعلا يقول عنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فقال: «اذهب بها فإذا أرضعته فأتني بها»، فذهبت المرأة وأرضعت ذلك الطفل، ثم جاءت به مرةً ثالثة وهي مُصرة على التوبة وعلى إقامة الحد، تأملت من هذا الذنب، فأرادت التطهير، فقالت: يا رسول الله أصبت حدًا فأقمه عليّ، وجاءت بولدها وفي يده كسرة من الخبز حتى يرى النبي ﷺ أنه لا يحتاج إليها كثيرًا، فلما رأى إصرارها وعزمها واعترافها أمر أصحابه ﷺ أن يرموها بالحجارة، وضعت لها حفرة وفي رواية في مسلم: أنهم شدوا عليها ثيابها في تلك الحفرة وجعلوا يرمونها بالحجارة حتى فارقت الحياة، أصاب خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شيء من دمها فسبها، فقال النبي ﷺ: «مَهْلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ»، وفي رواية: «لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى؟».

ما أحوجنا أيها المسلمون إلى أن نتأسى بنبينا ﷺ في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى فإن كثيرًا من الناس إنما ينفرون عن دين الله تبارك وتعالى بسبب صفات من يحمل هذا الدين التي تخالف ما كان عليه النبي ﷺ.

جاء في "صحيح الإمام مسلم" من حديث معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان بادئًا في الإسلام كان حديث عهد بكفر، قال: بَيْنَمَا أَنَا أَصِلِّي مَعَ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمَكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَانْكَلْ أُمِّيَاهُ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ»، أَي: من مخاطبة الناس، «إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»، أَوْ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، تعليم من النبي ﷺ وتأديب بأسلوب عظيم؛ ولهذا دخل الناس في دين الله أفواجًا، كان هذا من أعظم الأسباب التي بها دخل المؤمنون في دين الله تبارك وتعالى.

وهذا رجل آخر يأتي إلى النبي ﷺ كما في "الصحيحين" عن أبي هريرة ويقول: (هَلَكْتُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَمَا أَهْلَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ)، وفي حديث عائشة في "الصحيحين" قال: (احْتَرَفْتُ)، وانظر إلى خوف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الذنوب، يرون أن الذنوب هلكة، وأن الذنوب احتراق، وأما نحن في أيامنا وزماننا نقع في الذنوب ولا نُبَالِي، وأحدنا يزكي نفسه وهو غارق إلى حنجرتة بالذنوب والسيئات ويقول: قلبي صافي وما عندي مُحَالَفَات، لا أغش ولا أكذب على الناس، ولا أظلم، ولا أرتشي، ولا أفعل، هذا الصحابي يقول: هَلَكْتُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَمَا أَهْلَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: «هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ

شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟» قَالَ: لَا، وَفِي رَوَايَةٍ قَالَ: (مَا وَقَعْتَ فِيهَا وَقَعْتَ فِيهِ إِلَّا مِنَ الصِّيَامِ)، قَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَفْقَرُ مِنِّي، فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ وَجَلَسَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مُنْكَسِرَ رَأْسِهِ، فَجَاءَ شَيْءٌ مِنْ تَمَرِ الصَّدَقَةِ فِي مَكْتَلٍ فَقَالَ: «أَيْنَ الْمُحْتَرِقُ أَنْفًا؟» فَقَامَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَصَدَّقْ بِهَذَا»، قَالَ: أَفْقَرُ مِنَّا؟ فَمَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلٌ بَيْنَ أَحْوَجَ إِلَيْهِ مِنَّا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»، وَجَاءَ فِي رَوَايَةٍ: أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ وَكَانَتْ تِلْكَ الصَّدَقَةُ جَاءَتْ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ وَجَدْتُ عِنْدَكُمْ الضِّيقَ، وَوَجَدْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ السَّعَةَ، وَقَدْ أَمَرَ لِي بِصَدَقَتِكُمْ.

هَكَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، يَأْتِيهِ أَعْرَابِي فِي غَزْوَةٍ حُنَيْنٍ فَيُخَنِّقُهُ بِرَدَائِهِ وَيَقُولُ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ أَمَرَ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ لَيْسَ مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ، فَيَلْتَفِتُ النَّبِيُّ ﷺ وَيَضْحَكُ وَيَأْمُرُ لَهُ بِعَطَاءٍ، يَأْتِيهِ رَجُلٌ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ وَهُوَ ضِمَادُ الْأَزْدِيِّ كَمَا فِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ" مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ ضِمَادًا، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنْوَةَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدَيَّ مَنْ شَاءَ فَهَلْ لَكَ)، سَبَّحَانَ اللَّهَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الَّذِي مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ مَعَ ذَلِكَ يُتِّهِمُ أَنَّهُ مَجْنُونٌ، فَإِذَا قِيلَ لَكَ شَيْءٌ مِنَ الْإِتِّهَامَاتِ وَالْإِشَاعَاتِ

والدعايات فإياك أن تتقهقر فقد قيل لرسول الله ﷺ أنه مجنون، وجاء هذا الرجل يريد أن يعالجه، (فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ» قَالَ: فَقَالَ: أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ)، هذا ليس بسحر ولا شعر كلام عظيم يخترق القلوب ويؤثر عليها، وهذا رجل عربي من سادات العرب، فقال له: (هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعَكَ عَلَى الْإِسْلَامِ)، فبسط يده وبايعه وقال: أشهد ألا إله إلا الله، وأنت رسول الله، كهذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

جاء في "الصحيحين" عن أبي هريرة: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، وفي هذا جواز دخول المشرك إلى المسجد، وأن هذا لا شيء فيه إذا احتيج إلى ذلك إلا المسجد الحرام فإنه لا يجوز، (فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقَتَّلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتَرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟»، قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمَ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ:

«أَطْلِقُوا ثِمَامَةَ»، فَأَنْطَلَقَ إِلَى نَجْلِ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاعْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمَرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا وَاللَّهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ، وهو سيد أهل اليمامة.

هكذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وفي الحديث الصحيح من حديث ابن عباس: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - رُكَّانَةَ بِنْتُ عَبْدِ يَزِيدَ بْنِ هَاشِمٍ بِنِ الْمُطَّلِبِ، وَمَعَهُ أَعَزُّ لَهُ، وَكَانَ أَشَدَّ الْعَرَبِ، لَمْ يَصْرَعْهُ أَحَدٌ قَطُّ، " فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ لَا أُسْلِمُ حَتَّى تَدْعُو هَذِهِ الشَّجَرَةَ، وَكَانَتْ سَمُرَةً أَوْ طَلْعَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -: «أَقْبِلِي بِإِذْنِ اللَّهِ»، فَأَقْبَلَتْ تَحْدُ الْأَرْضِ خَدًّا، فَقَالَ رُكَّانَةُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ سِحْرًا أَعْظَمَ، فَمُرَهَا فَلْتَرْجِعْ، قَالَ: «ارْجِعِي بِإِذْنِ اللَّهِ»، فَارْجَعَتْ، فَقَالَ لَهُ: «وَيْحَكَ أَسْلِمَ»، فَقَالَ: إِنْ صَرَعْتَنِي أَسْلَمْتُ، وَإِلَّا فَغَنَمِي لَكَ، وَإِنْ صَرَعْتُكَ كَفَفْتَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، فَصْرَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رُكَّانَةُ: عَاوَدَنِي، فَصَارَعَهُ، فَصْرَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

أَيْضًا " ، فَقَالَ: عَاوِذِي فِي أُخْرَى، فَعَاوَدَهُ، فَصَرَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فقال ركانة: أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ودخل في الإسلام، الحديث في "صحيح السيرة" للعلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَعْنَاهُ.

وكم من المواقف العظيمة التي فيها دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ومن ذلك أيضًا: ما جاء في "البخاري" من حديث أنس: (كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ)، وفيه: شرعية عيادة المريض وإن كان كافرًا إذا كان في ذلك مصلحة من دعوته إلى الإسلام، وفيه: حق الجار وأنه عظيم ولو كان كافرًا، (فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»)، دعوة إلى الله في كل أحواله وفي سائر شؤونه وأقواله، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، كَأَنَّهُ يَسْتَأْذِنُهُ، (فَقَالَ لَهُ: أَطْعِ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»).

كانت دعوة النبي ﷺ إلى الله تبارك وتعالى وإلى دينه سبحانه وتحذيرًا من ناره ومن سخط الجبار، فمن دخل في دين الإسلام فهذه نعمة ومن شهد شهادة الحق فهذه نعمة، وهكذا ينبغي أن يكون أتباعه، أن يكون غرضهم من الدعوة إلى الله: أن يدخل المسلمون في دين الله كما أراد الله، وأن يوحدوا الله، وأن يعبدوا الله، وأن يستقيموا على دينه، وأن لا يكون الغرض من الدعوة شيئًا من حُطام الدنيا أو أمورًا بدعية أو شهوات أو ملذات أو مآرب وإنما إلى الله.

النبي ﷺ ما استفاد من هذا الغلام مالا ولا جاهًا ومع ذلك خرج وهو يحمد الله: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»، وكيف له لا يدخل في دين الإسلام ولا يقول هذه الكلمة العظيمة وهو قد خدم نبينا ﷺ وعاشه ورأى من صفاته ومعاملته ومن أخلاقه الفاضلة العظيمة التي كان عليها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وكم من المواقف العظيمة التي كان عليها نبينا ﷺ، في "صحيح الإمام مسلم" من حديث أنس: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ أَسْلَمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ، فَقَالَ أَنَسٌ: إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمَ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسْلِمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا.

هكذا كان نبينا ﷺ، بعثه الله عَزَّ وَجَلَّ في مكة فدعا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ عشر سنين ولم يستجب له إلا القليل، بل آذوه وحاربوه، كان يخرج في الأسواق ومجامع الناس ومواسم الحج ويتخلل الناس ويقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»، ليس معه أحد وليس معه أنصار بل يتبعه عمه أبو لهب يُراجمه بالحجارة حتى يسيل الدم من عرقوبه، وهو يقول: لا تصدقوه هذا ابن أخي هذا كذاب، كما جاء في حديث ربيعة بن عباد الديلي، وجاء من حديث طارق المحاربي نحوه.

وحصل له الأذى وعُذِبَ أصحابه ومنعه الله بعمه أبي طالب، وأخرجه قومه يقول له ورقة: يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «أَوْخَرَجِي هُمْ؟»، فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ ، أَنُصْرِكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، فخرج النبي ﷺ لما أمره الله بالهجرة إلى المدينة، فخرج وترك أرضه، وماله، وأهله، وعشيرته، ووطنه من أجل الله تبارك وتعالى.

لما بلغ الزوراء التفت إلى مكة وقال: : «وَاللَّهِ إِنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْ لَا أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ»، فخرج النبي ﷺ ومعه أبو بكر الصديق، ومرا بتلك الرحلة العظيمة حتى وصلا المدينة وأسس دولة الإسلام وأقام دين الله عَزَّ وَجَلَّ وبدأ الصراع بين الحق والباطل، والتقى مع قومه في معركة بدر، ومعركة أحد، والأحزاب، وهكذا لما حصل صلح الحديبية نقض المشركون الصلح كما هو معلوم، فخرج النبي ﷺ إلى مكة مُقَاتِلًا وفاتحًا، ولما عَلِمَ المشركون بقدمه عجزوا عن مواجهته مع ما حصل منهم، حاربوه، آذوه، قاتلوه، كسروا رباعيته في معركة أحد، شجوا رأسه، قتلوا عمه حمزة ومثلوا به، قتلوا كثيرًا من أصحابه، وشردوا من شردوا، وعذبوا من عذبوا، ولما دخل النبي ﷺ مكة قال لبعض أصحابه حين حصل بينه وبين بعض أهل مكة بعض الجدل، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَذَبَ سَعْدُ، وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعْظَمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةُ، وَيَوْمٌ

تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ»، فلما وصل مكة وجمع الناس وخطبهم بجانب البيت، إنهم الذين عادوه، إنهم الذين آذوه، إنهم الذين أخرجوه فقال لهم: «مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرًا، أَخُ كَرِيمٌ، وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ قَالَ: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطَّلَقَاءُ»، «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ»، ليس بينه وبينهم مال ولا أرض ولا شيء وإنما هو دين الله.

دخلوا في دين الله انتهى كل شيء، قال لهم: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دِمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ فَقَتَلْتُهُ هَذِلًا، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلَ رَبَا أَضَعُ رَبَانَا رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، هكذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ولما خرج إلى معركة حُنين بعد فتح مكة فخرج معه أهل مكة مجاهدين في سبيل الله، وانقلبت الموازين وتغيرت الأحوال، إنهم الذين هاجموا في معركة أحد، والذين حاصروه في غزوة الأحزاب، والذين أرادوا قتله وهو في مكة، والذين جعلوا ديتهم مائة من الإبل من جاء به حيًّا أو ميتًا، وبعد ذلك خرجوا مجاهدين في سبيل الله تبارك وتعالى إلا من كتب الله عليه الشقاء فمات على الشرك وصار من أهل النار.

هكذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ في دعوته إلى الله تبارك وتعالى؛ ولهذا قال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ

عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿التوبة: ١٢٨﴾، حريص على سلامتنا، حريص على هدايتنا، حريص على نجاتنا فإن أخذنا بسنته أفلحنا، وإن أعرضنا عنها هلكنا، يشق عليه ما يشق على أمته يسعى إلى نجاتهم، قرأ النبي ﷺ قول عيسى عليه السلام في سورة المائدة: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، وذكر قول إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وبكى، فقال الله عز وجل: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلِّمْهُ مَا يُبْكِيكَ؟» فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ: «يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُضْرِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ»، والحديث في "الصحيح" من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

وذكر لنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أن من الناس من يُذاد عن حوضه المورود في عرصات القيامة فيقول: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، فيقال: «إِنَّكَ لَا تَذِرِي مَا أَحَدَثُوا بَعْدَكَ»، إنهم غيروا وبدلوا.

وأخبرنا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في حديث الشفاعة: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرَّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرَّ الطَّيْرِ، وَشَدَّ الرَّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»، هكذا كان النبي ﷺ

يحرص على هداية الخلق وحتى في الدار الآخرة وفي عرصات القيامة وهو يدعو الله أن تنجو أمته من العذاب؛ ولهذا يقول لنا نبينا ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجُنَادُ بِهَا وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُبُّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفْلَتُونَ مِنْ يَدِي»، متفق عليه عن أبي هريرة، وجاء في مسلم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أيها المسلمون عباد الله، إن هذا الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ فيه سعادتنا في الدنيا والآخرة ونجاتنا في الدنيا والآخرة، ما أرسل الله محمدًا وشرع هذا الدين العظيم إلا لما فيه من الصالح، ولما فيه من المنافع، ولما فيه من الفوائد، ولما لصدّه من الأضرار والمثالب.

خرج النبي ﷺ في بعض سبایا الحرب فوجد امرأة تبحث يمينًا وشمالًا عن ولد لها من السبي، فلما وجدت ولدها ألزقته ببطنها وجعلت ترضعه وتبكي، فالتفت إلى أصحابه وقال: «أَتَرُونَ هَذِهِ الْمُرَأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قُلْنَا: لَا، وَاللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَهُ أَزْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا»، متفق عليه عن عمر، ومن رحمته: أن أرسل إلينا نبيه، وشرع لنا دينه، وأنزل كتابه فمن أراد رحمة الله فليستمسك بدين الله وليعلم أن دين الله عَزَّ وَجَلَّ يصلح في كل زمان ومكان، يصلح في القرى، في المدن، في الجبال، في الشعاب، في الوديان، في السهول، في السفر والحضر، يصلح للكبير والصغير، والذكر والأنثى، والقوي والضعيف، والغني والفقير، يصلح لكل شيء ولكل

مكان ولكل زمان، فيايك يا عبد الله أن تكون نافرًا عن دين الله مُعرضًا عن سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وقد أطلنا عليكم ولكن نختم هذه الكلمة موقفين وحديثين للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في باب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى:

الأول: حديث هريرة في "الصحيحين": أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا أَلَوَانُهَا» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَتَى كَانَ ذَلِكَ» قَالَ: أَرَاهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ، قَالَ: «فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ»، جاء لهذا الأعرابي ﷺ من حيث يفهم.

الثاني: وفي حديث أبي أمامة عند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ وهو في "الصحيح المسند" مما ليس في الصحيحين: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُذَنِّ لِي بِالزَّانَا، اللهُ أكبر يُريد تصريحًا بالزنا، هو يعلم أنه محرم ولكنه يُريد هذا المنكر ويُريد تصريح ورخصة، (فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: «إِذْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا»، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبنَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ»، قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِعمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا، وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ

يُحِبُّونَهُ لِعِمَّتِهِمْ»، قَالَ: «أَفْتُحِبُّهُ لِحَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِحَالَتِهِمْ»، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

سبحان الله ما أعظم هذا التعليم، وما أعظم هذه الدعوة التي كان عليها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

يقول شيخنا **رَحِمَهُ اللَّهُ** بعد هذا الحديث: ويا لها من موعظة للدعاة إلى الله تبارك وتعالى.

أيها المسلمون، ما أخرجنا إلى أن نتعرف على سنة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وعلى حياته على دعوته، ولا يكون ذلك إلا بالعلم النافع، وما أعرض من أعرض وشقي من شقي وهلك من هلك إلا لما أعرضوا عن دين الإسلام وعن سنة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فتراكمت عليهم البلايا ونزلت في أوساطهم الرزايا وحصل الشر، الفتن، القتل والقتال، المنكرات، المخالفات، المعاصي الظاهرة والباطنة الداخلية والخارجية الحسية والمعنوية، كل ذلك لما أعرض الناس عن كتاب الله وعن سنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

فالله الله عباد الله بالرجوع إلى الله، والاستقامة على دين الله، والتفقه في دين الله تبارك وتعالى.

نسأل الله جل وعلا بمنه وكرمه وجوده وإحسانه: أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، **اللَّهُمَّ** فقنا في الدين، **اللَّهُمَّ** علمنا التأويل، **اللَّهُمَّ** ادفع عن

بلادنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ دافع عن بلادنا الفتن والشرور ما ظهر
منها وما بطن، اللَّهُمَّ أعز الإسلام والمسلمين، اللَّهُمَّ رد المسلمين إليك ردًا جميلاً،
اللَّهُمَّ ارحم عبادك وبلادك، اللَّهُمَّ اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، اللَّهُمَّ
ألف بين قلوبنا على الحق المبين، اللَّهُمَّ أجمع كلمة المسلمين على كتابك وعلى سنة
رسولك **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، اللَّهُمَّ عليك باليهود والنصارى ومن وافقهم
وناصرهم، اللَّهُمَّ مزقهم تمزيقاً، اللَّهُمَّ عليك بهم فإنهم لا يُعجزونك.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،
وبارك الله فيكم.



[٧] إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ

إِنْ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا،
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى**
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
(سورة آل عمران: ١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (سورة النساء: ١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١).

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدْيُ مُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ
ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

يا أيها المسلمون، إنا نحمد الله تبارك وتعالى الذي جمعنا بكم في هذا المسجد المبارك نذكر الله تعالى ونتدارس شيئاً مما يسر الله **عَزَّ وَجَلَّ** من كلامه وكلام رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، وما أعظمها من نعمة: أن يوفق العبد إلى مجالس الذكر وحلق العلم في حين صُرف كثير من الناس عن هذا وزهدوا فيه وأقبلوا على الدنيا وتنافسوا عليها وتقاتلوا من أجلها، وتباغضوا وتحاسدوا، وأما أنتم فإنه يجمعكم كتاب الله وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، لم تجتمعوا في هذا المكان من أجل دنيا ولا سياسة ولا مناصب ولا انتخابات ولا شيء من ذلك، وإنما دفعكم دين الله وعبادة الله تبارك وتعالى؛ لأن في هذه المجالس تنشرح الصدور، وتطمئن القلوب، وتهتد الأنفس؛ ولهذا قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ **[الرعد: ٢٨]**، هذا حال أهل الخير وحال أهل الإيمان: أنهم يرتاحون عند سماع الذكر وتنشرح صدورهم؛ لأن فيه راحتهم وفيه سعادتهم، وكيف لا تكون السعادة في كتاب الله وفي سنة رسوله **ﷺ**، والله يقول في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ **[يونس: ٥٧-٥٨]**.

أهل السنة إذا اجتمعوا في مساجدهم إما أن يتدارسوا القرآن أو يتعلموا ما يسر الله من سنة النبي **ﷺ**، أو يتعلموا شيئاً من عقيدتهم الصحيحة

أو مسائل الفقه أو من سائر الفنون الطيبة النافعة، فيا لها من نعمة لمن وفقه الله تبارك وتعالى إليها.

أيها المسلمون عباد الله، غالبًا ما يذكر المحاضرون في محاضراتهم الوعظ والتذكير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي هذا المقام أحببت أن أذكر نفسي وإخواني بدرس من كتب أهل العلم من الكتب النافعة من كتاب التوحيد للمجدد: محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه، وما أعظم ذلك الكتاب فهو كتاب توحيد، وكتاب وعظ وإرشاد، وكتاب أحكام، وكتاب فوائد وتنبيهات وتوجيهات عظيمة؛ لأنه إما آية من كتاب الله أو حديث من أحاديث رسول الله ﷺ أو أثر عن السلف أو قول عالم من علماء أهل السنة والجماعة وهذا قليل فيه وإلا جله آيات وأحاديث.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه في كتابه "التوحيد": (باب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الفصل: ٥٦]، ثم قال: (وعن سعيد بن المسيب عن أبيه: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ جاء إلى أبي طالب لما حضرته الوفاة وعنده عبد الله بن أبي أمية المخزومي وأبو جهل، فقال له النبي ﷺ: «يَا عَمَّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمِيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَعْزِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بَيْنَكَ الْمُقَالَاةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: أَنَا عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ

المُطَلَّب، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «وَاللَّهِ لَا أَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَتِهِ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل في شأن أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصاص: ٥٦].

حديثنا عن هذا الباب العظيم بما يسر الله عزَّ وجلَّ من التعليق، فإن هذا الإمام الجليل ذكر هذا الباب في كتاب التوحيد؛ ليُبين أنه إذا كان النبي ﷺ مع ما له من المكانة عند الله تبارك وتعالى ومع ذلك لا يقدر على هداية أحد ولا على توفيقه، ولا تجوز عبادته ولا يجوز تعظيمه فوق الموضع الذي وضعه الله فيه فكيف بغيره من المخلوقين؟ وكيف بغيره من المعبودين الذين صُرِفَتْ لهم العبادة وبُنيت عليهم القباب ودعاهم الناس من دون الله تبارك وتعالى، وصرفوا لهم النذور وطافوا منهم على القبور وتمسحوا بأتربتهم.

ومن المناسب أيضًا أنه ذكر هذا الباب؛ ليُبين أن هداية التوفيق والإلهام هي بيد الله تبارك وتعالى لا يملكها غيره، فمن طلبها من غير الله عزَّ وجلَّ أشرك به وانتقض توحيده وهذا هو المناسب لكتاب التوحيد.

وقد ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "مدارج السالكين"، وهكذا ابن رجب في "جامع العلوم والحكم": أن الهداية تنقسم إلى أربعة أقسام:

أولها: هداية التوفيق والإلهام، وهذه لا يملكها إلا الله تبارك وتعالى، ودليها هذه الآية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]، فالله عزَّ وجلَّ هو الذي يوفقه عباده، وهو الذي يُلهمهم رشدهم، وهو الذي يُسدّد خطاهم: «مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ».

وأما النوع الثاني: فهي هداية الإرشاد والدلالة، وهذه يملكها الأنبياء والرسل، والعلماء والمرشدون، والنصحاء والمصلحون، وهكذا القرآن الكريم والله جل وعلا يدل ويرشد عباده إلى الخير؛ ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]، أي: ارشدناهم ودللناهم، وهكذا يقول الله جل وعلا عن نبيه: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، ويقول سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، ويقول الله جل وعلا عن القرآن: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ويقول الله جل وعلا: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

وأما الهداية الثالثة: فإنها الهداية العامة لجميع الخلق، ولا يحصل بها الاهتداء التام، قال الله جل وعلا: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠].

وأما الهداية الرابعة: فهي غاية الهدايات، وهي التي يحصل بها النعيم أو العذاب، قال الله جل وعلا في بيان هداية أهل الجنة إلى الجنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٩-١٠]، وهداية أهل النار إلى النار، قال الله جل وعلا: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣].

وقد تجتمع هداية الدلالة والإرشاد مع هداية التوفيق والإلهام؛ كقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، بمعنى: وفقنا للصراط المستقيم وثبتنا عليه وأرشدنا إليه، فالله جل وعلا يقول في هذه الآية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصاص: ٥٦]، يا محمد ليس بيدك توفيق الخلق ولا إلهامهم، وإنما عليك البلاغ والإرشاد والدلالة، وبما أنها نزلت في أبي طالب فقد قال أهل العلم: المراد بالمحبة في هذا الموطن: المحبة الطبيعية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصاص: ٥٦]، محبة طبيعية، وقيل في معناها: إنك لا تهدي من أحببت هدايته، قال العلامة العثيمين: ويُحتمل معنى ثالث: وأنه كان قبل النهي عن محبة المشركين ثم نُسِخَ ذلك ونُهِيَ عنه، والقول الأول والثاني هما الأقوى في تفسير هذه الآية.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصاص: ٥٦]، وإذا عَلِمَ العبد أن الهداية بيد الله تبارك وتعالى فيسعى في البحث عن أسبابها ويطرق أبوابها، ويدعو الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقه إياها، أولسنا نقول في كل صلاة

من فرض ونفل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، أين صدقنا في قولنا لهذا الدعاء؟ أين إخلاصنا؟ أين ثقتنا بالله عَزَّ وَجَلَّ؟ أين احتسابنا؟ ما أكثر الذين يقولون هذه الكلمة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، ولا يزالون على سُبُل الغواية وطُرق الشيطان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، يتبعون طُرق اليهود والنصارى وهم يُكررون في صلواتهم: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

وأما الحديث الذي ذكره هذا الإمام في هذا الباب فهو حديث المسيب بن حزن، والمسيب صحابي وأبوه حزن صحابي، وولده سعيد تابعي وهو أفضل التابعين في العلم، وأما أفضلهم عند الله تبارك وتعالى فهو أويس بن عامر القرني في العبادة والزهد كما جاء في صحيح الإمام مسلم: أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسُ الْقُرْنِيُّ»، فسيدهم أويس وأعلمهم سعيد بن المسيب رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى.

لما مَرَضَ أبو طالب وهو عم النبي ﷺ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وهو الذي يُدافع عنه ويحميه من أذى المشركين عصبية وحمية ليس لأجل الدين وإنما للعصبية، وكان النبي ﷺ يدعو فلا يستجيب ويقول كما في "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة: «لَوْلَا أَنْ تُعَيِّرَنِي قُرَيْشٌ، يَقُولُونَ: إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ الْجَزَعُ لَأَقَرَرْتُ بِهَا عَيْنَكَ»، وهذا يُغني عن ذينك البيتين اللذين لا يصح سندهما:

ولقد علمت أن دين محمد من خير أديان البرية دينًا

لولا الملامة أو حذري مسببة لوجدتني سمحاً بذلك يقيناً
 كان يُدافع عنه ويدفع عنه أذى المشركين، فمرض أبو طالب فجاءه النبي
 ﷺ يعودُه ليدعوه إلى الله تبارك وتعالى، وفي هذا جواز زيارة
 الكافر في مرضه لدعوته إلى الإسلام ودعوته إلى الدين العظيم ولو كان كافراً،
 فقد دخل النبي ﷺ على ذلك الغلام اليهودي وهو في مرض الموت كما في
 "صحيح الإمام البخاري"، فقال له: «أَسْلِمَ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ:
 «أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ».

النبي ﷺ زار عمه أبا طالب، فلما دخل عليه قال له: «يَا عَمِّ
 قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، ناداه بالعمومة، استعطفه بهذه
 العبارة ويا له من توجيه حسن لكل طالب علم وداعٍ إلى الله تبارك وتعالى في
 دعوته الخلق إلى الحق: أن ستعمل الأسلوب الحسن، والكلمة الطيبة، والحكمة في
 موضعها كما أمر الله جل وعلا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
 الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، لم يقل له نبينا ﷺ يا أيها
 المشرك، يا أيها الكافر، وإنما قال له: «يَا عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا
 عِنْدَ اللَّهِ»، قل كلمة هي كلمة ولكنها تحمل معاني عظيمة وعديدة وهي يسيرة.

ومن هنا قال أهل العلم: من شَهِدَ الكافر عند موته فإنه يقول له: قل لا إله
 إلا الله، فإن شَهِدَ المسلم عند موته فبحسبه، فإن عَلِمَ منه أنه لا يتضرع فليقل له:

قل لا إله إلا الله، وإن شعر منه أنه ربما يتضجر وربما يغضب وربما يموت ولا يقول هذه الكلمة فيأتيه بأسلوب آخر إما أن يذكر الله عنده أو يذكر هذه الكلمة أو يكررها لعله أن يقولها.

وقد ذُكرَ في ترجمة: أبي زرعة الرازي **رَحِمَهُ اللهُ**: أنه لما كان في مرض موته جلس بجانبه بعض المحدثين، فأرادوا أن يقولوا له: قل لا إله إلا الله، ولكنهم استحيوا منه فجعلوا يتذكرون حديث معاذ الذي قال فيه النبي **ﷺ**: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وأخطأوا في إسناد الحديث فانتبه الإمام أبو زرعة وذكر لهم الإسناد على الصواب، ثم أسنده وتلفظ به وكان آخر ما قال.

فالنبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** قال: «يَا عَمَّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، أي: أذكرها لك حجة عند الله يوم القيامة، أو أشهدك لك بها عند الله، وهذا يدل على عظم هذه الكلمة ومكانتها، وأنها حجة عظيمة للعبد لمن قالها مُخلصًا بها، لمن أتى بشروطها، لمن وفى بأركانها، لمن فهم معناها، لمن أعرض عن نواقضها، حجة عظيمة يُنجيه الله جل وعلا من العذاب كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «لَقِّنُوا مَوْتَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَإِنْ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ».

هذه الكلمة اليسيرة ما أكثر الذين تثقل على ألسنتهم عند الموت ولا يستطيعون قولها، والسبب في ذلك: أن كثيرًا منهم ضيعوا أعمارهم في غير طاعة

الله تبارك وتعالى فألستهم شُغِلت بالسب واللعن، والأغاني، والباطل، وقول الحنا والدعوة إلى البدع وغير ذلك وأعرضت عن الذكر والتسبيح وترديد هذه الكلمة والاستغفار، فلما كان في ذلك الموطن ما استطاعوا أن يقولوها؛ ولهذا ذكر ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** في "الداء والدواء": أن منهم من يُقال له: قل لا إله إلا الله فيتذكر ماله، أو يتذكر داره، أو يتذكر ما كان عليه من الذنوب والمعاصي، ومنهم من قالوا له: قل لا إله إلا الله وإذا به يُردد بعض الأغاني وألفاظها، إنها كلمة يسيرة على من يسر الله جل وعلا عليه، من جعل لسانه رطبًا من ذكر الله في حياته وصدق مع الله جل وعلا فإنه في ذلك الموطن يُسدد ويوفق.

قال النبي **ﷺ**: «يَا عَمَّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فقال له أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب، وهذا فيه خطورة جُلُساء السوء وأَصْفِيَاء الباطل فإنهم لا يزالون بالعبد حتى يُردوه ويصرفوه عن الخير، فالذي يُثقل على نفسك الطاعة جليس سوء ينبغي لك أن تُفارقه، والذي يُبعدك عن الخير جليس سوء ينبغي أن تُفارقه، والذي يُسهل عليك العصية بحجة أن الله غفور رحيم وأنه تواب حكيم، وأنه وأنه، هذا جليس سوء ينبغي أن تُفارقه، قالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ ذكرناه بعادات الآباء والأجداد السيئة التي كان يعيشها أهل الجاهلية، وما هي ملة عبد المطلب؟ إنها ملة عوجاء من أساسها إلى رأسها، إنها الشرك بالله جل وعلا، إنها ارتكاب المحرمات، إنها إزهاق الأنفس بغير حق، إنها وأد البنات أحياء، إنها

عبادة الأشجار والأحجار، إنها ارتكاب الزنا والفواحش، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ وما أكثر الذين يُشابهون هؤلاء فإذا رأوا العبد قد أقبل على السنة وأهلها وطلب العلم والاستقامة قالوا: تترك دينك ودين آباءك وتأخذ بهذا الدين الجديد؟ وما أشبه الليلة بالبارحة، قال الله جل وعلا عن المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، فهذه من سنن أهل الجاهلية ومن طرقهم التي جاء الإسلام بمخالفتها، ودعا النبي ﷺ إلى مناقضتها.

ويُستفاد من هذا الحديث أيضًا: أن الافتخار بما كان عليه الآباء والأجداد من الباطل مذموم، مذموم فاعله فقد قال النبي ﷺ: «لَيْسَتْ هِيَ أَقْوَامٌ فَخَرَهُمْ بِرِجَالٍ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْجُعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ»، رواه الإمام أبو داود من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" (٢٩٦٥).

وإنما ينبغي للعبد أن يرفع رأسه بالحق وأن يُعظم دين الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن يأخذ بما جاء في الكتاب والسنة، وأن يكون متواضعًا لربه تبارك وتعالى، هذا هو الذي يجب على العبد؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»، «بَطْرُ الْحَقِّ» أي: دفعه، «وَعَمْطُ النَّاسِ» أي: احتقارهم، والحديث في "صحيح مسلم" من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قالا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد النبي ﷺ عليه العبارة وقال له: «يَا عَمَّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، ما أوسع صبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، ما قال يا أيها الكفرة، يا أيها الزنادقة ما الذي جاء بكم إلى بيت عمي، لماذا تتدخلون؟ دعونا وشأننا، وإنما كان حريصاً على هداية عمه؛ لأنه في لحظات حرجة وفي آخر حياته، فأعرض عنهما وأقبل على عمه يدعوه إلى الله تبارك وتعالى، فأعاد عليه العبارة فكررا عليه عبارتهما: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب.

احذر جلساء السوء فإنهم سيردونك ثم يتخلون عنك في الدنيا، وإن لم يتخلوا عنك في الدنيا تخلوا عنك في الآخرة، قال الله جل وعلا: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَتَيْتَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ * فَاظْلَعْ فَرَأَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥١-٥٥]، سأل عن صاحبه الذي كان يُشككه في أمر المعاد والجزاء والبعث، فسأل عنه ف قيل له: اطلع في النار، فاطلع فرآه في وسطها: ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِنِ كِدْتَ لَتُرْدِينَ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [الصافات: ٥٥-٥٧]، فإذا ما أردى العبد وانحرف عن الدين ماذا سينفعهم الندم في تلك الدار، فاحذر مجالسة الأشرار وصاحب الأخيار، صاحب الصالحين، صاحب الأبرار: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ

وَالْعَثِيَّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنُ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾ [الكهف: ٢٨].

في هذا الحديث أبو جهل بن هشام مات على الكفر قُتِلَ يوم أحد إلى جنهم وبئس المصير، وأما عبد الله بن أبي أمية فإنه أسلم بعد ذلك وحسُنَ إسلامه وهو أخو أم سلمة زوجة النبي ﷺ، أسلم بعد ذلك ويدلك هذا على أن الهداية بيد الله، فانظر إلى هذا الرجل كان في أول أمره يرشد إلى الشر وإلى الشرك وإلى الضلال، ثم بعد ذلك يسر الله جل وعلا له بالهداية والتوفيق، فلما رأى النبي ﷺ أن عمه آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، وهو لم يقل هذه الكلمة وإنما قال: أنا على ملة عبد المطلب، ولكن الراوي استقبحها فلم يتلفظ بهذه الكلمة وإنما قال: آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب.

خرج النبي ﷺ وهو يقول: «لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُكَّ عَنْكَ»، كل ذلك من حرصه ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على سلامة العباد من عذاب الله تبارك وتعالى، أبى أن يدخل في الإسلام، أبى أن يقول لا إله إلا الله ومع ذلك يُريد أن يستغفر له؛ ولكن ذلك في حدود شرع الله إن أَذِنَ الله تبارك وتعالى له.

ونحن يا معاشر أهل السنة يجب أن يكون في قلوبنا رحمة للمجتمعات في دعوتهم إلى دين الله تبارك وتعالى، ممن وقع في الذنوب والمخالفات، وما الدعوة إلى الأخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحذير من البدع وأهلها إلا من رحمة أهل السنة بغيرهم من المخالفين حتى لا يتحملوا الأوزار الكثيرة:

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
 [النحل: ٢٥]، فالنبي ﷺ يقول: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُكِّ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ
 وَجَلَّ هذه الآية: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا
 أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣]، وفي هذه الآية يتجلى ذلك الأصل الأصيل والمبدأ العظيم
 الذي هو مبدأ الولاء والبراء الذي ضيعه كثير من الناس، الولاء لأهل الحق،
 والبراء من أهل الباطل، فإياك أن تُضيع هذا الأصل العظيم فإن النبي ﷺ
 يقول: أوثق عرى الإيمان: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»،
 [رواه أحمد من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورواه الطبراني عن ابن عباس، وهو في صحيح الترغيب
 والترهيب: (٣٠٣٠)].

فقال الله جل وعلا في هذه الآية: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
 لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾
 [التوبة: ١١٣]، فمن عَلِمَ كفره ومات على ذلك ما يجوز الدعاء له ولا الترحم عليه
 ولا الاستغفار له ولو كان أبوك ولو كانت أمك ولو كان أخوك، فهذا نبينا
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ كما في "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة: زَارَ النَّبِيُّ ﷺ
 قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ
 لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي»، دين الله جل وعلا يفرق بين المؤمن
 والكافر وبين البر والفاجر، وهكذا عباد الله، وأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ في شأن أبي
 طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾
 [القصاص: ٥٦]،

ومما يُستفاد من هذا الحديث أيضًا: أن قوله في أوله: لما حضرت أبا طالب الوفاة أي: علامات الوفاة، فإن من بلغ الغرغرة لا تُقبل توبته كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرِغْ»، رواه الترمذي عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، وقال بعض أهل العلم: بل إن هذا خاص بالنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** وبعمه أبي طالب أنه يدعوه ولو كان في سكرات الموت، فلو أنه تاب لُقبِلت توبته، وأما غيره فقد جاء الحديث في بيان ذلك.

أيها المسلمون عباد الله هذا تعليق مختصر على هذا الحديث وهذه الآية، فنسأل الله جل وعلا أن يوفقنا وإياكم لما يُحب ويرضاه، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح..



[٨] أصول الدعوة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء : ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

كان حديثنا في الجمعة الماضية عن بعض صفات وأصول الدعوة السلفية، وفي هذا المقام نذكر بعضًا وتكملةً لذلك الموضوع.

الدعوة السلفية هي دعوة الله تبارك وتعالى؛ لأنها تقوم على الكتاب والسنة، وتنطلق من الكتاب والسنة؛ ولهذا فإن أصولها مأخوذة من الكتاب والسنة، وصفات أهلها يستفيدونها من الكتاب والسنة.

ومن تلك الأصول العظيمة والصفات الحميدة التي تتصف بها هذه الدعوة المباركة: أنها منصوره بإذن الله تبارك وتعالى مهما حاول الأعداء إخمادها، ومهما حالوا تشويها، ومهما حاولوا أن يضعوا العقبات والعراقيل في طريقها فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** هو الذي يُسيرها؛ ولهذا جاء في "الصحيحين" من حديث المغيرة بن شعبة، ومن حديث معاوية بن أبي سفيان **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، وهو حديث متواتر: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**: «لَا تَرَأَى طَائِفَةً مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ»، والمراد بقوله: «إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ»، أي: إلى قرب قيامها، فإن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، وتستفيد من هذا الحديث قوله: «ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَهُمْ»؛ لأنهم يعلمون أن الله **عَزَّ وَجَلَّ** ينصر العباد على قدر استقامتهم ودينهم، ولو قلت أعدادهم فإن الكثرة المتكاثرة إن لم تكن على صفاء ونقاء فإنها مدمومة بأدلة الكتاب والسنة: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ويقول

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وهو يصف تسلط الأعداء على هذه الأمة فقال: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا»، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قَلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمُهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ».

فمن صفات هذه الدعوة المباركة: أن الله عَزَّ وَجَلَّ مؤيدها وناصرها ومسير أهلها فهي دينه وهي شرعه سبحانه وتعالى: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ»؛ ولهذا ترى أهل السنة والجماعة حجتهم ظاهرة ودعوتهم قاهرة بإذن الله تبارك وتعالى، تخلص عنهم من تخلي، وأعرض عنهم من أعرض، وإن تكالب الأعداء، وإن تجمع المناوئون، وإن تواطأ المتآمرون.

« لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ » وهذا من الفوارق العظيمة بين دعوة أهل السنة والجماعة والدعوات الأخرى التي سقط أحدث من رموزها أو تراجع أحد من قادتها تفلتت وانهارت وتزعزعت، وأما الدعوة السلفية فهي سائرة إلى الأمام وإن حصل ما حصل، وإن تراجع عنها من تراجع: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ»، وهي تزداد يوماً بعد يوم صفًا ونقاءً، وقوة وازدهارًا وانتشارها، وكل ذلك فضل من الله تبارك وتعالى وتوفيق منه سبحانه.

أيها المسلمون عباد الله، ومن صفات هذه الدعوة وأصولها: وضوح هذا المنهج، وعلانية الدعوة، والصدع بالحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق الضوابط الشرعية من الكتاب والسنة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، يُعلنها نبينا ﷺ الدعوة إلى التوحيد، الدعوة إلى الحق، البعد عن الباطل والتحذير منه وإن خالف من خالف: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٩].

لما جاء أبو ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُبَايعُ النبي ﷺ كان من جملة تلك المبايعة أنه قال: ﴿قُلِ الْحَقُّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا﴾، فقد يحتاج العبد إلى أن يجد المشاق، وأن يجد المرارة في قول الحق والصبر عليه، وأن يجد الأذى، ولكن هذا الذي أمرنا الله عَزَّ وَجَلَّ به، وأمرنا به نبينا ﷺ وَصَّيَّه وَصَّيَّه وَسَلَّمَ، وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا

يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمُ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ فِي حَقِّ إِذَا رَأَاهُ، أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ»، صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

فأهل السنة والجماعة يقولون بالحق ويأمرون بالعدل ويحذرون من الباطل أيًا كان فاعله والداعي إليه والعامل به، وهم بذلك يتقربون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكن كما أمرهم الله سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فليس في ديننا مداهنة ولا مُجَامَلَةٌ، وإنما تلك طريقة المتبعين وطريقة المتكسبين وطريقة أهل الهوى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩]، فأهل الباطل بشتى أصنافهم وأنواعهم يريدون من صاحب الحق أن يُدَاهِنَهُمْ وأن يُجَامِلَهُمْ، وما أكثر المجاملين والمتجاملين وما أكثر المُدَاهِنِينَ، أما أهل السنة والجماعة فإن من أصولهم: أنهم يُعْظَمُونَ الحق وبه يُعْظَمُ الرجال وبه يُعرفون، وبه يُكرمون، وبه يُيجَلون، يُعْظَمُونَ الحق في نفوسهم، يعلمون به في جوارحهم، يدعون إليه غيرهم، يزنون الناس بميزان الحق، فيرفعون من رفعه الله، ويضعون من وضعه الله، دعوتهم ليس فيها خفاء ولا غموض وإنما يعلنونها مدوية من على منابرهم وفي محابرهم، وفي محاضراتهم ومجالسهم في الداخل والخارج؛ لأنهم يحملون الحق المبين والنور العظيم الذي فيه سعادة البشرية، والذي فيه سلامتهم والذي فيه نجاتهم؛ ولهذا لا يخشون في الله لومة لائم، وقدوتهم وسلفهم في ذلك نبي الهدى وإمام الرحمة

الذي بلغ أتم البلاغ ودعا إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ** ليل نهار، ما من خير إلا وأرشد الأمة إليه، وما من شر إلا وحذرهم منه، وهكذا صحابته الكرام الذي بذلوا الغالي والنفيس من أجل إعلاء كلمة الله تبارك وتعالى، قدموا دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** على أهاليهم وآبائهم وأمهاتهم وأهوائهم ورغباتهم وشهواتهم، قال الله جل وعلا واصفًا أهل الحق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، لا يسكتون عن مُبطل من أجل ماله ولا من أجل ما عنده وإنما يقولون الحق وإن كان مُرًا على ما جاء في كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** أو في سنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

ومن أصولهم العظيمة: أن هذه الدعوة المباركة قائمة على النقاء والصفاء، على التصفية والتربية، فلا يرضون فيها بالخلط بين الحق والباطل، ولا بين السنة والبدعة، ولا بين النور والظلمات وإنما كتاب وسنة على فهم سلف الأمة، فمن شرح صدره لهذا المنهج العظيم وأخذ به وعظمه وسار إليه ودعا إليه فله ما لهم وعليه ما عليهم، ومن أعرض عنه وتنكب وحاربه وعاند فهذا يُعامل كل بحسبه بعد النصيح والإرشاد والتوجيه والبيان بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن كان من المعرضين المفسدين أعرض عنه وحذر من باطله وبُيِّنَ ما هو عليه من الشر، لا يقبلون في دعوتهم الخلل ولا الغش ولا المغالطات؛ ولهذا ترى بين الحين والآخر

تحصل التصفية والغربة فيخرج أناس قد بلغوا من العلم مبلغاً، وقد حفظوا من الكتب كثيراً، وقد جلسوا في مجالس العلم سنيّاً، فتراهم يميلون يمنة ويسرة، فلا يرضى أهل السنة لمنهجهم بالضياع ولا لطريقتهم بالانحراف فالحق عندهم أعظم من الرجال والحق عندهم أذكى من سائر العباد، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كما في حديث معاذ بن جبل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وجاء عن جماعة كثيرين من الصحابة، وحسنه العلامة الألباني، قال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»، فدعوة أهل السنة والجماعة قائمة على التصفية والتربية والنقاء فلا يرضون في أوساطها الخلل، وإن وجد في بعض أفرادهم قصور فإنهم تحت النصيحة وأمام التواصي بالحق، فمن قَبِلَ ذلك وسار عليه حسن حاله، ومن أعرض عن النصائح والتوجيهات والإرشاد واتخذ سبلاً ملتوية وآراءً مخالفة أضر بنفسه وما نفعها.

أيها المسلمون عباد الله، ومن أصول أهل السنة والجماعة وصفاتهم وصفات دعوتهم: أنهم يُعَظِّمُونَ الحق أشد من تعظيمهم لأنفسهم ولأقرب الناس إليهم فيعملون به ويدعون إليه ويتعلمونه ويدلون غيرهم إليه، فإنهم لا يرضون لأنفسهم بالخير دون غيرهم، كما قال الله جل وعلا: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]، فيأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويبلغون دين الله،

ويعلمون المجتمعات، ويبدلون ما في وسعهم ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً، لا يبتغون من الناس جزاءً ولا شكوراً؛ إنما تقريباً إلى الله جل وعلا، فدعوتهم قائمة على النزاهة، قائمة على العفة، قائمة على الصيانة، قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**: «وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»، والله جل وعلا قال في كتابه الكريم: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، فهم يدعون الناس إلى دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** رحمة بهم لا طمعاً في أموالهم ودنياهم، لا يمتنون الناس بدنيا ولا يُريدون مثلها وإنما من أجل الله تبارك وتعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»، ويعلمون أن الدنيا وحطامها من أعظم أسباب ذهاب الدعوات وضياعها وانهارها: «مَا ذُبَّانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»، رواه الترمذي من حديث كعب بن مالك، وعنده أيضاً من حديث كعب بن عياض: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ»؛ ولهذا إذا رأيت من ينتسب إلى السلفية وقد سال لُعبه إلى الدنيا ولم يكن موصوفاً بالعفة، ولم يكن موصوفاً بالنزاهة فاعلم أنه عما قليل ينقلب، وعما قريب ينحرف عن هذا الطريق المستقيم وعن هذا الهدى القويم إلا أن يتداركه الله **عَزَّ وَجَلَّ** برحمته والواقع شاهد بذلك، ذهب أناس تفرقت جموع، ضاع كثير كل ذلك بسبب أن دعوتهم لم تكن مُصانة لم تكن قائمة على العفة والنزاهة، «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»، هكذا يقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

تنبيه: حصل انقطاع للمادة الصوتية عند هذا الكلام.



[٩] الدَّعْوَةُ السَّلَفِيَّةُ وَصِفَاتُهَا

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها المسلمون عباد الله، يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، في هذه الآية الكريمة بيان منزلة الدعوة إلى الله تبارك وتعالى وإلى دينه الحق، ففي هذه الآية يُبين الله **عَزَّ وَجَلَّ** أنه ليس هناك أحسن قولاً ممن يدعو إلى دين الله، وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وممن يُعلم الناس دين الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وهذه الوظيفة العظيمة هي التي أثنى الله **عَزَّ وَجَلَّ** بها على هذه الأمة، فقال في كتابه الكريم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، هذه من الصفات التي أكرم الله **عَزَّ وَجَلَّ** بها هذه الأمة: أنهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويدعون إلى الله تبارك وتعالى.

وإذا نظر الناظر في ساحة أهل الإسلام يميناً ويسرة يرى أن من قام بهذا الواجب العظيم خير قيام كما أمر الله جل وعلا، وكما أمر رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** يجد أنهم أهل السنة والجماعة، أرباب الدعوة السلفية الصافية النقية، الذين سلكوا سبيل المهاجرين والأنصار، الذين قال الله عنهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، الذين سلكوا هذا السبيل من غير إفراط ولا

تفريط بتوفيق الله تبارك وتعالى هم أهل السنة والجماعة: الذين هيئوا أنفسهم لهذا العمل الجليل: وهي الدعوة إلى الله جل وعلا.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السراء والضراء، والشدة والرخاء، في سائر أحوالهم، في سفرهم، في حضرهم، في كل أحوالهم هم الذين قاموا بهذا الواجب العظيم؛ ولهذا ما أحوجنا إلى أن نتعرف وإياكم على بعض صفات الدعوة السلفية التي أُشير إليها بما تقدم.

صفات الدعوة السلفية دعوة أهل السنة والجماعة التي أمر الله عباده بها وحثهم عليها ورغبهم فيها؛ فلهذا نذكر في هذا المقام بعض تلك الصفات العظيمة والخلال الحميدة التي ينبغي أن يتصف بها الداعي إلى الله سبحانه وتعالى.

جاء في "صحيح الإمام البخاري"، قال البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ**: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ**، قَالَ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»، الحديث متفق عليه، بل هو متواتر كما قال أهل العلم: بأنه من الأحاديث المتواترة، فقد رواه الشيخان عن المغيرة بن شعبة، ومعاوية بن أبي سفيان، ورواه الإمام مسلم عن جمع من الصحابة منهم: جابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، ومنهم سعد بن أبي وقاص، وآخرين وهو حديث متواتر.

هذه الفرقة الناجية والطائفة المنصورة قد وصفهم الله في كتابه ووصفهم النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** في سنته بأوصاف عظيمة، يقول الإمام البخاري بعد أن ذكر هذا الحديث، الطائفة المنصورة: قال: (وهم أهل العلم)، وقال الإمام أحمد بن حنبل **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى: (إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟).

وهكذا روى الحاكم عن البخاري عن علي بن المديني: بأنهم أهل الحديث، قال الإمام النووي في "شرح صحيح مسلم": (المقصود من هذا أن ذروة هذه الطائفة وقادة هذه الطائفة وأعلى هذه الطائفة هم أهل العلم، هم أهل القرآن والسنة وإلا فإن هذه الطائفة فيها العلماء، وفيها الخطباء، وفيها المجاهدون، وفيها المزارعون، وفيها من كان عامياً، وفيها من أصناف الناس يقلون في بلد ويكثر في آخر، يقلون في زمن ويكثر في آخر، وكل من انتظم هذا السلك وسلك هذا السبيل وانتهج هذا المنهج كان من أهل هذه الطائفة: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ»**، وقد جاء أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، فلهذا قال أهل العلم: الجمع بين هذا الحديث وغيره من الأحاديث: أن المراد قُرب قيامها، فهم إلى قُرب قيام الساعة؛ لأن الله يبعث ريحاً فتقبض أرواح أهل الإيمان فيبقى شرار الخلق يتهارجون تهارج الحُمر، فعليهم تقوم الساعة.

هذه الطائفة وهذه الفرقة التي ذُكرت في هذا الحديث هم أهل السنة والجماعة الذي يقول عنهم شيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ** تعالى في بداية "العقيدة الواسطية": (أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة، أهل السنة والجماعة)، فهذه أسماء لمسمى واحد، ويُقال لهم: السلفيون؛ لأنهم أتباع لأسلافهم من المهاجرين والأنصار، من الصحابة الأخيار، والتابعين الأبرار، ومن سلك سبيلهم، الذين قال عنهم الإمام الطحاوي **رَحْمَةُ اللَّهِ** تعالى: (وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل).

ويُقال لهم أيضًا: ينتسبون إلى السلفية، وهذا مما أوجبه أهل العلم بالإجماع والاتفاق، كما في "مجموع الفتاوى" لشيخ الإسلام **رَحْمَةُ اللَّهِ** أنه قال: (يجب إظهار مذهب السلف والاعتزاء إليه والانتماء إليه، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًا)، ونقل الاتفاق على ذلك، فإن الناس يختلفون وتتعارض آراؤهم وتختلف أهواؤهم فلا يحتكمون إلا إلى طريق السلف به يفهم الكتاب والسنة، وعن طريقه تُؤخذ أدلة الكتاب والسنة، وبه يُربط الناس، وبه يُلزمون؛ ولهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، والمؤمنون في هذه الآية أول ما تنصب على أصحاب محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**، الذين قال فيهم النبي **ﷺ**: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، متفق عليه

عن عبد الله بن مسعود، وعن عمران بن حصين **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، وجاء في مسلم عن أبي هريرة وعائشة بمعناه.

فذلك جيل هو خير جيل؛ ولهذا قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: **«بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنَا فَقَرْنَا، حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ الْقُرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ»**، رواه مسلم من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ**.

أيها الناس عباد الله: في هذا الحديث العظيم بيان لبعض سمات أهل السنة وبعض صفاتهم:

ومن هذه الصفات: أن دعوتهم سائرة وبإذن الله ظاهرة ومنصورة، لا يمكن أن تتقهقر، ولا يمكن أن تنقطع، ولا يمكن أن تضمحل، ولا يمكن أن تنتهي إلى قيام الساعة: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ»**، وهذا مما يدل على ذلك: **«لَا تَزَالُ»**، هذا من الأفعال التي تدل على الاستمرار وعدم الانقطاع، **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ»**، وإن خالف من خالف، وإن عادى من عادى، وإن حارب من حارب، فهم لا يزالون مستمرين، وماضين، وثابتين بإذن الله تبارك وتعالى وإن حصل لهم من الابتلاء، وإن حصل لهم من الإيذاء:

الْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُتَحَنٌّ فَلَا تَعْجَبْ فَهَٰذَا سُنَّةُ الرَّحْمَنِ

هكذا يقول ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى، فالحق منصور بإذن الله **عَزَّ وَجَلَّ**، والباطل مقهور: **«وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا»** [الإسراء: ٨١]، **«بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ**

مِمَّا تَصِفُونَ ﴿الأنبياء: ١٨﴾، فهذا من سمات هذه الدعوة المباركة: أنها مستمرة، وأنها قوية، وأنها مداومة، وأنها صامدة بإذن الله تبارك وتعالى، وما نشاهده من المنعطفات الخطيرة، والعقبات الكثيرة التي تعترض دعوة أهل السنة والجماعة ولا تزداد إلا قوة، ولا تزداد إلا انتشارًا، ولا تزداد إلا محبةً في قلوب العباد الذين صلحت فطرتهم: ﴿لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ﴾، كلما أراد أهل الباطل أن يحمدها، وأن يُطفئوها باءوا بالفشل كما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّمَ أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣]، وإن قل حملتها، وإن قل أنصارها؛ لكنهم يحملون الحق المبين، والحجة الدامغة، والبرهان الساطع؛ ولهذا تنتشر دعوتهم وتقوى بإذن الله تبارك وتعالى وتستمر.

﴿لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ﴾، وهذه من سماتها وصفاتها، مهما تكالب الأعداء من الخارج، ومهما تخاذل الأبناء من الداخل فإن هذه دعوة الله تبارك وتعالى لا يضرها هذا ولا ذاك، بل تسير بحمد الله تبارك وتعالى وتزداد بصيرةً ونورًا وهدايةً بإذن الله جل وعلا، بخلاف غيرها من الدعوات إذا كثُر المناوئون ربما تبوء بالفشل، فإن سقط بعض رموزها من أوساطها انهارت وخارت، أما دعوة أهل السنة مهما بلغ الرجل فيها من المرتبة والمنزلة إن انحرف عن الصراط المستقيم وخالف الهدى القويم فإنما

يضر نفسه ولا يضرها؛ لأن الله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، فهو دين الله من نصره نصر نفسه، ومن خذله خذل نفسه، إنه دين الله جل وعلا هو حافظه، وهو مسيره، وهو الذي يؤيد أنصاره سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وهكذا يقول الله جل وعلا عن نبيه ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج: ١٥].

إذاً: مهما تكالب الأعداء، ومهما تأمر الأعداء، ومهما تخاذل بعض الأبناء فإنها دعوة الله سبحانه وتعالى لا تزال مستمرة ولا تزال ظاهرة وهذه خصيصة ليست إلا لدعوة أهل السنة والجمعة، فكم تعثر أناس في طريقهم؟ وكم رجع آخرون على أعقابهم؟ وكم غير أناس وبدلوا ودعوة أهل السنة والجماعة تزداد قوة وظهوراً ووضوحاً وانتشاراً وهذا بحمد الله تبارك وتعالى.

قال الصوري **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى:

قُلْ لِمَنْ عَائِدَ الْحَدِيثِ وَأَصْحَى	عَائِباً أَهْلَهُ وَمَنْ يَدَّعِيهِ
أَبْعَلِمِ تَقُولُ هَذَا ابْنِي	أَمْ بِجَهْلٍ، فَالْجَهْلُ خُلِقَ السَّفِيهِ
أَيَّابُ الَّذِينَ هُمْ حَفِظُوا الدِّينَ	مِنَ التَّرَهَاتِ وَالتَّمْوِيهِ

وَإِلَى قَوْلِهِمْ وَمَا قَدْ رَوَوْهُ رَاجِعٌ كُلُّ عَالَمٍ وَفَقِيهِ
 أهل السنة والجماعة إنما نصرهم الله **عَزَّ وَجَلَّ**؛ لأنهم يحملون دين الله،
 يحملون قال الله وقال رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، لا يحملون للمجتمع إلا الخير
 والنفع والسداد وما يعود عليهم بالرشاد في الدنيا ويوم المعاد؛ ولهذا كانت
 دعوتهم كالبلسم يُضَعُّ على الجروح ويُنْقَذُ أَمَّا من الضلالات والهوى ومما هم فيه
 من الفتن، ومما هم فيه من الشرور؛ ولهذا كما سمعتم نصر الله **عَزَّ وَجَلَّ** هذه
 الدعوة.

﴿لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ
 حَذَلَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ﴾، هذه من أوصافها في هذا الحديث العظيم.

ومن أوصاف دعوة أهل السنة والجماعة: العلانية والصراحة في الدعوة إلى
 الله جل وعلا، فليس عند أهل السنة خفايا، وليس عند أهل السنة اجتماعات في
 سرايب الظلمات، وليس عند أهل السنة تقية كما هو عند الشيعة أو بعض
 الإخوان المسلمين، أهل السنة دعوتهم ظاهرها وباطنها سواء؛ لأنهم يدعون إلى
 الحق المبين، فما الذي يخفوه؟ وما الذي يخافوه؟ ألم يقل الله **عَزَّ وَجَلَّ** لنبيه
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ أَي: قل يا محمد: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ
 عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]،
 أمره الله **عَزَّ وَجَلَّ** أن يعلن بها مدويةً على رؤوس أهل الشرك: هذه سبيلي، هذه
 دعوتي، هذا طريقي، هذا منهجي ليس فيه خفاء، ليس فيه تغيير، ليس فيه تبديل،

ليس فيه نفاق ولا مُحادعة: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ما يعتقدُه أهل السنة والجماعة في قلوبهم يقولونه من على منابرهم، وفي دروسهم ومحاضراتهم ويعلمونه القريب والبعيد كما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ وفق الضوابط الشرعية، دعوة ظاهرة ليس فيها خفاء ولا غموض، فمن دخلها لا يخاف على نفسه، ولا على معتقده، ولا على دمه، ولا على منهجه، ولا على ماله؛ لأنها دعوة فيها قال الله وقال رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، بخلاف كثير من الدعوات التي إن انضمت إلى سلكها تسير وأنت خائف وجل تتوقع العقبات وتنتظر النكبات، وتخاف من هذا وذاك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

من صفات هذه الدعوة العظيمة: أن أصلها الأصيل وعمودها لعظيم الذي تقوم عليه: هو الدعوة إلى توحيد الله تبارك وتعالى، وهذا أصل دعوة الرسل وعليه قامت، وبه أنزلت كتب الله تبارك وتعالى، الدعوة إلى توحيد الله تعليم الناس هذه العقيدة الصحيحة، وتحذيرهم من الشرك الأكبر والأصغر والبدع والخرافات، قال الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقامت دعوة النبي ﷺ على ذلك، من أولها إلى آخرها منذ بعثه الله تبارك وتعالى إلى أن توفاه الله وهو يدعو إلى التوحيد الخالص، ويحذر من الشرك الظاهر والباطن، اللفظي والمعنوي، الأكبر والأصغر، دعوته قامت على ذلك، بدأ يفتح الناس، ويهاجمهم في مجامعهم وفي أسواقهم يقول لهم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»، ما قال لهم يا أيها الناس تعالوا نسجلكم معنا، وإنما قال: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»، واستمر على هذه الدعوة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يعلم أصحابه عليها ويُرَبِّيهم عليها رجالاً ونساءً وأطفالاً، يأتيه الطفل الصغير فيقول له: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

يأتيه أحدهم فيقول: ما شاء الله وشاء محمد، فيقول له: «قُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»، ويأتي الآخر فيقول: يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فيقول: «عَلَيْكُمْ بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»، ويقول: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»، تأتيه بعض النساء فتذكر ما رأت في أرض الحبشة من تلك الكنائس التي فيها الصور والتماثيل، فيقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وهو في شدة المرض فيقول: «أَوَلَيْكَ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ الرَّجُلُ

الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أَوْلَيْكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ»، دعوة إلى التوحيد وأي دعوة لا تقوم على هذا الأساس العظيم فهي دعوة فاشلة، فهي دعوة مضمحلة، فهي دعوة لا قيمة لها؛ ولهذا لما أرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ مُعَاذًا إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»، وفي رواية: «إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»، فهذا هو الأصل الأصيل الذي يجب أن تقوم عليه الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، تعليم الناس العقيدة الصافية الصحيحة التي إن تمسكوا بها لا يذهبون يمينه ويسرة بعد البدع والخرافات، والعقائد الفاسدة، والأفكار الهدامة التي تستورد من خارج البلاد، إذا تمسكوا بالتوحيد الصحيح وعرفوا العقيدة الصافية ثبتوا على دينهم وسلموا في منهمجهم، وسلمت أحوالهم بإذن الله تبارك وتعالى.

التحذير من الشرك صغيره وكبيره، الذي يقول عنه الله جل وعلا: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، الذي يقول عنه النبي ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ؟، قَالَ: «الرِّيَاءُ»، هكذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يُعلم أصحابه وهو تعليم للأمة.

ومن الصفات العظيمة أيضًا: أنها دعوة قائمة على العلم والعمل، قائمة على العلم النافع والعمل الصالح، وإذا بُعِدَت وباعدت العلم حصل الضر والخلل والضعف، هذه الدعوة العظيمة تحرص على ميراث الأنبياء، الذي قال فيه النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»**، يتعلمون في أنفسهم ويُعلمون من ولوا وينشرون العلم في أوساط المجتمعات من أجل الله تبارك وتعالى، لا يريدون من الناس جزاء ولا شكورًا تأسيسًا بنبيهم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، المُعلم الأول القدوة الذي قال الله عنه: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾** [الأحزاب: ٢١].

إذا فهذه الدعوة المباركة ما جعل الله فيها هذه البركة العظيمة وهذا الانتشار الواسع؛ إلا لأنهم يُعظمون القرآن والسنة فيتعلمونها ويُعلمونها ويعملون بها فيهما وهذا من أعظم الأسس التي تقوم عليها دعوة أهل السنة والجماعة، الدعوة السلفية؛ ولهذا فإن الواجب علينا معشر السامعين: أن نحرص على العلم النافع ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، وأن نُعرض عن كل ما يُبعدنا عن العلم مهما كان مقامه وحاله، ومهما كانت ثمرته، فإن من أعرض عن العلم حصل له من العطب بقدر ما عنده من الجهالات، من كان مُبتعدًا عن الفقه في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** كان سهل المأخذ لكل مُبطل ولكل صاحب شر؛ ولهذا قال الله جل وعلا في كتابه الكريم: **﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾** [الزمر: ٩]، ويقول الله جل وعلا: **﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ**

رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿الرعد: ١٩﴾، ويقول سبحانه: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

العلم النافع، والحرص عليه، والمنافسة فيه، دع الناس يتنافسون على المناصب والكراسي وأنت تنافس على حفظ القرآن الكريم، وأنت تنافس على حفظ البخاري ومسلم، دع الناس يتنافسون على الدنيا وحطامها وأنت نافس على هذا الخير العظيم الذي فيه سعادتك في الدنيا ونجاتك في الآخرة، قال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ، وَعَلَّمَهُ»، «أَفْضَلُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، رواه البخاري من حديث عثمان، «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، متفق عليه من حديث معاوية، وجاء عند الترمذي من حديث عبد الله بن عباس، كل هذا لأن الله عَزَّ وَجَلَّ ما أنزل هذا القرآن ليوضع في الأدراج ويُحفظ في الرفوف، وإنما ليُحْمَلَ في القلوب ويُعْمَلَ به وتطبق أحكامه، ويتفقه فيه في دين الله تبارك وتعالى، فدعوة أهل السنة من أعظم صفاتها ومميزاتها: أنهم لا يقدمون على العلم شيئاً، ومن ترك العلم من أفرادهم فإنما أضّر بنفسه لا يمثل هذه الدعوة المباركة، من باع هذا العلم بشيء من الدنيا أو بشيء من البدع، أو بشيء من الحزبيات فإنما ضر نفسه ببعده عن هذا الخير العظيم الذي فيه سعادته، وفيه رفعته، وفيه مكانته، ألم يقل الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل

عمران: ١٨]، يا لها من منزلة رفيعة ودرجة عالية انظر أين وضع الله جل وعلا العلماء؟ أين جعل شهادتهم؟ بماذا قرنوها؟ إنه قرنوها بشهادة الملائكة، بل بشهادته سبحانه وعلى أعظم وأجل مشهود: وهو توحيد الله تبارك وتعالى؛ ولهذا كانت منزلة أهل العلم عالية في القديم والحديث، قلب صفحات الكتب، اقرأ في السير والتاريخ كيف تجد ذكر أهل العلم وأهل الحديث؟ وانظر بالمقابل أين ذكر الملوك وأرباب الدنيا؟ وأهل التجارات والمناصب والأموال؟ لا يُذكرون، وإن ذُكر أحدهم ربما تُذكر مساوئه، لكن أين أهل العلم؟ وأين ذكرهم؟ وأين مكانتهم؟ كلما نقرأ في كتاب من كتب العلم إلا وقلنا: عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، ودعونا له بهذا الدعاء العظيم، من هو أبو هريرة الذي لا تفتري الألسن بالترضي عنه والدعاء له؟ إنه رجل فقير كان يطلب العلم عند رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، يموت من الجوع ويبقى يأخذ الأحاديث والأحكام الشرعية والفوائد الجليلة في سنوات معدودة نحو خمس سنوات وإذا به يحوز هذا الشرف، ويصل إلى هذه المرتبة، ويصير حافظ الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ**.

يقول الذهبي: الحفاظ درجات، وذروتهم أبو هريرة، يا لها من منزلة يرتقيها أبو هريرة **رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ**، ليس بجسم، ولا بهال، ولا بجاه، ولا بجمال؛ وإنما بالحرص على العلم النافع، لا ترى كتابًا من كتب الإسلام إلا ويوجد فيه أبو هريرة **رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ** وهو ينقل لنا أحاديث المصطفى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

ما من بدعة من البدع نحتاج أن نرد عليها وأن نحذر منها إلا واحتجنا لأبي هريرة، ما من فكرة من الأفكار المنحرفة نريد أن نتحدث عنها إلا واحتجنا لأحاديث أبي هريرة، ما من عبادة من العبادات وركن من أركان الإسلام أردنا أن نتفقه فيه إلا واحتجنا لأحاديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

فالله الله عباد الله في طلب العلم والحرص عليه، فإن أهل السنة قديماً وحديثاً لا يفارقون العلم ولا مجالسه، لا يفارقون مجالس التحديث، لا يفارقون بيوت الله تبارك وتعالى تفقهاً وتفقيهاً، وحفظاً، وعملاً، وتطبيقاً، رجالاً ونساءً، هذا من الأصول العظيمة ومن الصفات الحميدة، فإياك يا عبد الله أن يتطلع بصرك إلى الدنيا وتتخلى عن العلم، وتتخلى عن السنة، إياك يا عبد الله أن يتطلع بصرك إلى بعض الأهواء والبدع وتتخلى عن الخير الذي أكرمك الله به مهما ضعف حفظك، ومهما حصل لك من الملل، ومهما تأخرت في طلب العلم اصبر وصابر وثابر ورابط: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

يقول ابن الوردي رحمه الله:

يَا بُنَيَّ اسْمَعْ وصايا جَمَعْتُ	حَكَمًا خُصَّصْتُ بها خَيْرُ الْمَلَلِ
اطْلُبْ العلمَ ولا تَكْسَلْ، فَمَا	أَبْعَدَ الْخَيْرِ على أَهْلِ الْكَسَلِ
واحتفل للفقهِ في الدين ولا	تَشْتَغِلْ عنه بِإِمالٍ وَخَوَلِ
واهْجُرْ النومَ وَحَصِّلْهُ، فَمَنْ	يَعْرِفِ الْمَطْلُوبَ يَحْقِرْ ما بَدَلِ

لا تَقُلْ قد ذهبَتْ أَرْبَابُهُ كُلُّ مَنْ سارَ على الدَّرْبِ وَصَلَ

في ازديادِ العِلْمِ إِرْغَامُ العِدَى وجمالُ العِلْمِ إِصْلاحُ العَمَلِ

أعداؤنا يغتاظون من العلم مهما حملنا من الأسلحة، ومهما كانت أعدادنا، لو كنا جاهلين بدين الله **عَزَّ وَجَلَّ** ما بالوا بنا ولا رفعوا لذلك رأسًا، لكن إن تعلمنا دين الله وتفقهنا فيه وعرفنا العقيدة الصحيحة رجالًا ونساءً وأطفالًا هذا الذي يُغيظهم وهذا الذي يُزعجهم؛ ولهذا عملوا تلك المؤامرة الشديدة والمكر الكُبار حتى يخرج أهل السنة من دار الحديث بدماج، واعلم يا أيها السني أنما يُدار في هذه البلاد من الفتن العظيمة إنه من أجل أن تُبعد أنت عن الخير، من أجل أن تُصرف عن العلم، من أجل تُحرم من الأحكام الدينية والفقهية، والعبادات، والطاعات، فنقابل أعداء الإسلام بالإقبال على العلم أينما كنا في سفرنا، في حضرنا، في صحتنا، في مرضنا، في قعودنا، في جهادنا، في سائر أحوالنا نتفقه في دين الله تبارك وتعالى، نتفقه في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** فإنه ما جهلت أمة دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** إلا وتسلط عليها الأعداء، أين ذهبت مملكة الأندلس التي كان يُشار إليها؟ التي خرج منها العلماء الأفذاذ الأعداد الكثيرة، أين ذهبت تلك المملكة؟ ذهبت أدراج الرياح بعد أن عُطِلَّت أماكن العلم وقُتِلَ العلماء وهُجِرُوا حتى صار الناس على جهل لا يفهمون شيئًا فتنصر منهم من تنصر، وتخلّى منهم من تخلّى حتى صارت في أيامنا ليس لها بقاء إلا آثارًا تاريخية كما يقولون، أين تلك المملكة العظيمة؟

وهكذا يسعى أعداء الإسلام لإبعادنا عن العلم، فلنقابل ذلك بالجد والاجتهاد والمثابرة والحفاظ على الأوقات، ولا يصرفنا عن ذلك صارف، ولا يشغلنا عن ذلك شاغل.

أيها المسلمون عباد الله، ومن الصفات العظيمة التي تقوم عليها الدعوة السلفية، وهي كثرة وإنما هذه قطرة من مطرة: أن أهل السنة والجماعة ليس عندهم مجاملة ولا محاباة، يقولون للمبطل مُبطل وإن ارتفعت عمامته، ويقولون للمنافق منافق، وللدجال دجال، وللصالح صالح؛ بالضوابط الشرعية في الكتاب والسنة أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، ويرون أنه لا يجوز السكوت عن الخونة المفسدين الذين يتسترون بشعار الإسلام فيحرفون الأحكام، ويخلون في الآداب، ويُبعدون الناس عن منهج الكتاب والسنة، جاء في "صحيح الإمام مسلم": من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج النبي ﷺ يوماً إلى السوق، فَمَرَّ عَلَى صُبْرَةٍ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟»، قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَزَلَ الْمَطَرُ فَابْتَلَتْ تِلْكَ الْحُبُوبَ فَجَعَلَ الْمَبْلُولُ الْمَتَعَفْنَ مِنْ تَحْتِ، وَجَعَلَ الْجِيدَ مِنْ فَوْقَ، «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتُهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَي يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ عَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»، إِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ عَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»، فِي كَوْمٍ مِنَ الْحُبُوبِ فَكَيْفَ بِمَنْ يَغْشَى الْأُمَّةَ فِي عَقِيدَتِهَا، وَفِي مِنْهَجِهَا، وَفِي عِبَادَتِهَا؟ هَذَا أَوْلَى بِالْتَّحْذِيرِ، وَأَوْلَى بِالْتَّنْفِيرِ: ﴿ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ

الْمُجْرِمِينَ ﴿الأنعام: ٥٥﴾، بل هذا من أوجب الواجبات على أهل العلم: أن يبينوا باطل المبطل، وبدعة المبتدع، وانحراف المنحرف حتى تسلم الأمة ويسلم المجتمع، وينتبه الناس، وحتى تخف الأوزار على ذلك المخالف؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]، ويقول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»، فالتحذير من باطله ليسلم من الشر وتخف عليه الأوزار، ويسلم المجتمع فإنه يرتقي المنابر ويظهر باسم الإسلام أقوام كثيرون لو تتبعهم الناس لضلوا عن سواء السبيل وانحرفوا عن الصراط المستقيم؛ ولكن أهل السنة والجماعة قد حملوا على عواتقهم أن يبينوا الحق للناس، أن يبينوا النور للناس، أن يحذروا الناس مما يضرهم في عقيدتهم، في منهجهم، في سيرهم، في عبادتهم فإن كثيرًا من الناس يجهلون، وإن كثيرًا من الناس يُحسنون الظن بكل من تكلم باسم الإسلام ونطق بأي القرآن وبأحاديث النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**.

دعوة أهل السنة والجماعة من صفاتها ومميزاتها: أنهم كما قال الله جل وعلا: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، لا يمتنون الناس بالدنيا والمناصب والكراسي، وبالمقابل لا يطلبون الناس ذلك، دعوتهم قائمة على العفة، قائمة على الزهد، قائمة على الصبر: «وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعَفِّهِ اللَّهُ،

وَمَنْ يَسْتَعْنِ يُعْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»، أسوتهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ وَسَلَّمَ، لما وصل المدينة وأراد أن يؤسس وأن يبنى للإسلام دولة عظيمة أول ما بدأ ببناء المسجد الذي فيه تربي الرجال ومنه تتخرج الأجيال، بدأ ببناء المسجد فاختر المكان الذي بركت فيه الناقة، وكان ذلك المكان لبعض بني النجار، فقال لهم: «يَا بَنِي النَّجَّارِ، ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا»، سبحان الله رجل جاء من مكة ليس معه أحد غريب في هذه البلاد يريد أن يبنى لأهل الإسلام مسجداً ومع ذلك يقول لهم: «ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا»، ليعلم أصحابه هذا المبدأ العظيم مبدأ العفة، مبدأ الصبر، مبدأ العزة حتى يعلم الناس أجمعون: أن دعوته ليست دعوة متكلة على أموال الناس، ولا على دنياهم: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول له في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]، حتى مجرد مد العين والتطلع نهاه الله سبحانه وتعالى.

وهكذا دعوة أهل السنة من تمسك بطريق المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَ صَحْبِهِ وَسَلَّمَ يقولون: يا أيها الناس وحدوا الله، اقبلوا على طاعة الله، حافظوا على واجبات الله، ابتعدوا عما حرم الله، لا يمتنون الناس بدنيا، ولا بمناصب، ولا بكراسي، ولا يطلبون منهم ذلك، ولو أرادوا المناصب والكراسي لعرفوا أبوابها فهم الذين يتقدمون في مقدمة الجبهات ثم يتركون المناصب لأهل المناصب،

ويقبلون على طاعة الله، ويقبلون على ما هو أنفع لهم وأرفع لهم وأزكى لهم: وهو العلم النافع، والدعوة المباركة، والخير الذي هم فيه، ومن شذ عن هذا السبيل فقد شذ عن الحق المبين، من أعرض عن هذا وإن انتسب إلى الدعوة السلفية فقد أخطأ عليها وظلمها فدعوة أهل السنة تقوم على ذلك، فمن سلك سبيلها صار في أمن وأمان؛ لأنه يأمن على عقيدته، يأمن على دمه، يأمن على أهله، يأمن على أبنائه، يأمن على حياته؛ لأنه يُجالس أقوامًا يعلمونه دين الله، يُفقهونه دين الله، يُبصرونه بالصراط المستقيم الذي يوصله إلى دار النعيم، ويُبعده عن عذاب الجحيم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

صفات الدعوة السلفية ومنهج أهل السنة والجماعة كثيرة جدًا، وإنما هذه نبذ منها.

نسأل الله جل وعلا أن يوفقنا وإياكم لما يُحب ويرضى، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، وسامحونا إن أطلنا عليكم، وبارك الله فيكم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



[١٠] من مقومات الدعوة السلفية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً مزيداً إلى يوم الدين.

ثم أما بعد:

أيها الإخوة الكرام: كان حديثي في الأمس عما يُحَاكُّ بأهل الإسلام بالنسبة لبلاد الشام وبيت المقدس والمسجد الأقصى، وقد فكرت وأنا في طريقي إلى المسجد فيما يكون الموضوع الليلة، فأحببت أن يكون أيضاً فيما يتعلق بحديث الساعة وأوضاع الأمة في بعض المسائل المهمة مما نعيشه ونشاهده ونحتاج إليه.

جاء في "الصحيحين" عن معاوية بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، والحديث متواتر وقد جاء عن جماعة في "صحيح الإمام مسلم": أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ»، وفي بعض الروايات: «حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ».

الطائفة المنصورة: هي الفرقة الناجية، هم أهل السنة والجماعة، فهذه أسماء لمسمى واحد وهو من سلك سبيل السلف، واقتفى أثرهم وانتسب إليهم كما قال شيخ الإسلام، ولا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتمى إليه واعتزى إليه، بل إنه يجب قبول ذلك منه فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً.

أهل السنة والجماعة: هم خلاصة المجتمعات الإسلامية ونواتها وأصلها، أهل السنة والجماعة وفي مقدمتهم أهل العلم كما جاء ذلك تفسيرًا للحديث المتقدم عن الإمام البخاري والإمام أحمد وكثير من السلف: بأن الطائفة المنصورة: هم أهل الحديث، وبأنهم أهل العلم، والمعنى أنهم هم أصلها ورأسها وقادتها وسادتها وإلا فإن هذه الطائفة تتنوع في أصناف الناس، فمنهم العالم الفقيه، ومنهم المجاهد، ومنهم العامل، ومنهم المزارع، ومنهم العامي، وكل من تمثل بسير السلف وتمسك بعقيدتهم فإنه ينظم تحت لوائهم.

أيها المؤمنون، نريد أن نبين نقطة مهمة ألا وهي: إنها تسمعون من مؤامرات متعددة ومكر كُبار من أعداء الله تبارك وتعالى من اليهود، والنصارى، والفرس، والوثنيين، والمتنافقين من الداخل والخارج لا بد أن نعلم أن المعني به في أول الأمر هم أهل السنة، هي الطائفة المنصورة الفرقة الناجية.

وأيضًا نقطة ثانية: ينبغي أن المجتمعات المسلمة تعلق آمالها في رفع راية لا إله إلا الله وفي نصرة دين الله تبارك وتعالى على هذه الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة، فهم قد تحملوا عبئًا عظيمًا وحملًا ثقيلاً وأمانةً مضاعفة، فإذا كان الأمر كذلك فالواجب علينا أن نلبس لأمة الحرب وننزل الميدان ونواجه الأعداء بالقلم واللسان والسيف والسنان بكل ما أوتينا من قوة دون فتور ولا تقهقر ولا تراجع، دون تكاسل ولا تواني:

وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتملّل

هكذا ينبغي أن يكون صاحب الحق ذو همة عالية، وجلد عظيم، وصبر متين، ونفس طويل، وتحمل لأعباء ما يُلقى على كاهله وما هو فيه من المسؤولية العظيمة.

وإذا كان الأمر كذلك فإننا بحاجة إلى أن نتصف بصفات كثيرة ومقومات عديدة تؤهلنا للبقاء والنصر والتقدم وقهر الأعداء، وهي كثيرة مأخوذة من كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** ومن سنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، وأنا ذاكر لك في هذا المقام بعضاً من تلك المقومات وشيئاً من تلك الصفات، ولو شيئاً يسيراً.

إنه يجب علينا أن نتسلح بالعلم النافع، فإن أمةً قد نازها الأعداء وأجمعوا على ضربها وقهرها وهزيمتها لا ترفع للعلم رأساً فإنها أمة مهزومة، وأمة ذليلة، وأمة مقهورة فإن العلم النافع هو من أعظم أسباب النصر والتمكين، ومن أعظم الفوز والفلاح، ومن أعظم أسباب التغلب على الأعداء فإن العلم النافع به يواجه أهل الشرك، به يواجه أهل البدع، به يواجه أرباب الفجور والعصيان، به تنمو الأمة، به يتربى الرجال، به يصلح الفرد، به تصلح الأسرة، به تسعد المجتمعات؛ ولهذا كانت دعوة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** من أول أمرها قائمة على العلم، فلهذا نجحت واستمرت وانتشرت وكُسِرَ أعداؤها وشانئوها: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، اهتدى، العلم النافع أو كما يقول بعضهم: كمال العلم النافع، بهذا أرسل محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فيامن تنتسب إليه وتكون من أتباعه وأمته فهذه

صفاته ودعوته وهذه طريقته، أو ما قرأت في الأصول الثلاثة: أن النبي ﷺ أول ما أنزل عليه: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١-٥]، الأمر بالعلم، الأمر بالقراءة، الأمر بالتعلم هذا أول أمرٍ أمر الله به نبيه في هذه السورة التي كان أول ما أنزل هذه الآيات منها:

العلم النافع الذي من رفع به رأسًا وجعل حياته كلها في تحصيله والتزود منه، والسعي إليه، والجهاد من أجله، والبذل له صار إيمانه قويًا وعقيدته صلبة ومنهجه واضحًا وحجته دامغة، إذا تكلم أفلح، وإذا نطق أسكت خصومه ومعاديه.

العلم النافع الذي به اجتمع المهاجرون والأنصار عليه، وانتشروا في الأرض مجاهدين في سبيل الله ومعلمين وفتاحين ومدرسين حتى انتشر الإسلام في زمن يسير في بقعة كبيرة وعريضة من الأرض.

العلم النافع الذي قال الله عزَّ وجلَّ لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، أي: يا محمد قل لأتباعك، قل لأمتك، قل للناس أجمعين: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فيا من تنتسب إلى محمد ﷺ فهذه سبيله سبيل العلم، سبيل النور، سبيل الهدى، سبيل القرآن، سبيل السنة: ﴿ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فمن اتبع النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا أو ادعاءً وهو بعيد من العلم فقد أخطأ وأضل

السييل وأخطأ الطريق وساء الفهم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، فكل من اتبع رجالاً ونساءً، وكباراً وصغاراً على بصيرة، ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وهذه من أعظم الثمار: أن الشرك لا يدبُّ إلى دعوة قائمة على العلم، وأن البدع لا تصل إلى دعوة قائمة على العلم النافع، وهكذا الآراء والأهواء، وإنما يؤتى الناس من قبل الجهل، وما أكثر مصائب الجهل، وما أشد عواقبه العاجلة والآجلة، فهذا من أعظم ما نحتاج إليه ونحن نعلم: أن الأمة بحاجة إلى العلم، ونحن نعلم أن أعداءنا يسعون سعيًا حثيثاً في إبعادنا عن هذا الأمر العظيم فيشتد عزمنا وتقوى عزائمنا وتعلو هممنا في طلب العلم، في حفظ كتاب الله، في حفظ سنة رسول الله ﷺ، في نشر العلم والبذل من أجله، ابذل من أجل أن تتعلم لا ترضى لنفسك بالجهل، والله لو ملكت الدنيا بأجمعها وأنت تجهل عبادة الله وتوحيد الله عَزَّ وَجَلَّ فأنت خاسر، فاطلب العلم واجتهد فيه واعلم أنه من أعظم الأسلحة الفتاكة التي بها ينصر الله أهل السنة والجماعة، وقد رأينا هذا عياناً وواضحاً وجلياً في منازل الناس لأعداء الله عَزَّ وَجَلَّ، كم ترى الفارق الكبير والبون الشاسع في ملاقات أهل السنة لأعدائهم وملاقات غيرهم؟

قال ابن الوردي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يَعُضُّ ولده وأولاد المسلمين:

أَيُّ بُنْيٍّ اسْمَعْ وصايا جَمَعَتْ حَكَمًا خُصَّتْ بها خَيْرُ الْمَلَلِ
اطْلُبْ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ، فَمَا أَبْعَدَ الْحَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ

واحتفل للفقهِ في الدين ولا تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِهَالٍ وَخَوَلْ
 واهْجُرْ النَوْمَ وَحَصِّلْهُ، فَمَنْ يَعْرِفِ الْمَطْلُوبَ يَحْقِرْ مَا بَدَلْ
 لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلْ
 فِي ازْدِيَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَى وَجَمَالُ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ

لو سألنا أنفسنا سؤالاً لماذا تأمر اليهود والنصارى والرافضة على إخراج طلاب العلم من دار الحديث بدماج؟ ما هو الضرر الذي يصل إليهم من قوم يحفظون القرآن ويتعلمون السنة في ذلك الوادي وفي ذلك المسجد؟

لتعلم أنهم علموا أن الإسلام يقوى بالعلم، وأن المسلمين إن أقبلوا على التفقه في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** فإنهم يحصلون على مقومات النصر وأسباب الثبات، والتأييد من رب الأرض والسموات؛ فلهذا سعوا سعيًا حثيثًا عن طريق الرافضة ومن إليهم في إخراج أهل السنة، ولقد قال قائلهم بعد أن خرج أهل السنة من دار الحديث: فرقتهم فلا تدعوهم يجتمعون مرةً أخرى، ولنا أن نُسلي أنفسنا بقول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

انتشر العلماء وطلاب العلم، والدعاة إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ** وفُتحت دور الحديث والمدارس السلفية هنا وهناك ووقع أولئك فيما كانوا يحذرون، والله **عَزَّ وَجَلَّ** لهم بالمرصاد فإنه الذي يُدافع عن أوليائه ويحمي عباده؛ ولهذا معاشر أهل السنة لا

ينبغي لنا أن نكون في هذه الحياة من الذين حالهم سبهاً ونحن نُعَاشِ هذه المعمعة ونرى هذه الفتنة المدهمة ونحن مُعرضون عن العلم.

يا أيها المسلم، هل ترضى لنفسك أن تموت وأنت لم تكن من حفظة كلام الله **عَزَّ وَجَلَّ**؟ هل ترضى لنفسك عبد الله أن تُفارق الحياة ولم تكن قد تعلمت عقيدتك التي وجدت من أجلها، وقد عرفت توحيد الله **عَزَّ وَجَلَّ** حتى تحذر من الشرك، كيف نرضى لأنفسنا بالجهل؟

إذا تخلف أهل السنة وتخاذلوا عن هذا الأمر العظيم من الذي يقوم به؟ أنتظر الصوفية؟ فالصوفية ليس عندهم إلا الموالد والبدع والخرافات والرقص وغير ذلك من البلايا والرزايا، أنتظر أهل التحزب فأهل التحزب قد شُغِلُوا بالمناصب والكراسي فدينهم يسير خلفها أينما توجهت، أنتظر الرافضة؟ فالرافضة هم أعداء الملة وعداوتهم ظاهرة ومكرهم أشد من مكر اليهود والنصارى، أنتظر جماعة التبليغ؟ الذين هم فرع للصوفية الذين أحدهم يغضب إذا وجه للعلم أو نُصَح، تأنف نفوسهم أن يقرؤوا في كتب العلم وأن يحفظوا أحاديث رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

فمن لهذه المهمة إلا أهل السنة، يتعلم العلم النافع ويُجاهدوا أنفسهم على ذلك وهو عمل فيه مشقة وفيه أتعاب، ولكن من عرف قيمته ومكانته هانت عليه أتعابه ومشاقه، ووجد لذته وحلاوته وإلا فإن الله يقول لنبیه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، ويقول **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أَتَنِي رِسَالَةٌ مِنْ رَبِّي فَضِقْتُ بِهَا

ذَرَعًا وَرَوَيْتُ أَنَّ النَّاسَ سَيُكَذِّبُونَنِي، فَقِيلَ لِي: لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيُفْعَلَنَّ بِكَ»، ويقول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

يا أيها الناس، لو ضربنا مثالاً في قتال الرافضة هذا الأمر الذي نُعائشه ونُشاهده في بلادنا لا أقول في غيرها، كيف حال الناس ووضعهم في مواجهة الرافضة بين العالم الجاهل، بين السني السلفي والمبتدع، بين صاحب العقيدة وبين الذي ضاعت عقيدته لرأيت الفرق الكبير، فذو العلم ينصر دين الله سبحانه وتعالى، فما كان قادة الفتوح إلا علماء، ودعاة، ومصلحون، ومعلمون، وحفظة لكتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ**، فأبو بكر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** الذي قاد الأمة بعد رسول الله **ﷺ** وثبت في حروب الردة كان أعلم الصحابة وحافظاً لكتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وهكذا عمر، وهكذا عثمان، وهكذا علي، وهكذا أبو عبيدة، وهكذا خالد، وهكذا عدد في أمراء الإسلام وأئمة المسلمين، كان القائد منهم هو خطيبهم وإمامهم في الصلاة ومفتيهم يُناقش العلماء ويُجالس الفقهاء ويُحدث المعلمين، وأما نحن اليوم فقد فترت الهمم وانهارت القوى ورجع كثير من الناس القهقري، لا أقول عموم المسلمين ولكن أعني أهل السنة أنتم يا أهل السنة الذين المعول على دعوتكم وعلى الخير الذي تنتمون إليه وتحملونه وتعلمونه وتنسبون إليه، فلا بد من الجد والاجتهاد وبذل الأعمار في طلب العلم، أحياناً إذا أراد امرأة أن يتزوجها أو بيتاً أن يعمره أو منصباً أن يصل إليه أو بلدة أن يُسافر إليها لربما بذل المال

الكثير والوقت الطويل وترك النوم وأتعب جسده فكيف بالعلم النافع الذي هو ميراث الأنبياء، العلم النافع الذي هو الزاد الحقيقي، العلم النافع الذي هو الطريق المختصر الذي يوصل إلى جنة عرضها السماوات والأرض.

يا أيها السامعين، والله إن هذه النعم التي في أوساطنا من وجود طلاب العلم، والدعاة، والمدرسين، والمشايخ، أو المؤلفين الذين يُدرسون العلم وينشرونه، أن هذه النعم سنُسأل عنها، وإن لم نحافظ عليها ونسعى في تحصيلها وازديادها وبقائها واستمرارها أنها ستُسلب منا.

قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** كما عند الطبراني عن عبد الله بن عمر: **«إِنَّ اللَّهَ عَبْدًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِنَافِعِ الْعِبَادِ، يُقَرُّهُمْ فِيهَا مَا بَدَّلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ»**، فالنعم تتحول، النعم تتغير، النعم تتبدل بسبب تغيير الناس: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾** [الرعد: ١١]، **﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾** [إبراهيم: ٧]، ولسنا بصدد فضائل العلم، وإنما هذه التفاتة إلى هذا الأمر العظيم الذي به نصر وبه نُمكن بإذن الله جل وعلا إن صدقنا مع الله سبحانه، فليس مثل العلم شيئاً لنصل حق نيته، كما قال جماعة من السلف.

الأمر الثاني مما ينبغي لنا معاشر أهل السنة أن نتسلح به: الصمود في زمن الانكسار، الثبات عند الفتن، الاستمرار على الخير فإننا نعيش في زمن المجتمعات الإسلامية تسير في منحدر خطير وفي طريق وعر وفي ظلمة حالكة إلا من سلمه

الله وثبته الله وأعانه الله، فيا من تقمصت هذا القميص وأخذت هذه الحلة ينبغي لك أن تعلم أنه لا بقاء لهذا الخير عندك إلا بالثبات والصمود ثبات الجبال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، فإن كثيرًا من الناس يذوب مع كثرة المتغيرات ويتأرجح مع شدة الفتن، ويتقهقر بسبب المحن، فالثبات الثبات حتى الممات، الثبات على دين الله تبارك وتعالى.

والعلم النافع والصدق والإخلاص إنما يظهر في مثل هذه المواطن الصعبة، وفي هذه الأزمنة العصيبة يظهر العلم، يظهر الخير، يظهر الصدق واقرأ في تراجم السلف وانظر في سير الأنبياء كيف تجد أنهم في شدة المهالك وفي عظيم الخطوب وإذا به يظهر ثباتهم وصمودهم وتعلو حجتهم ويُقهر أعداؤهم، ولو سردنا ما ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه لما كفى مجلس ولا مجالس عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولكن نذكر مثالًا واحدًا لعلم من أعلام هذه الأمة ثبت في زمن انجفل الناس إلى الباطل فنصر الله به الدين، وأيد الله به هذه الملة وأهلها: الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة في زمنه وليس كالزمن هذا إنه زمن العلم، إنه زمن الفقه، إنه زمن القرآن، إنه زمن الحديث، إنه زمن العبادة الزهاد ومع ذلك طغى على الأمة الإسلامية عن طريق أهل البدع، طغى عليهم تلك البدعة المشؤمة وهي: القول بخلق القرآن، وأن القرآن مخلوق وهذا باطل وكفر، فالقرآن كلام الله صفة من صفاته سبحانه فكيف يكون مخلوقًا؟ ولهذا قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ

الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجَرَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴿التوبة: ٦﴾، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥]، فهو من أمر الله وليس من خلق الله، فانتشرت تلك البدعة، وجعل أهل البدع يشوشون بها على الوالي في ذاك الزمن فاقتنع بها وبدأ يُلزم الناس بها، واستمر ثلاثة من الخلفاء يدعون إلى هذه البدعة المأمون، والواثق، والمعتصم يدعون إلى هذه البدعة، وكان في زمن الإمام أحمد دُعِيَ العلماء وألزموا بأن يقولوا هذا القول الباطل وقررت عليهم هذه العقيدة الفاسدة، فسقط من سقط وتأول من تأول، ومات من مات من شدة التعذيب، واختفى من اختفى من الخوف، وثبت الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ، أُدخل السجن وعُذِبَ وجُلِدَ، وكان يُجلد يوماً بعد يوم، وكلما جلدوه جاءوا به إلى الأمير وإلى الخليفة وذلك المبتدع المشؤوم ابن أبي ذؤاد رأس هذه الفتنة جالس ينتظره للمناظرة، ويطلبون منه أن يقول: بأن القرآن مخلوق، فيقول: هاتوا لي آية من كتاب الله أو حديثاً من أحاديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، الإمام أحمد صار مُكرهاً وهو معذور لو واتاهم إلى ما قالوا؛ ولكنه الثبات.

يقول ابن أبي ذؤاد: يا أمير المؤمنين اضرب عنقه فإن دمه حلال، فيجلد الإمام أحمد ويُعذِب وهو يقول: هاتوا لي آية من كتاب الله أو حديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ، قارن بين هذا وبين أناس كثيرين ربما حفظوا القرآن فأحدهم يتخلى عن منهجه من أجل دنيا، وآخر يُعطى وظيفة وإذا به يقلب لأهل السنة ظهر

المجن، وآخر ربما يترك القرآن ويهجره لماذا؟ لأجل أمر تافه من أمور الدنيا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الإمام أحمد ثبت فاشتد تعذيبه وازداد ألمه، ولم يُطلقوا سراحه فهم أن يقول لهم ما شاءوا وهو مُكره ثم قال لبعض من حضر: انظر من بالخارج، فنظر وقال له: يا إمام طلبة العلم والحديث ينتظرون ماذا تقول ليكتبوا: أن الإمام أحمد يقول: القرآن مخلوق، أو أنه ليس بمخلوق، ففضل الإمام أحمد أن يُمزق جسده ولا أن يقول هذا القول الذي يضربه الأمة بأكملها، فثبت واستمر التعذيب والأذى حتى كان زمن الواثق فجاءت تلك المناظرة المشهورة بين الأدرمي وابن أبي دؤاد في هذه المسألة في حضرة الخليفة، فقال له: هذه البدعة التي تدعو إليها هل علمها رسول الله ﷺ وأصحابه؟ قال: لا، لم يعلموها، قال: فشيء لم يعلمه رسول الله ﷺ والصحابة الكرام من أين أتاك العلم به؟ قال: لا، أنا متراجع بل علموها، قال: فإذا كانوا علموها هل دعوا إليها ونشروها أم سكتوا؟ لو قال: نشروها ودعوا إليها سيقول: أين البرهان؟ أأتنا بأثر أو حديث عن النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قال: بل سكتوا عنها، فقال له الأدرمي: شيء سكت عنه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ألا يسعك أن تسكت، فجعل الخليفة يقول: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسع النبي ﷺ وأصحابه، ورُفِعَت المحنة وفُرِجَ عن الإمام أحمد وكُبِتَ هذا المبتدع، بل إنه حين مات لم يجدوا من يُصلي عليه أبغضه الناس، ولما مات الإمام أحمد

عُليقت بغداد بكاملها، وازدحم الناس في شوارعها للصلاة على الإمام أحمد لا لجماله، ولا لماله، ولا لمنصبه فهو رجل فقير لا يملك شيئاً؛ ولكن لعلمه وثباته.

فنحن في أشد الحاجة في هذه الأزمان المتأخرة إلى الثابت على دين الله **عَزَّ**
وَجَلَّ، إياك أن تتسرب إليك آراء أهل البدع، وأقوال أهل الشر، فتصير مائعاً فإن
كثيراً من الناس يميلون إلى الميوعة، وإذا وجدوا سلفياً يدعو إلى التمسك بالكتاب
والسنة وأخذهما بقوة وصلابة رموه بالغلو أو رموه بالتشدد ونفروا عنه وهذا من
أبطل الباطل: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ
الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (المؤمن للمؤمن
كاليد للأخرى، وقد لا يخرج الدرن إلا بشيء من التخشين)، فالذي يدعوك إلى
الثبات، والذي يدعوك إلى التمسك بالسنة ومجانبة البدع وأهلها والشر وأهله فهذا
يُشكر ويُحمَد ويُثنى عليه؛ لأننا في زمن كما سمعتم دبَّ إلى الناس بل إلى بعض
أهل السنة التميع، والميل إلى الشهوات، والميل إلى البدعة، ومخالطة أهل الباطل،
والتنازل عن بعض منهج السلف ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فمن أعظم ما يُثبت أقدامنا ويجعل عزائمنا قوية: أن نثبت على طريقة السلف
في معتقداتنا، في مناهجنا، في أخلاقنا، في معاملتنا، في كل ما نأتي ونذر، ونُجاهد
أنفسنا على ذلك فالناس تحتاج إلى مُجاهدة، وما كان ديناً في زمن الرسول وفي زمن
السلف الكرام فهو دين في هذا الزمن، وما لم يكن ديناً في ذلك الزمن فليس بدين
في هذا الزمن، قال الإمام مالك رحمه: إنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به

أولها، فمن اتخذ طريقاً مخالفاً، أو آراءً مصطنعة فإنه من أسرع الناس فشلاً وتأخراً وتقهقراً، وهكذا من أكثر الناس من يتسلط عليه الأعداء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها المسلمون عباد الله، مما ينبغي أن نتصف به، وأن نحصر عليه من المقومات العظيمة لبقاء دعوتنا، ونصرة الله **عَزَّ وَجَلَّ** لنا وثبات أقدامنا في هذه الأزمان المتأخرة: أن نعمل بهذا العلم، أن نعمل بهذا الدين الذي نتعلمه وندعو إليه فإن هذا أمر عظيم وجليل، فكيف نحمل شيئاً ونحن لا نعمل به؟ فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** قد صور من هذا حاله أنه لا فرق بينه وبين البهائم، ففي سورة الأعراف جعل الله **عَزَّ وَجَلَّ** هذا الصنف كالكلب، وفي سورة الجمعة جعله كالحمار، واختار هاذين الحيوانين؛ لأنهما أردأ الحيوانات وأخسها طباعاً وأنزلها مرتبة، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** في سورة الأعراف: ﴿وَأْتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]، سبحانه الله عالم آتاه الله آياته ليس مجرد أنه تعلم وقرأ وحفظ، بل آتاه الله آياته ومع ذلك يقول الله له حين انحرف عن هذا العلم ولم يعمل به: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقد ذكر ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** أقوالاً عظيمة وبديعة في تفسير هذه الآية، فارجع إليها وانظر إليها، وهي مذكورة في بدائع التفسير، ذكر كلاماً جميلاً: لماذا مثل الله العالم الذي لا يعمل بعلمه

وينحرف عن العلم بالكلب؟ ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وفي سورة الجمعة يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، وما تُغني الأسفار عن هذا الحمار، حمل حمارًا صحيح البخاري وصحيح الإمام مسلم والسنن الأربع والقرآن الكريم هل يستفيد منها؟ وحمله بعد ذلك أحجارًا فهو لا يفرق بين هذا ولا هذا، ولا يستفيد من هذا ولا هذا، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

وهكذا من يحمل العلم ولا يعمل به ولا يطبقه ولا يدعو إليه ولا ينشره ولا يسير عليه، ثمرة العلم العمل، فإذا لم يكن هناك عمل فلا قيمة لهذا العلم ولا وزن، إذاً: هذا من أعظم المقومات: أن نعمل بما ندعو إليه ونتعلمه، وما رفع الله عَزَّ وَجَلَّ مكانة العلماء وجعلهم في تلك المرتبة إلا لعملهم بالعلم: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، ﴿إِنَّمَا يُخَشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

والحديث عن هذه النقطة يطول، ولكن نختم بأمر عظيم أيضًا وهو من أعظم المقومات لقوة دعوتنا وثباتنا على ديننا، واستمرارنا في خيرنا ومواجهتنا لأعدائنا: وهو أن حرص على الأخوة الإيمانية، الأخوة الإسلامية أخوة الدين التي بها تحصل شد العزائم، ومضافرة الجهود، وقهر العدو، وثبات الأقدام، فإنه بجمع

الكلمة ووحدة الصف وترابط القلوب تظهر قوة أهل الإيمان، وقد عَلِمَ هذه الحقيقة حتى الأعداء والكفرة؛ ولهذا قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** حين ذكر قصة موسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يوم أن دعاه فرعون إلى المناظرة وجمع له جميع السحرة وأتى بهم في ذلك الحشد العظيم، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ** عنهم أنهم قالوا: ﴿فَاجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَنتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ [طه: ٦٤]، رأوا أن الاجتماع فيه قوة، وأن الاتحاد فيه النصر، وربنا يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، والنبي ﷺ يقول: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»، بدون لفظة: (الواحد) فهي زيادة، لو تفكرنا في هذا الحديث العظيم ونظرنا في هذا الجسد كيف يكون حاله عند الأمراض والأسقام والآلام ربما يُصيب المرء شيء في بطنه وإذا به تضربه الحمى في كل جسده، يتألم في أصبعه في قدمه وإذا به يعلوه الصداع في رأسه، وهكذا: «تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ»، وهكذا أهل الإيمان ينبغي أن يكونوا كالجسد الذي يتألم بعضهم لألم بعض، ويحزن بعضهم لحزن بعض، وهكذا ينصر بعضهم بعضًا ويؤازر بعضهم بعضًا، ولا أعني بهذا أن نتنازل عن الحق، ولا أن نُداهن أهل الباطل فليس هذا من مقومات الدعوة السلفية، ولكن المعنى: أن نسعى بجمع الكلمة ما استطعنا، وأن ندرأ أسباب الفرقة والشتات والخلاف، فما كل خلاف يوسع، وهكذا ما كل قول من أجله يُبدع وإنما كل شيء بحسبه، فإن اختلفت مع أخيك المؤمن الذي تسير أنت وإياه على عقيدة واحدة

ومنهج واحد وصراط مستقيم فعليك أن تنظر إلى المصلحة العظيمة في جمع الكلمة معه وفي الإخوة معه فتتنازل عن حظوظ نفسك، وتترك شيئاً من حَقِّك من أجل الله **عَزَّ وَجَلَّ** لتبقى الأخوة والمودة والمحبة والرابطة العظيمة، فإنه دَبَّ في أوساط أهل السنة لا أقول المسلمين عموماً فهم أشد وأعظم، ولكن أقول في أوساط أهل السنة في بعض أفرادهم ما أن يختلف مع أخيه إلا وإذا به يُقيم الولاء والبراء ويُحاول أن يُجمع إلى جهته وناحيته وذاك يُجمع فيتمزق الشمل، ويُفقد الصف، ويشمت الأعداء، ويضيق الأحبة والله **عَزَّ وَجَلَّ** يقول في كتابه الكريم: ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، يُذكر الصحابة الكرام بالأيام الماضية، بأيام بُعث وما قبلها وما بعدها من التمزق والفرقة والافتتال، ويُذكرهم بالنعمة الحاصلة ببعثة محمد **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كيف جمع الله قلوبهم فصاروا كتلة واحدة: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، جمع الله **عَزَّ وَجَلَّ** بينهم بعد شتات عظيم وتمزق وتفرق فصاروا أمة واحدة لم يستطع أن يخترقها الأعداء بحول الله وقوته، فهزوا عروشهم، وكسروا دولهم، نكسوا راياتهم على قلة أعدادهم وقلة عتادهم؛ ولكنهم كانوا قومًا مجتمعي الكلمة متحدي الصف على قلب رجل واحد، يأتي أحدهم لأخيه الذي أخاه النبي إليه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وهذا

من مكة وهذا من المدينة فيقول له: خذ شطر مالي وانظر ما تُريد من زوجتي أُطلقها لك كما صنع ذلك سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف.

فما أحوجنا أمة الإسلام إلى أن نستشعر لهذا الأمر العظيم ولنعلم أن من أعظم خطط الأعداء: أن يمزقوا شملنا، وأن يفرقوا جمعنا ولو عن طريق بعض من يُظهر الخير والصلاح وربما السنة، وربما الدعوة، وربما القرآن ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فنسعى جميعًا إلى وأد كل قول وعمل يؤدي إلى تفريق شملنا وتمزيق صفنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ويقول الله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢]، فالتفرق والتمزق ليس من دين الإسلام في شيء وإنما هي طريقة أهل الشرك وملة أهل الكفر وأهل الكتاب كما ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في غير ما آية من كتابه وذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ ولكن ليس هذا معناه: أن نتغاضى عن البدع والأخطاء والخرافات والمعاصي والسيئات، ولكن يُعالج كل خطأ بحسبه وبما جاء في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ وفي سنة رسوله ﷺ، ونسعى ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا: أن نجمع شمل الأمة بقدر ما نستطيع بدعوتهم إلى الكتاب والسنة.

أيها المؤمنون عباد الله، مقومات هذه الدعوة المباركة التي بها ينصر الله عز
جل حملتها وأنصارها ودعاتها كثيرة، وهذه نبذة يسيرة وهي أسباب عظيمة لمن
أخذ بها ووعاها وطبقها كما أمر الله جل وعلا.

وفق الله الجميع لما يُحب ويرضى، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله
وصحبه وسلم، وجزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم.



[١١] اِرْفَعْ رَأْسَكَ بِالسَّلَفِيَّةِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
 أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **صَلَّى**
اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
 [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
 زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ
 أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
 عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].
 أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى**
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ،
 وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها المسلمون عباد الله، تكلم أخونا جزاه الله خيرًا في مقدمته وترحيبه في بيان شيء مما عليه دعوة أهل السنة الجماعة، هذه الدعوة المباركة الدعوة السلفية دعوة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، التي مزاياها عديدة، وفضائلها متنوعة كيف لا تكون كذلك وهي دعوة الله تبارك وتعالى؛ ولهذا فإن حديثي معكم في هذه الليلة إن شاء الله تعالى عن هذا المضمون: عن دعوة أهل السن والجماعة.

قال الإمام البخاري **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى في "صحيحه": حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ النَّبِيِّ **ﷺ**، قَالَ: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»، رواه البخاري ومسلم، وهو حديث متواتر كما صرح بذلك جماعة من العلماء والمحققين، فقد رواه البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة، وعن معاوية بن أبي سفيان، ورواه مسلم عن جماعة من الصحابة منهم: ثوبان، وجابر بن سمرة، وسعد بن أبي وقاص، وجابر بن عبد الله وآخرين، فهو حديث متواتر.

هذا الحديث يبعث في قلوب أهل الإيمان الأمل أن دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** منصور بإذن الله سبحانه وتعالى، دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** محفوظ بحفظه جل وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وهكذا يقول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ

أَذَلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿[المائدة: ٥٤].

فدين الله عَزَّ وَجَلَّ منصور، ودين الله عَزَّ وَجَلَّ مؤيد، فمن حمل هذه الدعوة المباركة حملاً حقيقياً وحملاً صحيحاً كما كان عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكما كان عليه صحابته فليبشر بالنصر والظفر، وليبشر بالتأييد والحفظ والكلاءة من الله جل وعلا؛ ولهذا يقول ربنا في كتابه الكريم: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢-٣٣].

الهدى: هو العلم النافع ودين الحق، هو العمل الصالح، فمن كان على العلم النافع والعمل الصالح فإن الله عَزَّ وَجَلَّ ناصره ومؤيده كما في هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

يا أيها الناس، في هذا الحديث العظيم يُبين نبينا ﷺ أن هناك طائفة لا زالت على الحق ظاهرة، لا تتضرر بكثرة المخالفين، ولا بتجمع المناوئين، ولا بكثرة المندسين المخدولين فهي منصوره بإذن رب العالمين سبحانه وتعالى، إنها الطائفة المنصورة، الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة كما جمع ذلك شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في العقيدة الواسطية فقال في أوائلها: (أما بعد: فإن هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، الطائفة المنصورة، الفرقة الناجية)، فإذا هي أسماء لمسمى واحد: وهو

من كان على طريقة المصطفى **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** على فهم سلف المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم من التابعين بإحسان إلى يوم الدين، وهم كما قال الإمام علي بن المديني رحمة الله عليه، كما نقل ذلك الإمام الترمذي عن شيخه البخاري، عن علي بن المديني أنه قال: (هم أهل العلم)، ونقل الإمام الحاكم عن إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل كما في كتاب معرفة علوم الحديث، قال: (إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟)، أي: هؤلاء هم ذروتها، وهم أصلها وأساسها وإلا فإنهم يتفرعون في أصناف الأمة فمنهم العالم المحقق المدقق، ومنهم المجاهد في سبيل **اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ**، ومنهم حافظ القرآن، ومنهم القائم الصائم، ومنهم المزارع، ومنهم الصانع، ومنهم العامي، وإنما يجمعهم المنهج السليم، والمنهج القويم، والصراط المستقيم، وهذا الطريق العظيم الذي تركه نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

أيها الناس، إن دعوة أهل السنة والجماعة الدعوة السلفية ليست شعارات تُرفع، ولا ادعاءات يدعي أصحابها، ولا أقوال يقولها من قالها وإنما هي قول وعمل، واعتقاد وأخلاق وعبادات، ومنهج تركه النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، هذه الدعوة العظيمة وصفها لنا نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بأوصاف عظيمة موجزة جليلة في هذا الحديث المتواتر، فقال: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ»**، وقوله: **«لَا تَزَالُ»**، هذا من الأفعال التي تدل على الاستمرار، فأهل الحق ماضون، وأهل الحق مستمرّون، وأهل الحق ثابتون بإذن الله جل وعلا إلى الإمام لا

يتأرجحون، ولا يترنحون، ولا يتزعزعون، بل هم صابرون على دين الله تبارك وتعالى؛ ولهذا قال ربُّنا مُحَاطَبًا أهل الإيَّان بالأمر بالصبر على الطاعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، فهي طائفة لا تزال مستمرة معها عرض لها، ومهما حاول أعداؤها إيقافها فهي دعوة مستمرة وإن تأمر المتآمرون ومكر الماكرون فإن الله جل وعلا يقول لنبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** الذي جاء بهذا الخير كله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فإنهم مهما عارضهم من عارضهم، أو وقف في طريقهم، أو حاول عرقلتهم فهم ماضون على طاعة الله وعلى دين الله، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجُمْرِ»، رواه الترمذي من طريق عمر بن شاعر عن أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، والنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يقول كما في حديث ابن عمر وأبي هريرة قال: قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، في رواية عند أحمد عن ابن مسعود قال: «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»، وفي رواية: «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ»، فإذا هم وإن فسد الناس، وإن أعرض من أعرض، وإن تخلص من تخلص، وإن عطب من عطب فإنهم لا يزالون مستمرين، ولا يزالون ماضيين، ولا يزالون ثابتين بإذن الله رب العالمين أنهم على ذلك، فإن الحق يجعل الله **عَزَّ وَجَلَّ** له من يحمله، ومن يدعو إليه، ومن يعمل به، قال

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْقُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَأَنْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ»، وهو حديث حسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

فمن صفاتها، ومن مميزاتها، ومن أعظم ما وصفت به: أنها لا تزال مستمرة، فليست دعوة موسمية، ولا دعوة دنيوية إذا وصلت إلى مأربٍ من مآربها توقفت، أو إلى منصب من مناصبها تحولت؛ ولكنها مستمرة مهما تغيرت الأحوال، ومهما عصفت العواصف، ومهما كثرت الفتن تمضي بإذن الله تبارك وتعالى: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ»، ولو كانوا قلة، ولو كانوا أعداد ما دام أنهم على الحق فهم ظاهرون بحمد الله تبارك وتعالى، ومن كان على الحق فإن الله ناصره وإن الله مؤيده، ومن حمل الحُجَج والبراهين فإنه منصور بإذن رب العالمين: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، إذا فالحق منصور كما قال الإمام ابن القيم:

الْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُتَحَنٌّ فَلَا تَعْجَبْ فَهَٰذَا سُنَّةُ الرَّحْمَنِ
وإن حصل الابتلاء، وإن حصل البلاء وإن حصل ما حصل فصاحبُ الحق منصور بإذن الله تبارك وتعالى؛ ولهذا يقول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:
(الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك).

إذًا: هذه الطائفة باستمرارها وثباتها على الحق فإنها منصوره بإذن الله تبارك وتعالى: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، وهذه

إشارة إلى أن أهل الحق يوطنون أنفسهم لوجود المخالفين، لكثرة المخالفين، لتكالب المخالفين، فالمخالفون للحق وأهله كثير، الصادون عن سبيل الله **عَزَّ وَجَلَّ** كثير على وجه الأرض وكلهم يُعادي الحق وأهله إلا من بصره الله سبحانه وتعالى ومع ذلك لا يتضررون بكثرة المخالفين، بكثرة المناوئين، بكثرة الشائنين، بكثرة المُعادين؛ لأنهم على الحق المُبين، إذا اطمأنت قلوبهم ورضيت نفوسهم بما عليه من الحق واطمأنوا لذلك لو خالفهم أهل المشرق وأهل المغرب، هذه عقيدة عظيمة علمها نبينا **ﷺ**، هذه الأمة كبارها وصغارها، يقول لعبد الله بن عباس وهو غلام صغير: «يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلَّمْتُ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

بعض أهل الأحزاب والبدع والأهواء الذين يدعون الإسلام، بل ربما يدعون السنة والكتاب وطريق السلف الكرام، إذا كثر أعداؤهم وتكالبوا عليهم تفككوا وتناثروا وتقهقروا وضاعت دعوتهم وهذا يدل على الشك، ويدل على الريب، ويدل على الضعف، أما من كان على الحق المُبين ومُطمئن على الدين القويم فإنه لا يضره مخالفة المخالفين ولا عداوة المعادين: «لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ».

هذا نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** جاء بهذه الدعوة البيضاء الغراء، هذه الدعوة المباركة فأعرض عنه القريب والبعيد، وتركه الأهل والعشيرة، وجعلوا يذمونهم ويسبونهم، فهذا يقول: ساحر، وهذا يقول: كاذب، وهذا يقول: كاهن، وهذا يقول: مجنون، يذهب هنا فلا يجد من يقبل دعوته، ويذهب هنا فلا يجد من يقبل دعوته، يدخل في الإسلام الواحد بعد الواحد سرًا، يقول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وهو يُخَاطَبُ الناس في الموسم: «هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؟ فَإِنْ قُرَيْشًا مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي»، منعوه ليس مجرد أنهم أعرضوا عنه ولم يقبلوا منه بل منعوه وآذوه، عمه أبو لهب يُطَارِدُهُ في الأسواق ويُراجمه بالحجارة حتى يُدْمِي عِرْقُوبِيهِ يقول: يا أيها الناس هذا ابن أخي هذا كذاب لا تصدقوه، ومع ذلك نبينا **ﷺ** لم تضربه هذه المخالفات، ولم يتأثر بهذه الدعايات، ولم يتأرجح لكثرة التشويشات بل مضى قُدَمًا يدعو إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ**، يتخلل مجامع الناس وأسواقهم ويقول لهم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»، ومضى قُدَمًا فأيده الله، وثبته الله، وأعانه الله، وسدده الله، وفي فترة وجيزة انتشر الإسلام في الجزيرة العربية ورجع أهل مكة فدخلوا الإسلام والإيمان وصارت تلك الكعبة التي كان حولها ثلاثمائة وستون صنمًا يُعْبَدُ الله **عَزَّ وَجَلَّ** عندها ويوحّد وَفِيَّ الشَّرْكَ من تلك البلاد بالكلية، جعل يُحْطَمُ الأصنام حين دخل عام الفتح وهو يقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

الفرقة الناجية، الطائفة المنصورة وإن كثر أعداؤها، وإن كثر المخالفون لا يُبالون يصبرون؛ لأنهم يعلمون أنهم على الحق المبين، ومن كان على الحق فإنه منصور بإذن الله **عَزَّ وَجَلَّ** وإن ابتلي في الدنيا ولم يُنصر فإنه منصور عند الله تبارك وتعالى في الدار الآخرة: ﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢]، فأهل الإيمان إن لم يُنصروا في الدنيا وابتلاهم الله **عَزَّ وَجَلَّ** وقد بلغوا دين الله وصبروا عليه وثبتوا عليه فإنهم منصورون بين يديه سبحانه وتعالى، لا تغرهم الدنيا، ولا تُردبهم الشهوات والشبهات وإن كثر المخالفون لهم.

«لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ خَدَّهُمْ»، المخالف من الخارج، والمخذل من الداخل فهم لا يتضررون بأي حال، من الناس من يعتريه الشك أو يبتليه الله **عَزَّ وَجَلَّ** بسبب ذنوبه ومعاصيه، أو ما يعلمه سبحانه وتعالى فيما بينه وبين الله **عَزَّ وَجَلَّ**، فربما ينحرف عن الصراط ويرجع القهقرا ويصير عدوًا بعد أن كان صديقًا وحميمًا، أهل الحق لا يتضررون بهذا وإن كان ممن يُشار إليه بالبنان، ومن قد عرفته المنابر والدفاتر والمحابر والمساجد؛ لكنه إذا انحرف عن الحق وأعرض عن الهدى فإنه لا يتضرر به أحد وهذا مُشاهد وملاحظ كم انسلخ من دعوة أهل السنة والجماعة، كم ترك الدعوة السلفية من أقوام، هل تضررت هذه الدعوة المباركة؟ لا والله، بل زادت صفاء ونقاءً ووضوحًا وجلاءً ومُضيًا قُدماً، اتسعت رقعتها، وكثُرَ رجالها وأنصارها، وتعددت أماكنها، وتقبلها الناس وأحبوها مع أنه قد

تركها كثير ممن سلكوا بُنيات الطريق وأعرضوا عن الحق والهدى، وسال لعابهم على الدنيا ومناصبها وزخارفها وشهواتها، أهل الحق والهدى لا يتضررون بالمخالفين، ولا بكثرة المخدولين الذين ربما ينخدلون في صفوفهم ويرجعون على أعقابهم.

«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ وَلَا مَنْ حَذَلَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ»، قال أهل العلم عند هذه الفقرة: «إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ» أي: إلى قُرب قيام الساعة، فإنه قد جاء في الأحاديث الصحاح: أن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ يبعث رجلاً قبل قيام الساعة فتقبض أرواح أهل الإيمان فيبقى شرار الخلق يتهارجون كتهارج الحُمر فعليهم تقوم الساعة، إذاً: فقلوه: «إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ»، أي: إلى قُرب قيام الساعة.

إذاً: فاطمأن يا أيها المؤمن أن الله عَزَّ وَجَلَّ ناصر دينه ومتم كلمته، إنما انظر أين أنت من الحق؟ أين أنت من السلفية؟ أين أنت من الدعوة النبوية؟ أين أنت من العقيدة الصحيحة؟ أين أنت من الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ؟ أين أنت من التمسك والتنسك؟ أين أنت من العمل؟ أين أنت من التطبيق؟ وإلا فإن الله عَزَّ وَجَلَّ ناصر دينه ومؤيد كلمته سبحانه وتعالى.

أيها المؤمنون، هذه الدعوة المباركة صفاتها عظيمة وعديدة، ولو وقف الواقف وتكلم المتكلم لما كفاه المجالس العديدة، وإنما هذه إشارات.

ونذكر أيضًا بعض تلك الصفات العظيمة التي تقوم عليها الدعوة السلفية من أعظمها وأجلها: الدعوة إلى توحيد الله تبارك وتعالى، هذا الأصل الأصيل والعمود العظيم من أعمدة هذه الدعوة المباركة الذي قامت عليه دعوة الأنبياء ودعوة المرسلين من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، فهذه الدعوة المباركة تدعو إلى توحيد الله وتدعو إلى التحذير من الشرك بالله سبحانه وتعالى، هذا أعظم واجب أوجبه الله **عَزَّ وَجَلَّ** على العباد، يدعون إليه، وإلى تطبيقه، وإلى العمل به، وإلى التحذير من مخالفته قال الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ونبينا **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** مكث في قومه في مكة ثم هاجر إلى المدينة من أول دعوته إلى أن توفاه الله **عَزَّ وَجَلَّ** وهو يدعو إلى توحيد الله تبارك وتعالى، وإلى تعليم الناس العقيدة الصحيحة، وإلى بيان هذا المنهج القويم، وإلى التحذير من الشرك أصغره وأكبره، وإلى التحذير من البدع والخرافات، من أول أمره يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا﴾، ليس قولاً وحسب، بل قولاً وعملاً واعتقاداً بشروطها وواجباتها مع البعد عما يُناقضها من النواقض والفهم لمعناها، يدعو إلى ذلك ليلاً ونهاراً يُحذر من الشرك الأكبر والأصغر في الأقوال والأفعال حتى في الألفاظ **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، ربي أصحابه من المهاجرين والأنصار على المعتقدات الصحيحة، المعتقدات السليمة، المعتقدات التي أمر الله بها، حذرهم من

المعتقدات المخالفة ومن مشابهة أهل الجاهلية، ومن التشبه بأهل الكتاب، ومن التشبه بأهل الوثنية، حذرهم من ذلك رجالاً ونساءً؛ حذرهم سفراً وحضرًا، حذرهم صحةً ومرضًا، ليلاً ونهارًا، حتى في آخر عُمره وفي مرض موته وهو يُحذر من الشرك ووسائله، يقول في مرض موته وقد ذُكرت عنده كنيسة في أرض الحبشة بُنيت ووضع في داخلها بعض الصور، فقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وقد رفع رأسه وهو في مرضه: «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»، وقال عليه الصلاة قبل موته بثلاثة أيام: «أَلَا إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»، دعوة إلى التوحيد.

يا أيها السني، يا أيها السلفي إن لم يكن عندك حظ أو معك حظ من تعلم العقيدة والتوحيد والدعوة إليها فأأي سلفية هذه؟ وأي دعوة هذه تدعيها؟ هذه الدعوة ليست مجرد شعارات كما سمعتم إنما هي قول وعمل، دعوة النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من أولها إلى آخرها دعوة إلى توحيد الله تبارك وتعالى وإلى التحذير من الشرك بالله جل وعلا فإنه يترتب على ذلك حصول الجنة والدخول إليها أو حرمانها والقرار في نار جنهم، فإن من مات على الشرك بالله جل وعلا حرم الله عليه الجنة، ومن مات على التوحيد بإذنه سبحانه وتعالى كان من أهل الجنة: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ

النَّارَ»، وكم يتحدث المتحدث عن هذا؟ ولهذا فإن أهل السنة والجماعة في مدارسهم، في مساجدهم، في منازلهم، في سفرهم، في حضرهم يهتمون بتدريس العقيدة، بتدريس التوحيد، بتعليم الناس ذلك، بنشر ذلك، بكل ما يقدرُونَ عليه، فإن الناس قد وقعوا في الجهل وتوسعوا فيه، وجعلوا دين الله تبارك وتعالى، قد يقول قائل: نحن في بلد التوحيد والإسلام والإيمان فكيف ندعو إلى التوحيد؟ نقول: يا عبد الله كم من مُصلٍ ربما يُصلي خمسين سنة يقرأ القرآن لو سألت ما معنى التوحيد لما عرف ما معنى التوحيد، لو قلت له: ما هي أقسامه؟ لما عرف ما هي أقسامه، لو قلت له: اذكر لي من نواقض الإسلام عشرة؟ لما عرف ذلك، إذا: أين التوحيد الذي يُدعى والناس في جهل مُطبق إلا من وفقه الله جل وعلا؛ ولهذا فإنه ينبغي لأهل السنة والجماعة: أن يُشمروا عن سواعد الجد في نشر هذه الدعوة العظيمة، في الدعوة إلى توحيد الله تبارك وتعالى والتحذير من الشرك، ما أكثر السحرة الذين مُلئت بهم البلاد، والذين أكثروا فيها الفساد في المَدَن، والقرى، والجبال، والشعاب، والوديان الذين أفسدوا كثيرًا من العقول والأبدان، هذا يدل على ضعف التوحيد ودعوة التوحيد، ولو عرف الناس هذه الدعوة المباركة لما رضوا أن يبقى في أوساطهم هؤلاء الأرجاس الأنجاس الأشرار الكفار الذين يُحاربون دين الله تبارك وتعالى.

يا أيها الناس، من صفات هذه الدعوة ومن مميزاتها العظيمة: الدعوة إلى العلم والتحذير من الجهل، فإن العلم أعظم سلاح تقوم عليه الدعوة السلفية، العلم

النافع عِلْمُ الكتاب والسنة ليست العلوم الدنيوية، ليست العلوم المادية إنما عِلْمُ الكتاب والسنة الذي به يُعبد الله، والذي به يوحد الله، والذي به يُقام شرع الله في أرضه، توحيد الله، وعبادة الله، وقيام دين الله كل ذلك يترتب على العلم النافع؛ ولهذا ما أكثر الأدلة في كتاب الله التي يحث الله **عَزَّ وَجَلَّ** فيها على العلم: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، لشرف العلم، وفضل العلماء، ومكانتهم جعلهم في هذه المرتبة العظيمة، أشهدهم على وحدانيته سبحانه، قرنهم بملائكته، بل قرن ذلك بشهادته؛ لتعلم أهمية العلم، أهل السنة والجماعة دعوتهم قائمة على العلم فإن أعرضوا عن العلم ذهبت، وإن تركوا العلم اضمحلت، فالله الله عباد الله إياك يا أيها السلفي أن ترضى لنفسك بالجهل، إياك أيها السلفي أن تضيع وقتك وعمرك في غير طلب العلم، في غير حفظ القرآن والسنة فإن هذه ندامة، العُمُر يمضي وهو قصير والأيام تدور وما تدري إلا وقد صرت كبيراً في السن لا تقدر على حفظ شيء من القرآن ولا على حفظ شيء من السنة، سلفي في المظهر لكن ربما لا يحفظ عشرة أجزاء، وربما لا يفهم كثيراً من مسائل الفقه هذا والله من التقصير بل أعظم من هذا أن يكون طالب علم وداعٍ إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ**، كان يهز المنابر ويُعلم الناس ويجتمع إليه الأعداد الكثيرة وفي آخر المطاف يكون عسكرياً، أو في آخر الطاف يلجأ إلى الدنيا وحُطامها ويصير لصاً من اللصوص باسم الدين والدعوة وباسم العلم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

العلم العلم يا عباد الله، إنما تكالب أعداء أهل السنة في هذه الأيام من يهود، ونصارى، ورافضة، ومنافقين، ومشركين على دعوة أهل السنة والجماعة لما أقبلت على العلم، لما أقبلت على العقيدة، لما أقبلوا على المساجد، لما أقبلوا على الدين الصحيح الذي إذ رجعت الأمة إليه عاد إليها مجدها، عاد إليها نصرها، عاد إليها كنزها، عاد إليها ما كان عليه الأوائل، عاد إليها تلك الانتصارات العظيمة التي حصلت في بدر وأحد والأحزاب، التي حصلت في معركة القادسية وفي معركة اليرموك، التي حصلت في فتح بلاد الأندلس وفي فتح الهند والسند، إذا رجعت الأمة إلى دين الله وتفقهت في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ**؛ ولهذا فقد أدرك هذه الحقيقة أعداء الإسلام فسعوا إلى إبعاد الأمة عن العلم.

يقول البابا لا صبحه الله ولا مساه بخير، البابا الموجود الذي يُستقبل في بعض بلاد الإسلام ويُعظم ويُبجل، يقول وهو يُخاطب الأوروبيين ويُخاطب النصارى، ويُخاطب أولئك الأشرار ويقول: (لو سكتنا عن هذا الإسلام لربما بعد خمس سنوات وأطفال أوروبا مسلمين)، هذا لا يأتي إلا من العلم النافع، قال: (لو سكتنا وغفلنا عن هذا ربما بعد خمس سنين يكون أطفال أوروبا قد اعتنقوا الإسلام)، كيف سيعتنقون الإسلام؟ هل سيعتنقون الإسلام بالتفجيرات؟ هل سيعتنقون الإسلام بقتل النفوس البريئة؟ هل سيعتنقون الإسلام إذا تخلىنا عن الإسلام؟ هل سيعتنقون الإسلام إذا صرنا أذنابًا وأتباعًا لليهود والنصارى نقلدهم في المخبر والمظهر والمنظر؛ لا، وإنما سيدخلون الإسلام إذا أخذنا الإسلام

أخذًا صحيحًا، تعلمناه واجتهدنا في تعليمه وفي الدعوة إليه وفي العمل به، إذا هذا من أعظم ما تقوم عليه الدعوة المباركة دعوة أهل السنة والجماعة.

النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** من أين ربي أصحابه؟ وكيف خرج أولئك الأجيال؟ من أين خرج أبو بكر وعمر؟ خرجا من المسجد النبوي، من أين أتى خالد بن الوليد سيف الله المسلول؟ من أين أتى سادة الإسلام وعلماء الأمة الذي سادوا الشرق والغرب؟ إنه من المسجد النبوي الذي كان أرضه من حصير ورمال وتراب، الذي كان أهله يُصلون فيه في شهر رمضان، ربما يسجد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** حتى يقول القائل: قد نسي، يسجد على الرمل في المدينة النبوية، الذي ذهب إلى المدينة النبوية في أيام الحر الشديد يعرف حرَّ المدينة النبوية، يسجد حتى يقول القائل: قد نسي.

إذا في بيوت الله **عَزَّ وَجَلَّ** تربي أولئك الرجال الذي كسروا إيوان كسرى، والذين أهانوا هرقل وأهانوا ملك الروم، والذين فتحوا المشرق والمغرب.

إذا فلنرجع إلى ذلك ولنحيي ذلك، إياك يا أيها السلفي أن تميل يمنة ويسرة قد أكرمك الله بكرامة عظيمة، انظر يمنة ويسرة ما يتخبط فيه الناس من الجهل، والضلال، والانحرافات، والزيف، والتكالب على الدنيا والاقتتال عليها، والغفلة عن دين الله وأنت بصرك الله بالحق، جعلك من أهل السنة، جعلك من أهل الخير، جعلك من أهل التوحيد، أترضى أن تتنازل عن هذا الخير وعن هذا الكنز

حتى تكون من أولئك الذين أعمى الله بصائرهم؟ إذا: هذا من أعظم ما تقوم عليه هذه الدعوة المباركة.

ومن أعظم ما تقوم عليه هذه الدعوة: هو علانية الدعوة، والصدع بالحق، والصبر على ما يلقي العبد من الأذى، دعوة أهل السنة ليس فيها مجاملة وليس فيها مدهانة، وليس فيها سكوت عن الباطل، وإنما لكل مقام مقال، قال الله جل وعلا لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، إعلان لأهل الباطل أجمعين: أننا على الحق، وأنا ندعو إلى الحق، وأنا لن نتنازل عن الحق، وأنا سنصبرُ على الحق هكذا علمنا نبينا ﷺ، وعلى ذلك علمه ربه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٥]، من صدع بالحق نصره الله، ومن ثبت على الحق أيده الله، ومن كان مدهانًا مجاملًا خذله الله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٦]، إلى آخر الآيات.

إذا: هذا من أعظم ما تقوم عليه هذه الدعوة: الصدع بالحق وعدم المدهانة والمجاملة: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، أهل الباطل يُحبون أن تسكت عن باطلهم فسيسكتون عنك، قال الله جل وعلا: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٥٥]، المبطل يُقال له مبطل، والغشاش يُقال

له: غشاش، والمُشرك يُقال له: مُشرك على حسب قواعد الشريعة الإسلامية، ولكل مقام مقال ليس على الطريقة العشواء؛ ولكن على ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**.

أنت تحملُ منهجًا عظيمًا فارفع رأسك عاليًا به، ارفع رأسك عاليًا بهذا المنهج من تخاف يا عبد الله؟ فإنك إن كنت مع الله فالله **عَزَّ وَجَلَّ** معك، أو ما سمعت الحديث يقول فيه **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «**أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ**»، الجزاء من جنس العمل، أنت تدعو إلى الله، تدعو إلى دين الله، تدعو إلى مرضات الله من الذي يُخيفك؟ من الذي يُعيقك؟ من الذي يردك؟ من الذي يصدك؟ لا تُبالي بمن خالفك أو عارضك إن كنت على الحق المبين والصراط المستقيم، قال الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾ [الإسراء: ٨١].

دعوة أهل السنة ظاهرها كباطنها ليس عندهم جلسات سرية ولا دهاليز مظلمة يعقدون فيها الاجتماعات للمكر بالأمة ولحفر الحفر ولفعل الدسائس، وإنما يدعون إلى منهج واضح منهج قويم هو كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ**، كل الناس في أيديهم وإلى سنة رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الذي به سعادة الأمة الحاكم والمحكوم، الكبير والصغير، الغني والفقير، إذا: دعوتهم واضحة جلية لا خفاء فيها، ليس عندهم أمور يتكتمون عليها، فلا يتكتم أحد إلا على باطل، أما الحق فهو واضح فهو صراط مستقيم ودين قويم: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ [الأَنْعَام: ١٥٣]، هذا صراط

الله، هذا دين الله، هذه عبادة الله التي يجب على العباد أن يسلكوها، دعوة أهل السنة للناس أجمعين أن يتمسكوا بشرع رب العالمين، لا يريدون منهم جزاءً ولا شكورًا، ولا نوالًا، ولا دنيا، ولا يُطمعون الناس بدنيا، لا يقولون لهم: كونوا معنا حتى نعطيكم الأموال ونصرف لكم الوظائف الدنيوية والرتب العسكرية والأماكن والجاه، وإنما يقولون لهم كما قال نبيهم: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا»، تمسكوا بدين الله واعتصموا، تمسكوا بعقيدتكم حتى تكونوا على خير في الدنيا والآخرة، اعتصموا بشرع رب العالمين: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

إذا: هذه بعض صفات هذه الدعوة المباركة التي أشار إليها نبينا ﷺ في هذا الحديث العظيم، وكما سمعتم أن هذه الطائفة وهذه الفرقة الناجية من عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ بإذنه سبحانه وتعالى ليست محصورة في العلماء، ولا بأئمة المساجد والخطباء، ولا بحفاظ القرآن وإنما من سلك هذا السبيل فهو من أهلها ولو كان يُنظف الشوارع أو يعمل في المزارع أو يعمل في أي مكان ما دام على هذا المنهج القويم، ولا فرق بين الطائفة المنصورة والفرقة الناجية فهما شيء واحد، وإنما فرق بينهما بعض أهل الأهواء فهم منصورون وهم ناجون بإذن الله تبارك وتعالى، ومن تمسك بدين الله نُصر، ومن تمسك بدين الله عَزَّ وَجَلَّ نجى، وما أكثر الصفات الحميدة التي هي مذكورة في كتاب الله وفي

سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ وإنما هذه بعضها، والحليم تكفيه الإشارة وهي متشورة في القرآن والسنة.

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه: أن يجمع شمل الأمة الإسلامية على كتابه العظيم وسنة نبيه الكريم على طريق سلف الأمة القويم، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبارك الله فيكم.



[١٢] خَطَرُ الْإِحْدَاثِ فِي الدِّينِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ عَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

مجالس الذكر التي هي مجالس الملائكة كما قال ابن القيم في الوابل الصيب، قال: (مجالس الذكر هي مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة والإعراض هي مجالس الشياطين)، وكيف لا تكون مجالس الذكر مجالس الملائكة والله عَزَّ وَجَلَّ قد أكرم أصحابها فذكرهم في الملأ الأعلى عند ملائكته سبحانه وتعالى، وسخر الله عَزَّ وَجَلَّ الملائكة لخدم هؤلاء الذاكرين الشاكرين، تحف مجالسهم بأجنحتها، وفي حديث صفوان بن عسال: قال عليه الصلاة والسلام: «وَأِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ»، تتواضع له ملائكة الرحمن، الذين خلقهم الله عَزَّ وَجَلَّ من نور لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وإذا بهم يتواضعون لمن يحرص على الخير، والعلم، والذكر، والعبادة، والطاعة.

أيها الإخوة المؤمنون، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]،

هذه الآية أنزلت على النبي ﷺ في حجة الوداع في العام العاشر وهو واقف بعرفة وكان في يوم الجمعة، ولم يعيش النبي ﷺ بعدها إلا نحو ثمانين يوماً، فبين الله عَزَّ وَجَلَّ أنه قد أكمل دينه وأتم نعمته ورضي لهذه الأمة هذا الإسلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فدين الله عَزَّ وَجَلَّ كامل لا يحتاج إلى تكميل، ودين الله عَزَّ وَجَلَّ شامل لا نقص فيه، ودين الله عَزَّ وَجَلَّ باقٍ إلى قيام الساعة؛ ولهذا إذا نزل عيسى بن مريم آخر الزمان إنما يحكم بالإسلام، لا يأتي بشريعة جديدة، بل ولا يحكم بشريعته التي بُعثَ بها وهي شريعة الإنجيل، يحكم بشريعة الإسلام؛ ولهذا قال بعض أهل العلم: ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم اثنين من الصحابة بأسمائهم أولهم: زيد بن حارثة، وثانيهم: عيسى بن مريم، فله شرف النبوة، وله شرف الصحبة، فإنه لقيَ النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في ليلة الإسراء والمعراج مؤمن به وهذا تعريف الصحابي، وفي آخر الزمان يدعو إلى الإسلام ويحكم به ويعمل به، فله شرف النبوة وله شرف الصحبة.

إذا فدين الإسلام دين كامل لا نقص فيه، ودين باقٍ إلى قيام الساعة، ودين حاكم على الأديان الماضية وناسخ لها؛ ولهذا قال الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وفي

هذه الآية يقول الله جل وعلا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، أي نعمة أعظم من هذه النعمة؟ أن أكمل الله عزَّ وجلَّ لهذه الأمة دينها فلا تحتاج إلى رأي، ولا إلى فكر، ولا إلى قول من أقوال البشر، وإنما ترجع إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وهذه الآية تدلنا وتحثنا على أن نتحلى بالقناعة بهذا الدين العظيم فنرضى به كما رضى الله عزَّ وجلَّ لنا، وتنشرح صدورنا به ونطمئن له، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢]، ويقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، الواجب على المسلم: أن ينشرح صدره للإسلام، وأن يطمئن له، وأن يرضى به وإن كانت نفسه ربما تجره إلى معصيته، وإلى مخالفته، وإلى التعدي لحدوده، وإلى التمرد على أحكامه فإن النفس أمارة بالسوء؛ ولكن يجب أن يعتقد العبد أنه لا سلامة له، ولا سعادة له، ولا نجاة له إلا بهذا الإسلام؛ لأنه دين ارتضاه علام الغيوب، واختاره مالك الملك الذي بيده مقاليد كل شيء، الذي أوجد العباد من العدم وأمدهم بكثير من النعم، الذي خلقهم في هذه الدنيا ابتلاءً وامتحاناً واختباراً، فقال سبحانه في كتابه الكريم: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ١-٢].

إذا فلا بد أن ينشرح الصدر، وأن يطمئن القلب، وأن ينتقاد العبد وما سُمِّيَ المسلم مُسلمًا؛ إلا لأنه يستسلم لأمر الله جل وعلا وينقاد له ويرضى به؛ ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، قال أهل التفسير: أي خذوا الإسلام من جميع جوانبه فلا تأخذ ما تشتهي نفسك وتترك ما تجد فيه شيئًا من المشقة، مع أنه ينبغي أن يُعلم: أن دين الإسلام ليس فيه من المشاق التي حُمِّلَهَا أهل الكتاب قبلنا، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ كلفنا دونما نُطِيق، ولا يُقال: كلفنا ما نطيق، بل كلفنا دونما نُطِيق، ومع ذلك يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧]، ويقول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في البخاري عن أبي هريرة: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»، فهو دين اليسر، ودين السعادة، ودين الطمأنينة، ودين الراحة، ودين الفوز في الدنيا والآخرة؛ ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وفي هذه الآية يقول الله تبارك وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فكانت هذه الآية العظيمة قاطعة كل طريق وممانعة كل سبيل يتسلل من خلاله أهل الباطل، وأهل البدع والأهواء، وأهل الخرافات والخزعبلات الذين يبتدعون في دين الله

تبارك وتعالى، ويُضيفون البدع إلى دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** فإن هذه الآية تؤذن بضلالهم وتُبين باطلهم، فإن من ابتدع في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** يطعن في قول الله في هذه الآية حيث بين ربنا سبحانه وتعالى: أنه قد أكمل دينه فيأتي من يُريد أن يُكمله، ومن يُريد أن يزيد فيه، ومن يُريد أن يُحدث فيه.

ولهذا معاشر المؤمنين أوتي أهل الإسلام من هذا الباب حين تركوا كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** وراء ظهورهم وابتعدوا عن سنة محمد **ﷺ** ثم سلكوا طريق البدع واختلقوا الأقوال والأفعال التي يتعبدون بها بغير حجة ولا برهان من السنة والقرآن فضل كثير من الناس، وانحرف كثير من الناس وإلا فإن الله **عَزَّ وَجَلَّ** قد أوضح للعباد طريقهم، وقد أنار لهم سبيلهم وبين لهم ما ينفعهم وما ينتفعون به في الدنيا والآخرة، وحذرهم سبحانه وتعالى ما يضرهم، بين لهم أن دينه كامل شامل وأنه صالح لكل زمان ومكان، فمن أعرض عنه إلى البدع واخترع غيره من الشبهات والشهوات فإنه ينال ربما العقوبة في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد كما بين الله جل وعلا في كتابه الكريم.

ولما كان الرعيل الأول في زمن النبي **ﷺ** لا يُقدمون شبرًا ولا يؤخرون مثله في باب عبادة الله **عَزَّ وَجَلَّ** إنما يقفون عند الآية والحديث لا يقدمون ولا يؤخرون، سمع وطاعة، إذعان وإقبال، تقيد وانضباط؛ بأوامر الله جل وعلا وبأوامر رسوله **ﷺ** أكرمهم الله وأعلى شأنهم، ورفع مكانتهم، وخلد ذكرهم، وها نحن على مر العصور إذا ذُكر الصحابة الكرام ذُكر الخير، وذُكر

العز، وذُكِرَ المجد، وذُكِرَت الجنة، وذُكِرَت الأعمال الصالحة؛ لأنهم ما كانوا قومًا يتدعون في دين الله ولا يحدثون، ولا يُخالفون بل يتقيدون في الأقوال والأفعال، والمعتقدات والمعاملات، وينضبطون بما يأمرهم به نبيهم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

لما أنزل الله **عَزَّ وَجَلَّ** على نبيه: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، جاءوا إلى النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وجثوا على ركبهم وقالوا: يا رسول الله كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نَطِيقُ: الصلاة، والصيام، والجهاد، وقد أنزل الله عليك هذه الآية ولا نطيقها، يُحَاسِبُونَ عَلَى مَا فِي ضَمَائِرِهِمْ، فقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «تُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، مع أنه شيء فوق طاقتهم وقدرتهم ولكن قالوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، فلما خضعت بها ألسنتهم وذلت، أنزل الله **عَزَّ وَجَلَّ** بعدها ما ينسخها ويرفع حُكْمَهَا تَخْفِيفًا وَرَحْمَةً: ﴿أَمَنْ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ثم أنزل الله بعدها: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ

مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٨٦﴾، فصار العبد بعدها لا يُحاسب على ما في نفسه إلا إذا أحدث أو كتب أو تكلم، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسَّوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلِّمْ»، متفق عليه من حديث أبي هريرة **رضي الله تعالى عنه وأرضاه**.

هكذا كان الصحابة **رضي الله تعالى عنهم** فأكرمهم الله ونصرهم على أعدائهم فصار جيلهم خير جيل وقرنهم خير قرن، قال النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ»، ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فانظروا عباد الله كيف خلد الله **عَزَّ وَجَلَّ** ذكرهم وأثنى عليهم الشاء الحسن لا لجمالهم، ولا لأموالهم، ولا لملكهم، ولا لبنائهم؛ وإنما لتعظيمهم لشرع الله جل وعلا؛ ولتقيدهم بكتاب الله وبسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

ولما مرت الأيام وانقضى عصر الصحابة ودخل الناس في عصر بني أمية ومات الصحابة واحدًا بعد واحد، ثم جاءت الخلافة العباسية، ثم مرت الأيام والأزمان وإذا بالمسلمين يبتعدون ويتخلفون عن كتاب الله وعن سنة رسوله **ﷺ** شيئًا فشيئًا حتى أصابهم ما أصابهم من الضعف والخور، وتسلبت الأعداء، وتمزق الأشلاء، وتفكك الأخوة، وذهب الهيبة، وحصول الضعف وغير ذلك من البلايا والرزايا التي يتألم كل مؤمن في أيامنا وقبل ذلك وبعد ذلك، هذا كله؛

لأن كثيراً من الناس ما عظموا شرع الله **عَزَّ وَجَلَّ** كما أراد الله، وما تقيدوا بكتاب الله وبسنة رسوله **ﷺ** كما أراد الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا يا أيها المسلم اعلم إن من أشد ما يخاف المؤمن على نفسه: أن يقع في البدع فإن البدع أمرها خطير، وضررها جسيم، وعواقبها وخيمة في الدنيا والآخرة، عقوبات البدع حسية ومعنوية، رُبَّ رجل يُتعب نفسه ويُنفق ماله، وهكذا يمضي شبابه وقوته في أمر يظنه من العبادة والطاعة وهو واقع في البدعة، فلا يجد من وراء ذلك أجراً ولا ثواباً، بل ربما تنتظره العقوبة من الله تبارك وتعالى؛ لأنه خالف سنة محمد وابتعد عن شريعة الله جل وعلا؛ ولهذا جاء التحذير الشديد والوعيد الأكيد لمن وقع في البدع ووضعها مكان السنن، لمن ترك طريقة محمد **عليه الصلاة والسلام** ثم اخترع طُرُقاً من عند نفسه أو آراء وأهواء وجدها كان عليها الآباء والأجداد: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، هذه طريقة أهل الشرك التي ذمها الله سبحانه وتعالى، وأما المؤمن فهو الذي ينقاد لشرع الله **عَزَّ وَجَلَّ** أينما سمع الدليل اتبعه، وأينما عرف الحق اعتنقه.

ولهذا فإني ذاكراً في هذا المقام بعض عقوبات البدع وأهلها، علنا أن ننتفع بذلك ونحذر من ذلك، فإن من الناس من يقع في البدع فإذا نُصِحَ أو وعظ قال: الله غفور رحيم، وكله خير، وزيادة الخير خير، وهذه عبارة ليست مقبولة، فزيادة الخير إن كانت من شرع الله فهي خير، وإن لم تكن من شرع الله فهي شر ليست خير بل هي شر؛ لأن الله يقول في الآية المتقدمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿[المائدة:٣]﴾، ولهذا يقول ابن القيم **رَحِمَهُ اللَّهُ** كما في إغاثة اللهفان، وهكذا غيره من أهل العلم: (ما ابتدع الناس بدعة في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** إلا وأضاعوا مكانها سنة)، ولو فتشت عن البدع لا تذهبوا بعيدًا فتش عن البدع التي تراها قريبًا منك في قريتك، أو في مسجلك، أو في زملائك، أو في عشيرتك ترى أنهم ما وقعوا في تلك البدع إلا وقد تخلوا عن عشرات السنن مكان تلك البدع؛ لأن الله **عَزَّ وَجَلَّ** أعلم وأحكم وأرحم؛ ولهذا شرع لنا هذا الدين الذي يصلح في كل زمان ومكان، يصلح للكبير والصغير، وللذكر والأنثى، وللقوي والضعيف، وللأمر والمأمور، يصلح لصاحب الجبل كما أنه يصلح لصاحب الساحل، يصلح لصاحب المدينة كما أنه يصلح لصاحب القرية والريف، يصلح للمسافر والمقيم، ويصلح للصحيح والمريض.

ولهذا معاشر المؤمنين البدع تجر صاحبها إلى الردى، تجره إلى الشر يومًا بعد يوم، وربما خرج من الإسلام وهو لا يشعر، فقد جاء في كتاب القدر للإمام الفريابي: عن ابن سيرين **رَحِمَهُ اللَّهُ** أنه قال: أكثر الناس ردة أهل الأهواء، من وقع في البدع فإنه يتدرج فيها وربما يصل به الحال إلى أن يخرج من ملة الإسلام والعياذ بالله، وما قصة عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** مع أولئك الناس في بعض مساجد الكوفة عنكم ببعيد، التي رواه الإمام الدارمي في مقدمة سننه بسند صحيح: أن أبا موسى الأشعري دخل مسجدًا من مساجد الكوفة فوجد جماعة مجتمعين على شكل حلقة ومعهم رجل وفي أيديهم حصى وهو يقول: سبحوا مائة، كبروا مائة،

أحمدوا مائة، وهم يكبرون ويُسبحون، فاستنكر أبو موسى ثم انطلق إلى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال له: يا أبا عبد الرحمن رأيت في مسجد كذا وكذا، وما رأيت إلا خيراً، فقال له: هَلَّا قلت لهم: يعدوا سيئاتهم فإني ضامن ألا يضيع من حسناتهم شيء، ثم انطلق عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودخل المسجد وصاح في أولئك الذين يُسبحون في الحصى وقال لهم: يا أيها الناس لقد فقتم أصحاب رسول الله علماً أو أنكم جئتم ببدعة ظلمي، هذه آية رسول الله ﷺ لم تُكسر، وثيابه لم تبلى وقد أحدثتم في دين الله ما أحدثتم، أما كان النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يستطيع أن يُسبح بالحصى؟ بلى إنه كان يستطيع، أما كان النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يستطيع في زمنه أن يصنع المسابح ويُسبح بها؟ كان يستطيع، لكنه علمنا أن نسبح بأناملنا، فكان التسبيح بالحصى بالبدعة، والتسبيح بتلك السبحات بدع وخرافات، فقال لهم: إما أن تكونوا قد فقتم أصحاب رسول الله علماً، وإما أنكم جئتم ببدعة ظلمي وهذا هو الثاني، أما الأول فبعيد أن يفوقوا أصحاب النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن والله ما أردنا إلا الخير، فانظر كيف يُزين الشيطان لصحاب البدعة أنه يُريد الخير ويترك طريقة محمد ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ التي لا نجاة للعباد إلا بها، ولا وصول إلى الجنة إلا منها: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

قالوا: يا أبا عبد الرحمن والله ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مُريد للخير لا يُدرکه؟ إذاً فعليك أن تزن أعمالك، وأقوالك، وعباداتك، ومعتقداتك بميزان الكتاب والسنة؛ لتنظر هل أنت على طريقة محمد ﷺ، أم أنك قد وقعت في البدع.

قال الراوي عن عبد الله بن مسعود: والله لقد رأينا أولئك الذين كانوا يُسبحون بالخصى يطاعنوننا يوم النهروان، ويوم النهروان معركة بين علي بن أبي طالب ومن معه من الصحابة الكرام والخوارج، صار الذين يُسبحون بالخصى من فرق الخوارج يُقاتلون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

إذا فالبدعة تجر إلى البدعة، وربما تجر إلى الكفر والعياذ بالله؛ لأن البدعة زيغ عن الحق؛ ولهذا قال النبي ﷺ في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لما ذكر قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللَّهُ فَأَحْذَرُوهُمْ».

إذا فالذي يترك السنة ويترك الدليل من القرآن ثم يتبع البدع والأهواء والشبهات هذا دليل على زيغه وانحرافه والعياذ بالله، وهكذا معاشر المؤمنين كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُبغضون البدع أيها بغض، ويُبغضون أهلها مع أنه في ذلك

المجتمع لم يكن للبدعة راية، ولم يكن لأهل البدع صولة ولا جولة ومع ذلك كلما سمعوا شيئاً خُشي أن يكون من الأحداث نهروا صاحبه وزجروه وأدبوه وعظموا دين الله تبارك وتعالى.

كان رجل في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، يُلقب على الناس المتشابه من القرآن فيتشكك بعض الناس، يقال له: صبيغ بن عسل وكان من أهل الكوفة، فسمع به عمر رضي الله عنه فأراد أن يؤدبه ولكنه ما وجدته، وفي ذات يوم رآه في مجلس وإذا به يتحدث مع الناس ويُلقب عليهم المتشابه، فناداه عمر وقال له: تعال، من أنت؟ قال: أنا صبيغ بن عسل، قال: أنت الذي تُلقب على الناس المتشابه؟ قال: نعم، قال: وأنا عبد الله عمر، ثم أخذ عرجون من عراجين النخل وجعل يضربه في رأسه حتى أغمي عليه وحتى سال دمه، ثم أفاق بعد ذلك، فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت تريد أن تقتلني فأحسن قتلتني، وإن كنت تريد أن يذهب ما في رأسي فقد ذهب، فقال عمر رضي الله تعالى عنه بعد ذلك: أرسل معه من قومه إلى الكوفة فقال: يرجع إلى الكوفة ويُحمل على حمار ويُدار به في أسواق الكوفة ويقال للناس: هذا صبيغ بن عسل الذي كان يُلقب على الناس المتشابه، قد وضعه أمير المؤمنين عمر فلا يُرفع بعد اليوم.

هكذا خمد للبدع ولأهل البدع، وللباطل ولأهل الباطل؛ لأن البدعة ضرر وما تضررت الأمة الإسلامية إلا من البدع ومن دعائها الذين ينخرون في جسدها

من الداخل، وهكذا يدخلون في قواعدها وأسسها باسم الإسلام وهم يدعون إلى البدع والخرافات وإلى مخالفة طريقة النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

البدع يا معاصر المؤمنين شر لا خير فيها، وضلالة لا هدى فيها؛ ولهذا جاء في "صحيح مسلم" من حديث جابر بن عبد الله **رضي الله تعالى عنه**: أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** كان إذا خطب الناس قال: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى، هَدْيُ مُحَمَّدٍ **ﷺ**، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ».

يا ترى هل كان الصحابة عندهم بدع؟ لا والله، ومع ذلك يُكرر في كل خطبة ويقرر هذه العبارة: «فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»؛ لتعلم أيها المسلم خطورة البدع، إذا كان يُحذر منها في مجتمع ما عرف البدع وفي كل جمعة، وفي أكثر المواعظ والخطب وهو يُكرر هذه العبارة.

وفي حديث العرباض بن سارية: «وإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»، فليس من البدع ما هي هدى، وليس من البدع ما هي استقامة، فـ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»، فالذي يأتي بالبدع ثم يقول: هذه بدعة حسنة، هذه ليست من البدع الحسنة، إنما هي من البدع الحسنة يُقال له: أخطأت إستك الحفرة فقد خالفت النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** فإنه يقول: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، وأنت تقول: هناك من البدع ما هي حسنة، كلما خالف شرع الله **عَزَّ وَجَلَّ** ليس فيه خير ولا هدى ولا حسنات،

وإنما هو شر وضلالات؛ ولهذا جاء عند الإمام الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وجاء من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شَرَّةً، وَلِكُلِّ شَرَّةٍ فِتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى سُتَيْبٍ فَقَدْ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ»، إذا فمن خالف السنة وقع في الضلال.

فالبدع ضلال، والبدع شر، والبدع توصل إلى النار: «وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»؛ ولهذا قال النبي **ﷺ** في حديث عوف بن مالك وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وآخرين: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «الجماعة»، وفي رواية قال: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي».

إذا فالبدع أمرها خطير، قد توصل صاحبها إلى النار، والمبتدع عمله الذي ابتدع فيه مردود عليه لا ينال من ورائه أجرًا ولا ثوابًا.

فوا حسرتاه على أقوام ينفقون أموالًا طائلة وهي في ميزان سيئاتهم، ويا حسرتاه على رجال ربما يقضون أعمارًا طويلة في بدع وخرافات وهي في ميزان السيئات، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

جاء في "الصحيحين" من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال النبي ﷺ: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا، أَي: في ديننا، في إسلامنا، في عبادتنا: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ»، ومعنى: «رَدٌّ» أي: مردود.

فانظر يا عبد الله إلى ما تقوله وتفعله، هل هو من دين الله عَزَّ وَجَلَّ؟ هل فعل ذلك الصحابة الكرام؟ وهل تأسوا بالنبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟ أم أن هذه طريقة مخترعة وأقوال مبتدعة، ولو لم تكن أحدثتها ولكن عملت بها، فقد جاء في رواية الإمام مسلم: قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، فقد يأتي بعض المتحذلقين فيقول: هذه بدعة قد أحدثت من زمن قديم ولم أحدثها اليوم، يقال له: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

إذا: فالبدع خطيرة وعواقبها جسيمة، ربما يُطرد العبد من رحمة الله تبارك وتعالى بسبب البدع والإحداث، جاء في صحيح الإمام مسلم: من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحِدًا»، الذي يؤوي المحدثين، سواء كان الذين يحدثون في شؤون الأمة العظمى من الجرائم والمنكرات، أو الذين يحدثون في دين الله عَزَّ وَجَلَّ، الذي يؤويه يكون ملعونًا فكيف بصاحب البدعة؟ إذا كان الذي يؤويه وينصره أو يدافع عنه أو يُناصره أو يقف في صفه ملعون على لسان رسول الله ﷺ فكيف بصاحب البدعة؟ ولهذا قال النبي ﷺ في حديث علي وهو يذكر فضل المدينة: «فَمَنْ

أَحَدَتْ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحَدَّثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، سبحانه الله هو يصنع البدع يُريد حسنات، يريد الأجر، ربما تكون صلاة، ربما يكون صيام، ربما يكون شيء من الذكر؛ لكنه يُخالف الشريعة الإسلامية، يُريد الأجر وإذا به ربما يُطرد من رحمة الله تبارك وتعالى، ما أشده من عقوبة، وما أعظمها من بلية؟

يا أيها الناس، ما أكثر تساهل العباد، لو أن أحدنا بنى بيتًا من بيوت الدنيا يسكنه ويعيش فيه؛ لرأيت أنه يحرص على بنائه وإتقانه يُراقب الذي يبني من أول يوم، فإن خالف شيئًا عاقبه وخاصمه وربما أزاله وأتى ببناء آخر، ثم يُتابع الذي يضع الاسمنت، ويُراقب صاحب الكهرباء، ثم بعد ذلك الذي يضع السقف، وهكذا الذي يضع البلاط وغير ذلك من الأعمال، لا يريد أن يُغش في منزل يسكنه من الحجارة والاسمنت، لكنه لا يُبالي في دين الله، ولا في عبادة الله، ولا في عقيدته التي هي رأس ماله، المهم يمشي إلى الأمام سواء وقع في البدع، أو في الخرافات، أو في المخالفات، ففي هذا الباب الذي هو أعظم وأجل شيء يجب أن يُحافظ عليه: الله غفور رحيم، وأما في أمور الدنيا فهو ذكي وفطن لا يرضى لأحد أن يغشه ولا أن يزيد عليه على مستوى كيلو من البطاط أو كيلو من اللحم يتفقدته ويحرص عليه ويسعى إلى أن ينتقي الأجود منه ولا يرضى لأحد أن يُغالطه ولا أن يغشه، لماذا يا معاشر المؤمنين صارت أمور الدنيا عندنا أعظم من أمور دين الله تبارك وتعالى؟

البدع والخرافات من عقوباتها: أن من وقع فيها وأصر عليها وعاند بعد أن يُنصح ويُبين له قد لا يوفق للتوبة، يقول سفيان الثوري **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها)، صاحب المعصية يخجل ويستحي، وربما يعرف أنه على خطأ، وقد يتوب الله عليه يومًا من الأيام، وقد يقبل النصيحة؛ ولكن صاحب البدعة يُناضل من أجل بدعته تقول له: هذه بدعة، فيقول: أنت المبتدع جئتم بدين جديد، هذا هو الدين الصحيح، هكذا يقول سفيان الثوري.

وفي "مسند الإمام أحمد": من حديث أنس بن مالك بسند صححه العلامة الألباني: أن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** قال: «إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ»، ما أشد هذه العقوبة؛ ولهذا ترى كثيرًا أن أصحاب البدع لا يرجعون عنها حتى يموتون، لا يرجعون عن بدعهم إلا ما شاء الله، إلا من رحم الله: «إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ».

بل جاءت الأخبار النبوية والآيات القرآنية: أن صاحب البدعة عقوبته شديدة في الدار الآخرة، فقد جاء في "الصحيح" من حديث عبد الله بن مسعود، وجاء عن ثوبان وغيره عن جماعة كثيرين بحديث متواتر: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وصف حوضه المورود والناس يشربون منه في عرصات القيامة، الحوض المورود الذي ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، طوله شهر وعرضه شهر، وزواياه سواء، آنيته كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربةً لا

يظماً بعدها أبداً، قال: «أَلَا وَإِنَّهُ سَيَجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّالِ»، يُمنعون من الشرب من الحوض، من أمة محمد ليسوا من اليهود ولا من النصراني، قال: «فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ»، أنت مت يا محمد وهم أتوا بالبدع والخرافات تركوا السنة وراء ظهورهم، أعرضوا عن القرآن: «فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»، عقوبة عظيمة لمن ابتدع في دين الله تبارك وتعالى، فاحذر يا أيها المسلم وتفقه في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ**، واعلم كيف تعبد الله تبارك وتعالى فإن هذا أمر خطير فدينك رأس مالك ستسأل عنه في قبرك ويقال لك: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ فكيف تكون الإجابة لمن ضيع دين الله وابتدع فيه وخالف أوامر الله فيه.

يا أيها المسلمون: يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** مبيناً حال العباد في عرصات القيامة عند البعث والنشور: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧].

جاء من حديث أبي أمامة في "مسند الإمام أحمد"، وهو في "الصحيح المسند": أن أبا أمامة دخل دمشق فرأى رؤوس الأزارقة قد علقت على درج دمشق، الأزارقة: فرقة من فرق الخوارج، قاتلوا أهل الإسلام فقتل منهم من قُتل في تلك البلدة، ثم أمر بهم فقطعت رؤوسهم ثم علقت في ذلك المكان، فمر أبو أمامة فلما

رأهم بكى ثم قرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وقد جاء عن عبد الله بن عباس كما في تفسير ابن كثير وابن جرير أنه قال: (تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة)، لكنه ضعيف عن ابن عباس بهذا اللفظ فلا يصح؛ لأنه من طريق محرر بن هارون وهو متروك، ولكن صح عن أبي أمامة أنه استدل بهذه الآية على الخوارج لما رأهم في ذلك المكان ثم قال: سمعت النبي صلى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** يقول: «هُؤُلَاءِ شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ هَؤُلَاءِ».

إذاً هذه بعض عقوبات البدع وأهل البدع، فما أحوجنا معاشر المؤمنين إلى أن نتفقه في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** ونستمسك بكتاب الله وبسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَوَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأَنْعَام: ١٥٣].

احذر من البدع، واحذر من دعايتها فإنهم دعاة على أبواب جهنم كما أخبر النبي **ﷺ** من أجابهم إليها قذفوه فيها، وتمسك بشرع الله **عَزَّ وَجَلَّ** حتى تلقى الله وهو راضٍ عنك، عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول فإن الأمر ينجلي وأنت على صراط مستقيم.

ما أعظم هذه الآية لمن عظمها: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فمن رضي بالإسلام

دينًا، وبِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ ربًّا، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا عاش سعيدًا وحميدًا، ولقيَّ الله عَزَّ وَجَلَّ وهو راضٍ عنه بإذنه سبحانه وتعالى.

فما علينا عباد الله إلا أن نحذر من البدع وما يوصل إليها، ونحذر من أهل البدع وأربابها، ومن مجالستهم، ومن الأخذ عنهم، ومن القرب منهم، فر من أهل البدع كما تفر من المجذوم أو أشد من ذلك؛ فإن ضررهم أشد من ضرر الجذام، بل أشد من ضرر السرطان، قال أوس بن عبد الله الربيعي: لأن يمتلئ بيتي قردة وخنازير أحب إليَّ من أن يمتلئ بيتي من أهل الأهواء، فإن صاحب البدعة إما أن يغمسك في بدعته أو أن يلبس عليك دينك فتلقى الله عَزَّ وَجَلَّ وقد غيرت وبدلت، وانحرفت واعوججت.

وأضرار البدع وعواقبها كثيرة، ولكن لا نحب أن نُطيل عليكم، وفقنا الله وإياكم لما يُحب ويرضى، ورزقنا وإياكم البر والتقوى، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



[١٣] أضرار البدع

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ تَعَالَى وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
 أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **صَلَّى**
اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
 [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
 زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ
 أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
 عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ**
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ، وَكُلُّ
 ضَالَّةٍ فِي النَّارِ.

أيها المسلمون: عباد الله، يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** في كتابه الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، هذه الآية العظيمة أنزلها الله **عَزَّ وَجَلَّ** على نبيه محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** وهو واقف بعرفة في حجة الوداع، يُبين الله **عَزَّ وَجَلَّ** فيها أنه أكمل هذه النعمة، أنه أكمل هذا الدين وأتم هذه النعمة على هذه الأمة ورضي لهم الإسلام دينًا، فالخير كل الخير هو فيما اختاره الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وفيما رضىه سبحانه وتعالى لعباده وأمة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، فمن أخذ ما جاء به رسول الله أفلاح ونجح وعاش حياة سعيدة في الدنيا وسَلِمَ من العذاب في الآخرة؛ ولهذا جاء في "صحيح البخاري" من حديث أبي هريرة: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**، قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»، فلا طريق يوصل إلى الجنة إلا التي تركناها عليها نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، ولا دين يحصل به النجاة إلا الذي جاء به محمد بن عبد الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**؛ ولهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، ويقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** أيضًا في كتابه الكريم: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، ويقول الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ

مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿الشورى: ٥٢﴾، فلا طريق توصل إلى الجنة ولا سبيل يُخرج العباد إلى بر الأمان إلا الذي تركنا عليه نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا جاء في حديث عبد الله بن عمرو في "صحيح الإمام مسلم": أنه قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكَرُوهَا»، فما من خير إلا وأرشدنا إليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وما من شر إلا وقد حذرنا منه، أبان لنا الطريق وأوضح لنا السبيل، وتركنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

طريقته صلى الله عليه وعلى آله سلم من خالفها هلك، ومن أعرض عنها عَطِبَ، ومن صد عنها أصابه الشقاء في الدنيا والآخرة؛ ولهذا يقول الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، ويقول الله عز وجل أيضًا في كتابه الكريم: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣]، إذا: ففي مخالفة الحق والبعد عن طريق الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ضلال في الدنيا وشقاء في الآخرة، وعذاب أليم عند الله عَزَّ وَجَلَّ، وكان الواجب على أهل الإسلام بل على الناس كافة: أن يتمسكوا بشرع الله عَزَّ وَجَلَّ ظاهرًا وباطنًا، اعتقادًا وعملاً، قولًا وفعلًا يتمسكون بشريعة

الإسلام حُكامًا ومحكومين، أقوياء وضعفاء، أغنياء وفقراء، رجالًا ونساء، إذا أرادوا السعادة الحقيقية والحياة المطمئنة السعيدة، قال الله جل وعلا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، فهذا هو طريق السلامة، وسبيل السعادة، ودرب النجاة؛ لمن أرادها.

أيها المؤمنون عباد الله، إن في مخالفة طريق المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ يحصل الشقاء في الدنيا والعذاب في الآخرة، ومن ذلك: أحداث البدع المخالفة للسنن، الوقوع في الأهواء والوقوع في البدع فإن الله عَزَّ وَجَلَّ قد أكمل دينه وأتم نعمته ببعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فمن أحدث في دين الله تبارك وتعالى فكأنه بلسان حاله يقول: لا نرتضي شرع الله، لا نرتضي ما ارتضى الله، لا نرتضي ما جاء به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فلذلك يُحدث البدع ويقع في الأهواء وإلا فإن دين الله عَزَّ وَجَلَّ كامل ودين الله عَزَّ وَجَلَّ شامل، ودين الله عَزَّ وَجَلَّ باقٍ إلى قيام الساعة؛ ولهذا يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، دين الله عَزَّ وَجَلَّ يصلح لكل زمان ومكان من بعثة النبي

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى قيام الساعة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمن خالف ما جاء في الكتاب واعترض ما ثبت في السنة وأتى بالبدع والمحدثات فهو على خطر عظيم؛ ولهذا كان الواجب على المسلم أن يتحرى في دينه، وأن يسأل عن عبادته لربه وأن يتفقه في ذلك، فإن من الناس من ربما يخطب خطب عشواء، إذا رأيته في أمور الدنيا يتحرى فيها غاية التحري ولا يرضى أن يغشه أحد في داره، في بناءه، في مأكله، في مشربه، في مركبه، في سيارته، في امرأته، في كل شؤون الدنيا تجد أنه يتحرى غاية التحري ولكن إذا نظرته إلى باب العقيدة والمنهج والعبادة لا يُبالي أصاب السنة أم وقع في البدعة، أكان موافقاً للحق أو مخالفاً له، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا خطر عظيم.

يا أيها المسلم، أو ما علمت أنك أول ما تُفاجأ وأنت في قبرك أنك تُسأل عن هذا الدين العظيم الذي تعتقده والذي تسير عليه يُقال لك في قبرك المظلم، وفي ذلك المكان الموحش: من ربك؟ وما دينك، ومن نبيك؟ فهذا الدين هو أغلى ما يجب أن يُحافظ عليه، ويُعتنى به، ويُحرص عليه، ويُعمل به، ويُتحرى الدين الذي به تدخل الجنة وتكون من المنعمين السعداء أو به تكون في النار من الأشقياء البؤساء، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

من الناس من ربما لا يتحرى ولا يسأل ولا يتأكد في عبادة الله عَزَّ وَجَلَّ، فتراه يتنقل في البدع من بدعة إلى بدعة، فإذا قيل له: اتق الله، هذه من البدع، لربما أجابك بقول بارد: زيادة الخير خير، وهذه عبارة مغلوطة فزيادة الخير إن خالفت

السنة فإنها شر وليست بخير؛ ولهذا يقول ابن الماجشون وغيره من السلف: من ادعى أن في الإسلام بدعة حسنة فقد اتهم محمدًا بأنه خان الرسالة، أو كما قال **رَحْمَةُ اللَّهِ**.

فنبينا هو أحرص الناس على الخير، ما من خير إلا وأرشدنا إليه، وما من شر إلا وقد حذرنا منه، فمن جاء بشيء جديد مُخالف وأضافه إلى دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** فإنه يُخشى عليه أن يكون طاعنًا في رسول الله؛ لأن يدعي أنه أتى بما لم يأت به رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**؛ ولهذا كان هذا الباب بابًا خطرًا ليس من الأمور السهلة يا عبد الله أن تُحدث في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** وإن كنت تظن في نظرك القاصر أن هذا من الخير، جاء عند الإمام البيهقي **رَحْمَةُ اللَّهِ** تعالى، عن سعيد بن المسيب: أنه رأى رجلًا يُصلي بعد أذان الفجر أي: يتنفل ويُكثر من الصلاة، فقال له سعيد بن المسيب: النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** لم يكن يُصلي بعد أذان الفجر إلا ركعتين خفيفتين، فقال له: يا سعيد أيُعذبنني الله على الصلاة، قال: لا يُعذبك على الصلاة وإنما يُعذبك على مُخالفة السنة.

وجاء عن الإمام مالك **رَحْمَةُ اللَّهِ** تعالى: أنه جاءه رجل فسأله عن الإحرام من قبل الميقات، مواقيت الحج والعمرة المكانية التي هي: ذو الحليفة، وقرن المنازل، والجحفة، ويللم، وذات عرق، أراد أن يُحرم قبلها بمسافة، وقد جاء عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** أنه وقتها لمن أراد الحج والعمرة، فقال له: أزيد أميالا في سبيل الله، فقال له الإمام مالك: أخشى عليك من الفتنة، يعني: كأن يكون الميقات في هذه البلدة

فِيُحْرَمُ مِنْ مَدِينَةٍ لَحَجٍّ أَوْ مِمَّا هُوَ قَبْلُهَا، قَالَ: أَحْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، قَالَ: وَأَيُّ فِتْنَةٍ فِي أُمِّيَالٍ أَزِيدُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: أَوْ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣].

إِذَا: فَدَيْنَ اللَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ** لَيْسَ بِالْأَهْوَاءِ، وَلَا بِالْآرَاءِ، وَلَا بِالْعُقُولِ، وَإِنَّمَا هُوَ دَيْنُ أَوْحَاهُ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ** عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ نَسِيرَ عَلَيْهِ كَمَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَفِي سُنَنِ رَسُولِهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**؛ وَلِهَذَا تَسْمَعُونَ أَهْلَ السُّنَنِ دَائِمًا وَأَبَدًا وَهُمْ يُحْذَرُونَ مِنَ الْبَدْعِ، وَمِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ، وَدُعَاةِ الْبَدْعِ، وَالسَّائِرِينَ إِلَى الْبَدْعِ؛ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ ضَرَرَ عَلَى الْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَرُبَ عَمَلٌ تَتَعَبُ فِيهِ بَدَنُكَ وَتُنْفِقُ فِيهِ مَالَكَ وَتُسْتَفْرِغُ فِيهِ قُوَّتَكَ وَجَهْدَكَ وَهَكَذَا وَقَتُكَ وَعَمْرُكَ ثُمَّ لَا يَكُونُ إِلَّا وَبَالًا عَلَى صَاحِبِهِ؛ لِأَنَّهُ يُضَادُّ شَرَعَ اللَّهِ، وَيُخَالِفُ مَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

وَلِهَذَا مَعَاشِرُ السَّامِعِينَ فِي هَذَا الْمَقَامِ نَذَرُ أَنْفُسَنَا وَإِيَّاكُمْ بَعْضُ أَضْرَارِ الْبَدْعِ وَعَوَاقِبُهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ الْبَدْعَ عَوَاقِبُهَا وَخِيْمَةٌ وَأَضْرَارُهَا جَسِيمَةٌ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الْبَدْعَةُ مَا أَحْبَبَهَا عَبْدٌ وَأَشْرَبَ بِهَا قَلْبُهُ إِلَّا وَتَرَكَ مِنَ السُّنَنِ مِثْلَهَا أَوْ أضعَافُهَا؛ وَلِهَذَا يَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (إِذَا اسْتَثْقَلَتِ الْقُلُوبُ بِالْبَدْعِ ذَهَبَتْ عَنْهَا السُّنَنُ)، وَهَكَذَا يَقُولُ أَحْمَدُ بْنُ سَنَانَ الْقَطَّانُ أَحَدُ الْأَئِمَّةِ: (مَا ابْتَدَعَ أَحَدٌ بَدْعَةً فِي الدِّينِ إِلَّا وَنَزَعَ حُبَّ الْحَدِيثِ مِنْ قَلْبِهِ)، وَيَقُولُ حَسَنُ بْنُ عَطِيَّةٍ كَمَا عِنْدَ الدَّارِمِيِّ

في مقدمة سننه: (ما أصاب قوم بدعةً إلا ونزع الله عَزَّ وَجَلَّ من سنتهم مثلها، ثم لا يُعيدُها إليهم إلى يوم القيامة)؛ ولهذا ترى ممن يقعون في البدع يتركون كثيرًا من السنن، لو نظرت إلى أحوالهم وأوضاعهم وأعمالهم لوجدت ما من عمل مُحَدَّث وبدعةً منكراً إلا وكان مكانها سنة من السنن التي تركوها.

أيها المسلمون عباد الله، البدع شر وتجر إلى شر وربما تُخرج صاحبها دائرة الإسلام وهو لا يشعر؛ ولهذا كان النبي ﷺ يُكرر على مسامع الصحابة في كل خطبة يخطبها ويقول لهم: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدْيِ، هُدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا»، هل كان الإحداث في زمن أبي بكر وعمر؟ لا، هل كان الصحابة أصحاب بدع؟ لا، ولماذا يُكرر هذه العبارة في كل جمعة، وفي كل خطبة؟ لتعلم أن الأمر خطير، وأن الأمر جدّ، وأن الأمر شأنه عظيم، قال: «وَيَاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»، رواه الإمام مسلم والنسائي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

البدعة تجر إلى أختها وإلى ما هو أكبر منها وربما خرج العبد من دين الإسلام؛ ولهذا يقول ابن عون رَحِمَهُ اللَّهُ كما في كتاب القدر للفريابي يقول نقلاً عن ابن سيرين: (أكثر الناس ردة: أهل الأهواء)، أكثر الناس ردة عن الإسلام هم أهل البدع؛ لأنهم ينتقلون من بدعة إلى بدعة تدينًا وتعبداً؛ ولهذا جاء عند الدارمي من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه دخل مسجداً من مساجد أهل الكوفة،

فوجد فيها حلقة من الناس ومعهم رجل وعندهم في أيديهم حصى يُسبحون فيها، يقول لهم كبيرهم ومعلمهم: سبحوا مائة، فيسبحون مائة بالحصى، كبروا مائة، احمدا مائة، فرآهم أبو موسى الأشعري فانطلق إلى عبد الله بن مسعود فقال له: يا أبا عبد الرحمن رأيت في مسجد من مساجد الكوفية كذا وكذا وما رأيت إلا خيرًا، استنكر هذا الفعل ولكنه رجع إلى من هو أعلم منه فقال له: هلا قلت لهم يعدوا سيئاتهم فإني ضامن لهم ألا تضيع من حسناتهم شيء، فانطلق عبد الله بن مسعود حتى دخل ذلك المسجد، ثم دخل وسط تلك الحلقة وقال: يا أيها الناس ما أسرع هلكتكم، هذه آية رسول الله ﷺ لم تُكسر، وهذه ثيابه لم تبلى وقد أحدثتم في دين الله ما أحدثتم، إما أن تكونوا قد فقتم أصحاب رسول الله ﷺ، وإما أن تكونوا قد جئتم ببدعة ظلمي، يُسبحون بالحصى ويُريدون الخير، فقالوا له: يا أبا عبد الرحمن والله ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مُريد للخير لا يُدركه.

إذًا: فالميزان كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فكن على حذر أن تُحدث في دين الله عَرَّ وَجَلَّ ما ليس منه، قال الراوي عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله لقد رأينا أولئك النفر الذين كانوا يُسبحون بالحصى يُطاعنوننا يوم النهروان، ويوم النهروان هي معركة بين الخوارج وبين الصحابة والتابعين، بدأوا بالتسبيح بالحصى وإذا بهم بعد ذلك مع الخوارج يُقاتلون أصحاب رسول الله ﷺ، إذًا: فالبدعة تجر إلى الشر، وتجبر إلى ما هو أشر، وربما تُخرج صاحبها من الإسلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها المسلمون عباد الله، يقول سفيان الثوري **رَحِمَهُ اللهُ** تعالى: (البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية)، لماذا؟ قال: (لأن المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها)، صاحب البدعة يعتقدها ديناً فيناضل من أجلها ويصبر عليها ولا يعترف بخطئه بل يستمر على ذلك؛ فلهذا يُحبها إبليس، أما صاحب المعصية ربما يخجل ويستحي، فتارك الصلاة إذا نُصح يقول: إذا هداني الله، وشارب الخمر ربما يشرب الخمر في مكان لا يراه الناس، هذه معصية يكون عنده شيء من الحياء ولعله يتوب يوماً من الدهر، أما صاحب البدعة فإنه يُناضل من أجل بدعته ويُدافع عليها ويستمر عليها، ويرى أنه على الصراط المستقيم، فمن الصعوبة بمكان أن يرجع منها وأن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا جاء عند الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** وحسنه العلامة الألباني: أنه قال **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**: **«إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ»**، قال الإمام أحمد: (أي أنه لا يوفق للتوبة)، وهذا إن شاء الله **عَزَّ وَجَلَّ** تاب عليه ولكنه في الغالب لا يوفق للتوبة؛ ولهذا تجد المجرمين والعصاة والمخالفين كثيراً ما يتوبون ويرجعون إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ولكن أهل البدع والأهواء من الصعب أن يتوبوا إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ**، أحدهم يُعرض على الموت، يُعرض على السيف، يُعرض على النار ومع ذلك لا يتوب ولا يرجع ولعل بعضهم شاهد بعض الرافضة الحوثيين الذين يُقبض عليهم ويُقال له: إما أن تتوب وإما أن تُقتل، فتجد بعضهم يقول: عجلوا بي إلى الجنة، عجلوا بي إلى ذلك السيد وإلى الجنة، وهكذا صاحب البدعة من

الصعب أن يرجع إلى الله سبحانه وتعالى إلا أن يتداركه الله برحمته، وهذا يدل على خطورة البدع، فعلى المسلم أن يتقي الله في عبادته، في منهجه، في عقيدته، في ما يسير عليه فإن الأمر خطير دينك هو الذي تلقى به ربك، دينك هو الذي تفوز به أو تُعذب، دينك هو الذي تدخل به الجنة أو تصير به إلى النار.

البدع يدعو إليها إبليس ويزينها في قلوب أصحابها ويُرغبهم فيها؛ ولهذا يقول نبينا ﷺ كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ - قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ - عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

إذا فاحذر يا عبد الله فإن البدع يُزينها الشيطان، يُرغب الناس فيها، يدلهم إليها، يُسهلها على قلوبهم حتى يثبتون عليها ويستمرون، البدع زيغ عن الحق، وانحراف عن الهدى؛ ولهذا قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في حديث عائشة في الصحيحين: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاَحْذَرُوهُمْ»، إذا فهي دعوة إلى الزيغ والضلال، البدعة كلها شر، كلها ضلال، كلها انحراف، ليس في البدع ما هو هُدى، ليس في البدع ما هو صلاح، ليس في البدع ما هو خير، فنبينا

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ وَإِيَّاكُمْ وَتُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، إذا فكل بدعة ضلالة، (وكل) من ألفاظ العموم، فالذين يقولون في دين الله عَرَّ وَجَلَّ بدعة حسنة وبدعة سيئة قولهم يعارض قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فإنه يقول: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، ليس في البدع ما هو هداية، وليس في البدع ما هو خير، وأما حديث جرير في "صحيح الإمام مسلم": «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ»، فالمراد: من أحيا سنة قد أماتها الناس لا من أتى بالبدع والخرافات، فمن السنن ما قد هُجرت وتُركت وابتعد الناس عنها فمن أحياها وأعادها ونشرها بين الناس فقد سن في الإسلام سنة حسنة، والذي يدل على ذلك هو سبب ورود هذا الحديث فإنه جاء في الصدقة، لما دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الناس الصدقة على أولئك الفقراء، فجاء أولئك بعضهم بكوم من الطعام، وآخر جاء بثياب، وجاءوا بالصدقة حتى صارت كوماً في المسجد فقال: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً» والصدقة مشروعة قبل ذلك، فلم يأت الصحابة بشيء جديد بل الصدقة مشروعة في الملل الماضية، إذاً معنى: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً»، أي: أحيا سنة قد أماتها الناس.

أيها المسلمون عباد الله، البدعة تجعل صاحبها يتعب ولا ينال أجرًا، ولا يُقبل له عمل خالطته البدعة، وما أكثر الذين يتعبون في الدنيا في البدع ويبدلون ربها الأموال الطائلة والعمر الطويل في بدع ومحدثات تُرد عليهم ولا يستفيدون منها، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإن من شروط قبول العمل عند الله **عَزَّ وَجَلَّ**: أن يكون موافقًا لشريعة محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فإذا كان مُخالفًا ومُضادًا ومشاقًا فإنه مردود على صاحبه؛ ولهذا روى البخاري ومسلم في "صحيحهما" من حديث عائشة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا، أي: في ديننا، في سنتنا، في عقيدتنا، في عبادتنا، «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، ومعنى: «رَدٌّ»، أي: مردود عليه، وفي رواية صحيح مسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا»، سواءً أحدث البدعة هو أو عمل بها وكانت موجودة قبل ذلك، «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، أي: مردود عليه.

هنا لتعلم خطورة البدع، وأنه يجب أن يتحرى المؤمن في دينه، في عبادته، في طاعته لربه سبحانه وتعالى حتى لا يتعب وتمر عليه السنين وهو عاكف على البدع والخرافات وهو لا يشعر؛ ولهذا كما سمعتم أنفاً أهل السنة دائماً يُدندنون ودائماً يصيحون في أوساط الناس: احذروا البدع، واحذروا دعاة البدع فإنهم يغشون الأمة ويخدعونها في عقيدتها وعبادتها وهم أشد عليها ضرراً ممن عاداها علناً، فإن الغش في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** خيانة، إذا كان الغش في شيء من البيع والشراء حرام

بأدلة الكتاب والسنة فكيف بالغش في العقيدة؟ وكيف في الغش بالعبادة؟ وكيف بالغش في المنهج؟ وكيف بالغش في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ؟

جاء في "صحيح الإمام مسلم" من حديث أبي هريرة قال: خرج النبي ﷺ يوماً إلى السوق، فمر في السوق وإذا برجل معه كوم من الطعام، فأدخل النبي ﷺ يده في تلك الحبوب، فأصاب أصابعه البلل، فقال: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟»، قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَزَلَ الْمَطَرُ فَأَصَابَ تِلْكَ الْحُبُوبَ فَجَعَلَ الْمَبْلُوطُ مِنْ تَحْتِهَا وَالتِّي هِيَ نَقِيَّةٌ صَافِيَةٌ يَابِسَةٌ مِنْ فَوْقِهَا، قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»، وفي رواية: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّنَا»، إذا كان الذي يغش في كيلو من الحبوب أو كيلو من البطاط أو كيلو من اللحم يقول عنه النبي ﷺ: «فَلَيْسَ مِنَّنَا»، فكيف بالذي يغش الناس في عقيدتهم، وفي عبادتهم، وفي دينهم؛ فلهذا كان الواجب أن يحذر المسلم من البدع ودعاة البدع.

أيها المسلمون عباد الله، البدعة تجعل صاحبها ملعوناً عند الله ولا حول ولا قوة إلا الله، واللعن من الله عَزَّ وَجَلَّ هو الطرد من رحمته؛ لتعلم أن الأمر خطير، جاء في "صحيح الإمام مسلم" من حديث علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: قال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدَّثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»، وقوله: «آوَى مُحَدَّثًا» يشمل أمرين: الأمر الأول: فهو الذي يُحدث في أمور الأمة العامة كالجرائم وغيرها.

الأمر الثاني: الذي يُحدث في دين الله تبارك وتعالى البدع والأهواء، إذا كان الذي يؤويه ويقف إلى جانبه ويُناصره ويُعاضده ملعون فكيف بصاحب البدعة؛ ولهذا قال ﷺ عن المدينة: «المدينة حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحَدِّثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، هذه خطورة عظيمة أن يُلعن العبد وأن يُطرد من رحمة الله تبارك وتعالى، الله **عَزَّ وَجَلَّ** ما أوجدنا في هذه الدنيا إلا ليختبرنا، هل نحن ممن يأخذ دينه أخذًا صحيحًا ويعمل به ظاهرًا وباطنًا، أم ممن يُخالف ذلك فيحدث في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** البدع والخرافات والضلالات وأعظم من هذا: أن منهم من يُضيفها إلى دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** وهذا أشر وأطم، يوم أن تُضاف البدع إلى دين الله، وإلى شرع الله، وإلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله **ﷺ** **عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

أيها المؤمنون عباد الله، البدع ضررها في الدنيا عظيم، وضررها في الدار الآخرة أشد وأعظم، فإن المبتدع والداعي إلى البدع ربما يتبعه فئام من الناس على بدعته وقوله وعلى طريقته ومنهجه فيتحمل أوزارهم يوم القيامة؛ ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]، ما أكثر ما يتحمل أهل البدع ودعاة البدع، ودعاة الهوى، ودعاة الإحداث، ما أكثر السيئات التي يتحملونها يوم القيامة: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»، ولهذا قال ﷺ كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو: «لَا يُنْتَزَعُ الْعِلْمُ انْتِزَاعًا يَنْتَزَعُهُ مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَلَكِنْ يَقْضِيهِ بِقَبْضِ

الْعُلَمَاءُ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»، يأتي يوم القيامة وهو يتحمل هذه الأوزار الكثيرة؛ لأنه دعا إلى البدعة، وغر الناس بالبدعة، وحث على البدعة ولم يتمسك بسنة رسول الله ﷺ **وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.**

المبتدع يوم القيامة يُخشى عليه أن يُطرد من حوض النبي ﷺ، الحوض المورود الذي من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدًا، ذلك الحوض الذي ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وقد يقول قائل: كيف يكون أبرد من الثلج؟ فالثلج ربما يتأذى الناس منه فكيف يكون أبرد ويكون نعيمًا؟ فنقول لهذا: أمور الآخرة تختلف عن أمور الدنيا تمامًا فنؤمن أنه أبرد من الثلج ومع ذلك يكون نعيمًا، أو ما سمعت أن النبي ﷺ يقول: «إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَعْظُمُونَ لِلنَّارِ، حَتَّى يَصِيرَ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ، وَغَلْظُ جِلْدِهِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا، وَضَرْسُهُ أَعْظَمَ مِنْ أَحَدٍ»، أو كما قال ﷺ، فأمور الآخرة تختلف عن أمور الدنيا.

ذلك الحوض المورود الذي أنيته كعدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، وزواياه سواء، يشرب منه أهل الإيمان، قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «إِنِّي لَبِعْقَرٍ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ»، قال: «وَأِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الشِّمَالِ»، من أمة محمد ممن ينتسبون إليه يُمنعون من الشرب من الحوض، «فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ»، ما وقفوا على ما جاء في الكتاب والسنة، ما تمسكوا بما جئت به،

بل أحدثوا وابتدعوا وتجاوزوا وأعرضوا عن الحق، قال: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بِعَدِّكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي».

أيها المؤمنون عباد الله، يوم القيامة إذا عُرِضَ العباد على الله **عَزَّ وَجَلَّ** تسود وجوه أهل البدع والأهواء، وتبيض وجوه أهل الخير والسنة والتوحيد، أهل الطاعة تبيض وجوههم، وأهل البدعة والمعصية تسود وجوههم بقدر معصيتهم وبقدر بدعهم، قال الله جل وعلا: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، جاء عند الإمام أحمد من حديث أبي أمامة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين: أن أبا أمامة مر في دمشق فرأى رؤوس الأزارقة معلقة على درج دمشق، والأزارقة فرقة من فرق الخوارج المبتدعة قُتِلُوا فَعُلِقَتْ رؤوسهم على درج دمشق، فنظر إليهم أبو أمامة صاحب النبي **ﷺ** وبكى ثم قرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، وأما ما جاء عن عبد الله بن عباس وهو مذكور في تفسير ابن كثير عند الآية أنه قال: (تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة)، فهو أثر ضعيف لا يصح عنه **رضي الله تعالى عنه**؛ ولكن يُغْنِي عنه أثر أبي أمامة **رضي الله تعالى عنه وأرضاه**، وهو في "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين".

إذا يا أيها المؤمنون هذا أمر عظيم وجلل: أنه يجب علينا أن نتمسك بشرع الله **عَزَّ وَجَلَّ**، فلا نتجاوز فنصير من المبتدعين فإن من تجاوز غلا وجفا، ولا نُفِرْط حتى نصير من الضائعين المائعين الذين يتخلون عن تعاليم الإسلام، وإنما نتمسك بكتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** وبسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وأن نلزم غرز العلماء الذي يدعون إلى الحق والهدى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا

لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿[الأعراف: ١٧٠]﴾، فإن في مخالفة الشقاء، في مخالفة الحق ضياع، في مخالفة الحق نكد، تعب في الدنيا ويُخشى على صاحبه من العذاب بالآخرة، والتمسك بها جاء به رسول الله ﷺ راحة واطمئنان وسعادة وحياة طيبة في الدنيا ونجاة في الدار الآخرة.

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه: أن يوفقنا وإياكم لما يُحب ويرضى، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجعلنا هداةً مهتدين غير ضالين ولا مُضِلِّين، إنه على كل شيء قدير.

وهذه التي سمعتموها إنما هي بُدْ من أضرار البدع وإلا فإن أضرار البدع كثيرة، فعلينا عباد الله أن نتحرى غاية التحري في كل قول وفعل نأتي به تبعاً لله تبارك وتعالى، كما أننا نحرص على ديانا ألا يُصيبها خلل، فيجب علينا أن نحرص على ديننا ألا يُصيبه خلل.

وفق الله الجميع لما يُحب ويرضى، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبارك الله فيكم.



[١٤] هجر البدع وأهلها

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا،
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ، هَدْيُ مُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى**
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ،
وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها الناس، نحمد الله تبارك وتعالى أولاً وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا على نعمه الكثيرة وآلائه الجسيمة التي لا تُعد ولا تُحصى، والتي يُمُنُّ بها سبحانه وتعالى على عباده تترًا، ليلاً ونهارًا، سرًا وجهرًا: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٣-٥٥].

نحمد الله تبارك وتعالى على أن جمعنا بكم في هذا البيت من بيوته سبحانه وتعالى نتذاكر وإياكم ما يسره الله من كلامه وكلام رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في زمن أقبل الناس فيه على الدنيا وأعرضوا عن مجالس الذكر وحلق العلم إلا من وفقه الله، فيا لها من نعمة إذا وفقك الله **عَزَّ وَجَلَّ** لمثل هذه المجالس التي يُبتغى فيها الأجر والثواب عند الله **عَزَّ وَجَلَّ** بمشيئته سبحانه وتعالى.

أيها الناس عباد الله، يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** في كتابه الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، هذه الآية نزلت على النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وهو في يوم عرفة واقف بعرفة في حجة الوداع، بين الله **عَزَّ وَجَلَّ** أنه قد أكمل الدين وأتم النعمة، وأنه سبحانه وتعالى اختار لعباده هذه الملة واصطفى لهم هذه الدين العظيم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

كل هذه الفضائل جعلها الله **عَزَّ وَجَلَّ** في هذا الدين، وفي هذا الإسلام الذي بعث به النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، جعله الله **عَزَّ وَجَلَّ** دينًا كاملاً، ودينًا شاملاً، ودينًا ناسخًا لجميع الأديان وحاكمًا عليها، ودينًا لن يقبل الله جل وعلا من العباد يوم القيامة إلا هو: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، فهو دين ارتضاه الله، واختاره الله، وشرعه الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]؛ وأهله هم أهل الإسلام؛ ولهذا سمي أهل هذه الملة بأهل الإسلام، قال الله جل وعلا: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: ٧٨]، أي: وفي القرآن، فإذا عَلِمَ العباد: أن دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** كامل وشامل، وأنه دين صالح لكل زمان ومكان، وأنه دين باقٍ إلى قيام الساعة لا ينسخه شيء؛ ولهذا إذا جاء في آخر الزمان ونزل عيسى **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** وهو نبي فإنه يحكم بشريعة الإسلام: يضع الجزية، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويحكم بشريعة الإسلام، فشريعة الإسلام لا تتغير، ولا تتبدل، ولا تُنسخ فهو خاتم النبيين **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، نبينا خاتم النبيين وإمام المرسلين **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، فإذا عَلِمَ العباد ذلك وجب عليهم الاتباع، ووجب عليهم الانقياد، ووجب عليهم الاستسلام لدين الله تبارك وتعالى، ووجب عليهم أن يتعدوا عن الإحداث في دين الله، وعن الابتداع في شريعة الله فإن هذا أمر خطير جد خطير؛ ولهذا فإن السلف يقولون: بأن من ابتدع في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** أو ادعى أن في الإسلام بدعة حسنة فإنه يزعم أن

محمدًا خان الرسالة؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقد بلغ نبينا ﷺ تركنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك؛ ولهذا قال ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كما في "صحيح مسلم" من حديث عبد الله بن عمرو: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَإِنْ أَمَّتْكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكَرُ وَمَهَا»، الحديث.

وهكذا بين لنا نبينا ﷺ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: أنه لا طريق يوصل إلى الجنة إلا من الطريق التي تركنا عليها، روى البخاري في "صحيحه" من حديث أبي هريرة: أنه قال ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»، فقد أُنار لنا السبيل، وأوضح لنا الطريق، ودلنا على المخرج من الفتن؛ ولهذا يقول الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وربنا يقول في كتابه الكريم عن نبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، ويقول الله جل وعلا: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿الشورى: ٥٢﴾، إِذَا عَلِمَ الْعِبَادُ ذَلِكَ وَأَنَّهُ لَا نَجَاةَ لَهُمْ، وَلَا سَلَامَةَ لَهُمْ، وَلَا فَوْزَ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِالْتِمَسْكِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْ الْخُرُوجَ عَنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَطَبٌ وَضَلَالٌ وَهَلَاكٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَلِهَذَا رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ عَنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَجَاءَ أَيْضًا فِي "الصَّحِيحِينَ" مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجُنَادُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذْهَبُ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْلَتُونَ مِنْ يَدَيَّ»، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿النساء: ١١٥﴾، وَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ ﴿النور: ٦٣﴾، أَي: فِي الدُّنْيَا: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿النور: ٦٣﴾، أَي: فِي الْآخِرَةِ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لِأَجْلِ هَذَا الْمَعْنَى الْعَظِيمِ فَإِنْ نَبِينَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ إِذَا خَطَبَ فِي أَصْحَابِهِ أَوْ وَعَظَهُمْ أَوْ نَصَحَهُمْ يُكْرَرُ فِي كُلِّ خُطْبَةٍ وَفِي بَدْءِ كُلِّ مَوْعِظَةٍ وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ: «أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى، هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»، يُكْرَرُ هَذِهِ الْعِبَارَاتُ وَيَحْذَرُ مِنْ

الضلالات وينفر عن الإحداث في الدين في مجتمع ما عرفوا البدع، ولا عرفوا الضلال، ولا عرفوا الانحراف فإنهم يعيشون في زمن الوحي ورسول الله ﷺ بين أظهرهم لا يُشكل عليهم أمر إلا وسألوه ورجعوا إليه؛ ولهذا فإن الله يستنكر على أقوام يكفرون بالله عَزَّ وَجَلَّ والقرآن بين أيديهم والرسول عندهم: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

النبي ﷺ لا يكرر هذه العبارات من فراغ: «وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ»، وهو يُخاطب أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأبا عبيدة، وخالد بن الوليد، وأبا هريرة، والزبير بن العوام، وسائر الصحابة الكرام من المهاجرين والأنصار، وهو يقول لهم: «وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»، كما جاء خارج الصحيح.

إن لخطورة هذا الأمر إنه ليس باليسير عباد الله، الإحداث في دين الله، الابتداع في شرع الله، الخروج عن طريقة رسول الله ﷺ ليس بالأمر الهين؛ ولهذا يبين ﷺ ويعلن للأمة في كل قول وفي كل خطبة: «وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، فليس من البدع ما هو هداية، وليس من الإحداث ما هو شرع، وإنما ذلك كله ضلالات وانحرافات؛ لتعلم عبد الله خطورة البدع على المجتمعات، خطورة البدع على المعتقد الصحيح، خطورة البدع على المنهج القويم.

ولهذا فإني ذاكر في هذا المقام بُدًا من أضرار البدع وعواقب أهلها في الدنيا والآخرة فإن هذا أمر خطير، وما أكثر الذين يُحدثون في دين الله عَرَّ وَجَلَّ ويُخالفون سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يا أيها الناس، إن البدع زيغٌ للقلوب وانحراف لها عن الفطرة السليمة والمنهج القويم؛ ولهذا تقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كما في الصحيحين وهي تذكر قول الله جل وعلا: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»، أي: الزائغون الذين زاغت قلوبهم لم يقتنعوا بالقرآن، لم يقتنعوا بالسنة، لم يقتنعوا بالأدلة المحكمة وإنما يتتبعون المتشابه؛ ليضاربوا بين الأدلة من القرآن والسنة، فهؤلاء هم أصحاب الزيغ الذين حذر الله من طريقتهم ومما هم عليه من الباطل.

يا أيها الناس، البدعة يدعو إليها الشيطان ويرغب فيها ويحببها إلى القلوب، ويسهل أمرها وطريقها إلى النفوس؛ ولهذا يقول سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ وغيره من السلف: (البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية)، قال: (فإن المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها)، صاحب المعصية قد يخجل، قد يأتي عليه يوم من الأيام يندم، إذا نُصح يستحي يعلم أنه قائم على منكر وواقع في معصية، وأما صاحب البدعة فإنه من أجلها يُناضل، ومن أجلها يُجادل، ومن أجلها يُدافع، ويرى أنه على الحق المبين والصراط المستقيم؛ ولهذا يُحبها إبليس ويرغب فيها، ويثبت

أصحابها عليها، ويشجعهم إليها؛ ولهذا جاء من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الإمام أحمد وابن أبي عاصم، وصححه العلامة الألباني، قال: **خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ - قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ - عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأَنْعَام: ١٥٣].**

إذا فإبليس يدعو إلى البدع، ويدعو إلى الهوى، ويدعو إلى مخالفة السنة، ويُرغب في الأحداث في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ**؛ ولهذا ترى كثيرا من الناس إلى البدعة يُسارعون وإلى اعتناقها يُبادرون؛ لكنهم بجانب السنة يتقاعسون وتثقل على نفوسهم إلا من شرح الله صدره وهدى قلبه ووفقه وسدده، وإلا فإن كثيرا من الناس إلى الباطل يُسارعون، إلى الباطل يتنافسون، إلى الباطل يجرون وتثاقل أقدامهم وقلوبهم في السير على الحق إلا من رحم الله جل وعلا.

يا أيها الناس، صاحب البدعة يحمل أوزارا كثيرة بسبب من يُضلهم ومن يكون سببا في انحرافهم، ومن يكون سببا في غوايتهم؛ ولهذا جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: **«لَا يُتَزَعُ الْعِلْمُ انْتِزَاعًا يَنْتَزَعُهُ مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَلَكِنْ يَفْضُضُهُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَقْتَوَا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»**، يُضل في نفسه ويُضل غيره وربما يتبعه الفئام من الناس ويصيد كثيرا من العباد؛ ولهذا يقول

الإمام ابن القيم **رَحْمَةُ اللَّهِ** في كتابه الفوائد:
 (علماء السوء وقفوا على باب الجنة يدعون الناس إليها بأقوالهم ويدعون إلى النار
 بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، قال: فهم
 في الصورة أدلاء وفي الحقيقة فُطَاع طُرق)؛ ولهذا قال الله جل وعلا في كتابه
 الكريم: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ
 بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]، كم يتحمل أئمة الضلال من الأوزار؟
 يوم أن نشروا البدع والأفكار المنحرفة، والعقائد الفاسدة فتبعهم كثير من الناس،
 كم يتحملون من الأوزار بين يدي الله جل وعلا؟

جاء في "صحيح الإمام مسلم" من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**:
 «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ
 أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا
 يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»، جاء نحوه عن ابن مسعود، وجاء عن عمرو بن
 عوف أنه قال **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: «مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ
 مِثْلَ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنَ النَّاسِ، لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِ النَّاسِ شَيْئًا، وَمَنْ ابْتَدَعَ
 بَدْعَةً لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مِثْلَ إِثْمِ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنَ النَّاسِ، لَا يَنْقُصُ
 مِنْ آثَامِ النَّاسِ شَيْئًا»، [الحديث في "ضعيف الجامع" (٥٣٥٩)]، فائمة الضلال، ودعاة
 البدع يتحملون الأوزار الكثيرة بسبب فتاويهم، بسبب دعوتهم، بسبب أقوالهم،
 بسبب بدعهم التي يدعون إليها ويتجلدون لها ويدعون الناس إليها.

وهكذا معاشر المؤمنين، المبتدع ملعون عند الله تبارك وتعالى تُصيبه اللعنة؛ لأن فعله طعن في شريعة الإسلام، الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وهو يُريد أن يزيد في دين الله؛ ولهذا جاء في "صحيح الإمام مسلم" من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدِّثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَازِلَ الْأَرْضِ»، والمحدث في هذا الحديث قد يُراد به: الذي يُحدث في شؤون الأمة من الأمور العامة كالخروج على ولي الأمر ونحوه، أو من يرتكب الجرائم والبدع والمنكرات، فإذا كان الذي يؤويه ويُناصره ويقف إلى جانبه يكون ملعونًا على لسان رسول الله بأن الله لعنه: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدِّثًا»، فكيف بمن يُحدث في دين الله.

وقد جاء في "الصحيح" أيضًا: أنه قال عليه الصلاة والسلام عن المدينة النبوية: «وَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدِيثًا، أَوْ آوَى مُحَدِّثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، تلحقه هذه اللعنة؛ لأن هذا طعن في القرآن وطعن في سنة النبي ﷺ، ربنا يقول في كتابه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وهذا يأتي بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان ولا جاءت في قرآن ولا في سنة النبي ﷺ.

يا أيها الناس، من عواقب البدع، ومن عقوبات أصحابها: أن صاحبها قد يُجرم التوبة ولا يوفق لها؛ ولهذا جاء عند الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك،

وصححه العلامة الألباني: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ اللَّهَ حَبَبَ التَّوْبَةِ عَنْ كُلِّ صَاحِبٍ بِدْعَةٍ، **حَتَّى يَدْعَ بِدْعَتِهِ**»، قال الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (أي أنه لا يوفق للتوبة)، ما أعظم هذا الحرمان، وما أعظم هذه العقوبة؛ لمن يأتي البدع، لمن يدعو إلى البدع، لمن يسير على الأحداث في دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** لا يوفق للتوبة، يأتيه الناصحون يقولون له: يا فلان هذا لا يجوز، هذه بدعة، أنت على أحداث، أنت على مخالفة عظيمة، وربما صاح فيهم وغَضِبَ وقال: أنا على الحق وأنتم على الباطل، يتجلد لباطله، يتجلد لبدعته لا يوفق للتوبة، ولو ربما لو نصحت سكرانًا لاستحي، ولو نصحت تاركًا للصلاة لخنجل وقال: جزاك الله خيرًا، فصاحب البدعة قد لا يوفق للتوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى؛ لخطورة هذا الأمر الذي قَدِمَ عليه وتجراً عليه؛ لأنه لم يرَضَ بشرع الله، لم يرَضَ بكتاب الله وبسنه رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، وإنما اخترع له طُرُقًا وأقوالًا وأورادًا وأفعالًا ومعتقدات من عند نفسه أو أخذها عن بعض ساداته وقاداته كما هو حال أهل البدع وأرباب الضلالات والانحرافات.

يا أيها الناس، أي ضلال أعظم وأشد من أن نجعل شيئًا وننسبه لدين الله جل وعلا وليس من دين الله، وليس من كتاب الله، وليس من سنة رسول الله صلى الله وسلم؛ ولهذا عَظُمَ نكير العلماء من زمن النبي **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** إلى يومنا هذا على أهل البدع، اشتد نكيرهم، وتحذيرهم، وتنفيرهم، وتبديعهم، وهكذا بيان حال المبتدعة في الناس؛ لخطورة الأمر: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ

سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿[الأَنْعَام: ٥٥]﴾، فَإِنَّ هَذَا أَكْثَرُ مِنَ الْإِجْرَامِ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا، الطَّعْنَ فِي دِينِ اللَّهِ وَهَكَذَا الْغَشُّ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

خَرَجَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ إِلَى السُّوقِ، فَمَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَتَلَّتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟»، قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَزَلَ عَلَيْهِ الْمَطَرُ فَلَمَّا ابْتَلَّ بَعْضُ تِلْكَ الْحُبُوبِ خَبَأَهَا مِنْ تَحْتِ، وَجَعَلَ الْحُبُوبَ الْيَابِسَةَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا ضَرَرٌ مِنْ فَوْقِ، فَابْتَلَّتْ تِلْكَ الْحُبُوبُ فَجَعَلَ الْمَبْلُوطَ الْمُتَعَفِّنَ مِنْ تَحْتِ، وَجَعَلَ الْجَيِّدَ مِنْ فَوْقِ، قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي».

فَانظُرُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ، الَّذِي يَغْشَى الْمُسْلِمِينَ فِي شَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ يَقُولُ عَنْهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»، فَكَيْفَ الَّذِي يَغْشَاهُمْ فِي مَعْتَقَدِهِمْ؟ كَيْفَ الَّذِي يَغْشَاهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ؟ كَيْفَ الَّذِي يَغْشَاهُمْ فِي سُنَّةِ نَبِيِّهِمْ؟ كَيْفَ الَّذِي يَغْشَاهُمْ فِي مَنْهَجِهِمْ؟ كَيْفَ الَّذِي يَغْشَاهُمْ فِيمَا يَلْقَوْنَ بِهِ رَبَّهُمْ وَيَكُونُ سَبَبًا لِنَجَاتِهِمْ أَوْ سَبَبًا لِعَذَابِهِمْ وَعِقُوبَتِهِمْ؟ أَلَا يَكُونُ غَاشًّا وَيَسْتَحِقُّ أَنْ يُفْضَحَ وَأَنْ يُحْذَرُ مِنْهُ وَأَنْ يُبَيَّنَّ عَوَارِهُ.

وَهَكَذَا مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ، الْبَدْعَةُ عَقُوبَاتُهَا فِي الْآخِرَةِ عَظِيمَةٌ، كَمَا أَنَّ عَقُوبَاتُهَا فِي الدُّنْيَا شَدِيدَةٌ فَهِيَ فِي الْآخِرَةِ أَشَدُّ؛ وَلِهَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَنْ عَائِشَةَ، وَفِي "صَحِيحِ مُسْلِمٍ":

«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»، وإن كان العامل له والمحدث فيه يظن أنه من العبادة، وأنه من الطاعة؛ لكنه ليس عليه أمر الرسول، وليس على طريقة محمد، وليس في كتاب الله؛ ولهذا فإن من الناس من لبس عليهم إبليس فيقعون في البدع فإذا قال لهم قائل: يا قوم هذه بدعة لا تجوز، قال: هذا خير وزيادة الخير خير، قال أهل العلم: هذه عبارة باطلة عاطلة، فزيادة الخير إن خالفت شرع الله فهي شر وليست بخير، إن خالفت كتاب الله فهي باطل مردود على صاحبها.

فاحذر يا أيها المسلم فإن المبتدع عمله مردود الذي أحدث فيه، يُتعب نفسه، وربما يُنفق ماله، ويسهر ليله، ويُتعب جسده ومع ذلك يكون عمله مردود؛ لأن من شروط قبول العمل: أن يكون موافقاً لشرعية محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، فيكون عمله مردود فكيف يكون حاله بين يدي الله سبحانه وتعالى؟

وهكذا يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** في كتابه الكريم بعد أن أمر بالاعتصام بكتابه وبسنة نبيه، وأمر العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاجتماع على الحق والبُعد عن الفرقة قال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، أي: يوم القيامة من الناس من يبيض وجهه بطاعة الله، بتوحيد الله، بسنة رسول الله، بالعمل الصالح، ومن الناس من يسود وجهه بالشرك، بالبدع، بالخرافة، بالتمرد، بالإجرام، بالمعاصي على حسبه وقدره، جاء عن أبي أمامة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أنه دخل دمشق فرأى رؤوس الأزارقة قد عُلقَت على باب دمشق، والأزارقة فرقة من فرق

الخوارج قتلهم الوالي في ذلك الزمن، فعُلقت رؤوسهم على باب دمشق عبرةً لغيرهم، فلما نظر إليهم أبو أمامة بكى، فقالوا له ما يُبكيك، فتلى هذه الآية: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، أي: تبيض وجوه أهل الحق، وتسود وجوه أهل الباطل، وأما ما جاء من حديث ابن عباس أنه قال: تبيض وجوه أهل السنة، وتسود وجوه أهل البدعة، فإن سنده ضعيف كما ترى ذلك في تفسير ابن كثر.

وهكذا معاشر المؤمنين، يُبين لنا نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: أن الناس من أهل الإيمان يردون على حوضه الشريف، يردون على حوضه المورود، الذي ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، آنيته كعدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، وزواياه سواء، من شرب منه شربةً لا يضمأ بعدها أبداً، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَلَا وَإِنَّهُ سَيَجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِّكَ»، إنها حسرة تعلو هؤلاء القوم في ذلك اليوم يوم أن يكون العبد في صنف قوم أحدثوا في دين الله، وابتدعوا في شرع الله، وخالفوا سنة رسول الله: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِّكَ»، أنت يا محمد لا تدري هؤلاء وقعوا في البدع، هؤلاء أحدثوا في الدين، هؤلاء خالفوا السنة: «إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بِعَدِّكَ»، قال: «فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي».

فانظروا إلى هذه العقوبات عباد الله لخطورة البدع، وعقوبات أخرى دنيوية وأخروية، وإن هذه قطرة من مطرة.

يا أيها الناس، لهذا الأمر الخطير الذي يدب في الأمة فإن أهل العلم ابتداءً بصحابة رسول الله ﷺ قد أجمعوا على هجر أهل البدع، وعلى التحذير منهم، وعلى التنفير عنهم، وعلى البُعد عن طريقتهم، بل كما قال بعض السلف: إذا رأيت مبتدعًا في طريق فاسلك طريقًا آخر، هذا أمر عظيم وأصل من أصول الإسلام، أصل من أصول السلف، أصل من أصول الدعوة السلفية، أصل من أصول أهل السنة والجماعة: مُباينة أهل الباطل، البُعد عن أهل البدع، التحذير من شرهم، التحذير من باطلهم؛ فإن هذا من أعظم القربات ومن أجل الطاعات، فإنهم من أشد الناس غشًا للأمة، كم من أقوام يموتون على البدع بسبب دعاة البدع؟ كم من أقوام يموتون على الرفض؟ كم من أقوام يموتون على التصوف؟ كم من أقوام يموتون على التحزب؟ كم من أقوام يموتون على الشراكيات بسبب دعاة البدع فوجب التحذير منهم؛ ولهذا فإن علماء الإسلام من زمن قديم يذكرون هذا في كتب العقائد ويجعلونه من أصول دعوتهم: هجر أهل البدع، مباينتهم، التحذير منهم، البُعد عن مجالستهم، هذا أصل عظيم لا ينبغي لنا أن نغفل عنه معاصر أهل السنة، فإننا نرى في هذا الزمان تفلتًا وتأخرًا وضعفًا في بعض أهل السنة، نرى فيهم ضعف في هذا الجانب وفي هذا الأصل العظيم.

إن دعوة أهل السنة والجماعة في هذه البلاد الطيبة البلاد اليمنية من أعظم ما قامت عليه: التمييز من أهل البدع، البُعد عن أهل التحزب؛ ولهذا كان شيخنا مُقبل **رَحْمَةُ اللَّهِ**، ولعلكم سمعتم ما كان يقوله من تلك المقالات العظيمة، يقول: ما نصر الله **عَزَّ وَجَلَّ** دعوتنا إلا بالتمييز، أي: بالتمييز من أهل الباطل، من أهل التحزب، من أهل البدع، من أهل الخرافات، ووالله ما قامت دعوتنا ولن تقوم إلا إذا ابتعدنا عن أهل البدع وتميزنا عن أهل الباطل.

واسمع إلى ما جاء عن بعض السلف **رَحْمَهُمُ اللَّهُ** تعالى في هذا الباب العظيم الذي نغفل عنه، يقول ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وإن كان في سنده شيء من الضعف إلا أنه مشهور عن السلف: (لا تجالسوا أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة)، بل كان الأمراء في تلك الأزمان يُعاقبون أهل البدع يمنعونهم من نشر بدعهم يزجروهم، يسجنونهم، يضربونهم، فهذا عمر كما جاء عند الإمام الدارمي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: بلغه عن رجل يُقال له: صبيغ بن عسل كان يُلقي على الناس المتشابه من القرآن يُشككهم في دينهم، فسمع عنه عمر وكان يبحث عنه، وفي يوم من الأيام وصل إليه فقال: له من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ بن عسل، فقال له عمر: وأنا عبد الله عمر، أنت الذي تُلقي على الناس المتشابه؟ قال: نعم، فقام إليه بعرجون من عراجين النخل وجعل يضربه في رأسه حتى سال الدم على وجهه حتى أغمي عليه ثم أفاق، فقال له: يا أمير المؤمنين إن كنت تُريد أن يذهب ما في رأسي فقد ذهب، وإن كنت تريد أن تقتلني فأحسن قتلي، وكان في الكوفة، فقال عمر لمن كان عنده:

خذوه ثم قال: يُحمل على ظهر حمار ويُجعل السواد في وجهه، ويُطاف به في الأسواق ويقال: هذا صبيغ بن عسل الذي وضعه أمير المؤمنين فلا يُرفع بعد اليوم، ففعل به كذلك وانتهى خبره وتُحمدت فتنته وانتهى شره.

هكذا كان السلف، وهكذا جاء عند الدارمي من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه دخل مسجدًا من مساجد الكوفة فوجد أقوامًا مجتمعين حلقًا ومعهم حصى، أحدهم يقول: سبّحوا مائة، كبروا مائة، احمّدوا مائة وهم يرددون بعده، فلما رأى ذلك أبو موسى انطلق إلى عبد الله بن مسعود فقال له: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في مسجد كذا وكذا وكذا، وما رأيت إلا خيرًا، فقال له ابن مسعود: هلا قلت لهم: يعدّوا سيئاتهم فإني ضامن لهم ألا يضيع شيء من حسناتهم، ثم انطلق ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُقْنَعًا حتى وصل إلى ذلك المسجد ودخل في وسط تلك الحلقة وصاح في أصحابها وقال: يا أيها الناس إما أن تكونوا قد فقتم أصحاب رسول الله عَلَيْهِمُ السَّلَام، وإما أن تكونوا جئتم ببدعة ظلمى، أناس يُسبّحون بالحصى يظنون أنهم يفعلون خيرًا، فيقول لهم ابن مسعود هذا الكلام: إما أن تكونوا جئتم ببدعة ظلمى أو فقتم أصحاب رسول الله عَلَيْهِمُ السَّلَام، هذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آتيته لم تُكسر، وثيابه لم تبلى وقد أحدثتم في دين الله ما أحدثتم، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن والله ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مُريد للخير لم يدركه، قال الراوي عن ابن مسعود: والله لقد رأينا أولئك الذين كانوا يُسبّحون بالحصى يُطاعنونا يوم النهروان أي: صاروا مع الخوارج، فإن البدعة تجر إلى البدعة، وربما

تجر إلى الكفر؛ ولهذا قال ابن سيرين كما عند الفريابي في القدر: أكثر الناس ردة أهل الأهواء، فالبدعة تجر إلى البدعة؛ ولهذا انظروا من انشق من أهل السنة والجماعة وكان بداية أمره شيئاً يسيراً كيف يصير حاله يوماً بعد يوم؟ يتخلى عن الحق يوماً بعد يوم، يقع في البدع يوماً بعد يوم، وربما يؤول أمره إلى الكفر، إلى الشرك، إلى مصاحبة أهل الزندقة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهكذا عباد الله، يقول أبو قلابة الجرمي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (لا تجادلوا أهل الأهواء)، حتى المجادلة، أنت لست بحاجة أن تُجادلهم، (لا تجادلوا أهل الأهواء فإني أخشى أن يغمسوكم في بدعتهم، أو أن يُلبسوا عليكم دينكم).

وفي "الإبانة الكبرى" لابن بطة: أن أيوب بن أبي تيممة السخيتاني جاء إليه رجل من أهل البدع فقال له: أكلمك، قال: لا، قال: أكلمك بكلمة، قال: ولا نصف كلمة، وجاء عن ابن سيرين نحو هذا، قالوا له: إنه سيقراً عليك قرآن، قال: إن قلبي ليس في يدي، هكذا كان السلف يبتعدون من أهل البدع، يُحذرون من أهل البدع، يُنكرون على أهل البدع؛ لأن هذا تلبيس في دين الله سبحانه وتعالى.

يلقى الإمام الأوزاعي عبد الرحمن بن عمرو إمام أهل الشام، يلقي عمرو بن عبيد المعتزلي القدري في طريق، فيمد عمرو بن عبيد يده ليصافحه، فقال له الأوزاعي: يا عمرو لو كانت الدنيا كانت المقاربة، الخلاف بين أهل الحق وأهل الباطل ليس على أرض، ولا على مال، ولا على دار، ولا على مناصب؛ ولكنه

الحق، لكنها السنة، لكنه القرآن فلا يجوز التنازل عنه، يا عمرو لو كانت الدنيا
لكانت المقاربة؛ لكنه الدين.

وهكذا يقول أوس بن عبد الله الربيعي أبو الجوزاء **رَحِمَهُ اللهُ** تعالى: لأن يمتلئ
بيتي قردة وخنازير أحبُّ إليَّ من أن يمتلئ بالمبتدعة، القردة والخنازير ماذا تصنع؟
لا يتضرر منها، وإن تضرر ربما تُكسر عليه بعض الأدوات، لكن إذا امتلأ بيته
بأهل البدع فسد منهجه ومعتقده، فسد أبنائه، فسدت أهله، فسد خيره، ابتعد
كثيرًا عن الحق، كهذا كان السلف **رَحِمَهُمُ اللهُ**.

يقول الإمام أحمد **رَحِمَهُ اللهُ** كما في "رسالته إلى مُسَدِّد بن مُسرهد"، يقول له: لا
تُشاور صاحب بدعة في دينك، ولا تُرافقه في سفرك، لا تشاوره حتى المشاورة.

وهكذا يا عباد الله، جاء أيضًا عند أبي نُعيم قال: دخل سفيان الثوري **رَحِمَهُ اللهُ**
يوم الجمعة المسجد ليُصلي فوجد الحسن بن صالح بن حي يُصلي، والحسن بن
صالح من أهل الفقه ومن أهل الدين؛ لكنه زل قدمه فوافق الخوارج في الخروج
على الحاكم، قيل: أنه رجع، وقيل: لا يزال على ذلك، فالتفت سفيان الثوري فرآه
أمامه فقال: نعوذ بالله من خشوع النفاق، ثم أخذ نعليه وتحول إلى مكان آخر،
هكذا زجر أهل الباطل واحتقارهم، وبيان باطلهم حتى يعودوا إلى الله **عَزَّ وَجَلَّ**،
أما المداينة والمجالسة والمصاحبة وهكذا القرب منهم ليس من منهج السلف في
شيء يا عبد الله.

وهكذا جاء عن الإمام البرهاري صاحب "شرح السنة" وهو يُبين خطورة
المتدعة ويقول: مثل أصحاب البدع كمثل العقارب يدسون رؤوسهم
وأجسامهم في التراب ويُظهرون أذنانهم، قال: فإن تمكّنوا لدغوا.

إذا فأهل البدع ليس لهم إلا الزجر، ليس لهم إلا الهجر، ليس لهم إلا البيان
لباطلهم، من أرد أن يُبين له فليُنصح، يُبين له، يُذكر بالله **عَزَّ وَجَلَّ**، وأما من لم
يقبل النصح فحقه أن يُزجر كما زُجر صبيغ بن عسل، حقه أن يُزجر كما زجر
السلف الصالح، وأجمعوا على أنه يُزجر أهل البدع؛ ولهذا يقول الطحاوي **رَحِمَهُ اللَّهُ**
في "العقيدة الطحاوية": (ومن أصول أهل السنة والجماعة: هجران أهل البدع)،
هذه ليست من المسائل الفرعية كما يقول بعضهم، ليست من المسائل السهلة أن
نختل عن عقيدتنا، عن منهجنا، عن سنتنا، عن دعوتنا فنختلط بأهل البدع،
ونُجالس أهل البدع، وننزل عند أهل البدع، ونمشي مع أهل البدع، هذا يضرنا في
دعوتنا، هذا يُضيع ما عندنا من الخير، هذا يُضيع ما عندنا من العلم، هذا يُضيع ما
أكرمنا الله **عَزَّ وَجَلَّ** من السنة والعلم والخير والتميز الذي تركنا عليه شيخنا
مُقبل **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى، الذي ترك كل أهل البدع، تخلى عنه بعض طلابه وهم من
أذكي الناس ومن أحفظ الناس، كانوا من أحب الناس إليه: محمد بن موسى
العامري من حب الشيخ مُقبل له: زوجه بابنته؛ لما كان عنده من العلم، والذكاء،
والفطنة، والحفظ، والاجتهاد في طلب العلم، وهكذا عدد وهلمَّ جر، كم من
الناس الذين كانوا عند الشيخ فلما تحزبوا، ولما خالفوا، ولما تركوا الدعوة السلفية

تركهم **رَحْمَةُ اللَّهِ**، كان أحدهم يُراسله والشيخ في ذلك الزمان لم يكن عنده أنصار كثير ولا أتباع كثير ولا مناصرين، تولى هؤلاء عنه أصحاب جمعية الحكمة، وجمعية الإحسان، فأرسل إليه بعضهم يقول له: يا شيخ إما أن تلحقنا وإلا فإن القافلة تسير، فهل تولى **رَحْمَةُ اللَّهِ**؟ هل تنازل؟ هل قال لهم: تعالوا نجتمع على الغبش والغشش والخلط والخبط؟ لا والله، بل إنه صبر وصابر ودعا إلى الصفاء والنقاء، دعا إلى التميز، دعا إلى التمسك بمذهب السلف، دعا إلى الصبر على هذا المنهج القويم حتى نصره الله، وذاب أولئك، كان يقول لنا **رَحْمَةُ اللَّهِ**: محمد المهدي الذي هو صاحب إِب لا يمشي إلا وصحيح البخاري في إبطه الأيسر، ورياض الصالحين في إبطه الأيمن ثم يقول: يا شيخ إني سأحقق مسند الإمام أحمد، قال: فأين محمد المهدي؟ أو عبد المجيد الريمي؟ أينهم الآن؟ لا مسند أحمد ولا مسند صالح، إنهم يُحققون مسند القطريين، وكان يقول بيده هكذا **رَحْمَةُ اللَّهِ**، إنهم يحققون مسند القطريين.

إذا: فاصبروا يا أهل السنة كما قال الحسن البصري: (اصبروا يا أهل السنة وترفقوا فإنكم أقل الناس)، يقول الأمام الأوزاعي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول فإن الأمر ينجلي وأنت على صراط مستقيم)، رواه الخطيب في "شرف أصحاب الحديث"، ما دمت على الحق فاصبر حتى تلقى الله **عَزَّ وَجَلَّ**.

دعوة أهل السنة والجماعة دعوة صافية نقية لا تقبل الغش فيها ولا الغش ولا الخلل، دعوة ليس فيها غلو وجفاء وإفراط، وليس فيها تفريط وتميع، وتحزب ومخالفة، دعوة صافية نقية من كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** ومن سنة رسوله **صَلَّى الله عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، هذا الذي نسير عليه حتى نلقى الله **عَزَّ وَجَلَّ**، لا نرضى بهذا بديلاً إذا أردنا الخير في الدنيا والآخرة، وأما من ترك ذلك وتتبع بنيات الطريق يمنية ويسرة فإنه يضر نفسه اليوم أو غداً أو بعد غد، وليعتبر بمن مضى فقد ذهب أقوام كثيرون كانوا من حفظة الأمهات الست لما تركوا الدعوة السلفية ومالوا إلى الدنيا وحُطامها، ومالوا إلى التحزبات، ومالوا إلى الآراء، ومالوا إلى الأفكار المنحرفة الهدامة ولم يصبروا على الحق المبين والصراط المستقيم، فضلوا وأضلوا وماعوا وماتت دعوتهم وصاروا في خبر كان ليس لهم دعوة تُذكر.

فالله الله يا عباد الله في التمسك بكتاب الله وبسنة رسول الله **ﷺ** بهذا المنهج القويم بهذا المنهج المعصوم فإنه منهج معصوم؛ لأنه شرع الله سبحانه وتعالى، وأما الأفراد فليسوا معصومين، فمن ظهر منه خلل أو زلل فإنه يُعالج خلله بقدر ذلك الخلل، ويُعالج بقدر ذلك الزلل فدين الله **عَزَّ وَجَلَّ** باقٍ إلى قيام الساعة، فعلياً أن نستمسك وأن يحث بعضنا بعضاً، وأن يُصبر بعضنا بعضاً إلى أن نلقى الله **عَزَّ وَجَلَّ** فإننا في زمن الفتن، في زمن المغريات، في زمن الأهواء، في زمن الآراء، في زمن الأفكار الهدامة التي تأخذ كثيراً من العباد يمنية ويسرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه أن يوفقنا وإياكم لما يُحب
ويرضى، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبارك الله فيكم.



[١٥] الجلوس إلى أهل الباطل

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا،
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
[سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء : ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ، هَدْيُ مُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى**
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَّةٌ،
وَكُلُّ ضَالَّةٍ فِي النَّارِ.

أيها المسلمون عباد الله، نحمد الله تبارك وتعالى الذي جمعنا وإياكم في هذا المسجد نتذكر ما يسر الله **عَزَّ وَجَلَّ** من كتابه وسنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**، وما أحوجنا إلى مجالس الذكر وحلق العلم والوعظ التي فيها يستفيد بعضنا من بعض، مجالس الذكر التي رغب الله **عَزَّ وَجَلَّ** فيها وحث عليها نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** في أحاديث كثيرة، وهكذا في القرآن في آيات عديدة.

أيها المسلمون، يقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** فيما سمعتم وتقدم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، يُخاطب الله **عَزَّ وَجَلَّ** أهل الإيمان ويأمرهم بالاستقامة على دينه، والعمل بشرعه، والاستمسك بهذا الإسلام العظيم، والمداومة على ذلك حتى الممات، قال عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كما عند أبي حاتم في تفسيره: (تقوى الله حق تقاته: أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر)، وقد بينت هذه الآية آية أخرى وهي قوله جل وعلا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا﴾ [التغابن: ١٦].

الاستقامة على دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** نعمة عظيمة وكرامة من الله **عَزَّ وَجَلَّ** لعباده، لمن شاء منهم أن يُكرمه سبحانه وتعالى، أن يُداوم على طاعة الله **عَزَّ وَجَلَّ** في السراء والضراء، والشدة والرخاء وفي سائر الأحوال: أن يُداوم على هذا الدين العظيم، وأن يصبر عليه حتى يلقي الله تبارك وتعالى، وهذه كما قال شيخ الإسلام **رَحِمَهُ اللَّهُ**: أعظم كرامة يُعطها العبد: دوام الاستقامة، هذه أعظم كرامة أن يُديم استقامته وأن يوفقه ويُسدده حتى الممات، فإن هذه الدنيا دار الابتلاء

والامتحان والاختبار يعتري فيها المؤمن العقبات والعراقيل، والأهواء والآراء، والشهوات والشبهات؛ ولهذا قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ [الملك: ١-٢]، فهي دار الابتلاء والامتحان؛ ولهذا قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، ويقول الله جل وعلا: ﴿الم * أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

ألا وإن أهل الإيمان من رزقه الله **عَزَّ وَجَلَّ** التوفيق والسداد فحافظ على إيمانه، وحافظ على استقامته، وحافظ على منهجه وهذا توفيق من الله تبارك وتعالى، ومن الناس من تتعثر قدماه ويُغير ويُبدل ويرجع القهقرا فيعرف ما كان يُنكر ويُنكر ما كان يعرف، وهذه مصيبة أعظم من مصائب الدنيا التي يذهب فيها المال، وربما يذهب فيها الجاه، وربما تذهب فيها الصحة؛ لأن فساد الدين وانحراف المعتقد وتغير الأحوال مصيبة عظيمة حذر منها النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**.

ألا وإن أهل السنة والجماعة ليدعون إلى كتاب الله **عَزَّ وَجَلَّ** وإلى سنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، قولاً وفعلاً فيعتنق هذا الطريق المستقيم ويأخذ بهذه الدعوة المباركة من وفقه الله وسدده وأخذ بيده إلى بر الأمان

وطريق السلامة من الخسران فينشأ فيها الكثيرون ويتعدون المراحل ويرتقون الدرجات، فمنهم من يصل إلى مرتبة العلماء، ومنهم من يصل إلى مرتبة حفاظ القرآن، ومنهم من يصل إلى مرتبة التأليف والتحقيق، ومنهم من يؤم الناس في المساجد ويخطب فيهم ويعظ، ومنهم من يكون مُناصرًا بقوله وفعله والله عَزَّ وَجَلَّ يؤتي الحكمة من يشاء.

وهذا كله يحتاج إلى جهد، ويحتاج إلى زمن، ويحتاج إلى مجاهدة، ويحتاج إلى صبر، ويحتاج إلى بذل؛ ولكنه بين الفينة والأخرى وإذا بأقوام يتركون هذا السير ويتخلفون عن هذا المسير فيغيرون ويبدلون وينحرفون عن دين الله تبارك وتعالى، وهذه خسارة عظيمة، فَرُبَّ رَجُلٍ قَدْ رُبِّيَ السنين وَعُلِمَ الأعوام وإذا به بين لحظة وأخرى يصير إلى الضلال والانحراف، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ولكن ينبغي أن نعلم: أن دين الله عَزَّ وَجَلَّ هو ناصره وهو مؤيده فهو القائل في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، فدينُ الله عَزَّ وَجَلَّ منصور، وإنما ينبغي للمؤمن أن ينصر نفسه بالاستقامة على دين الله عَزَّ وَجَلَّ، وأن يُنقذها من عذاب الله تبارك وتعالى بالتمسك بالحق والسير عليه والصبر عليه حتى يلقي الله تبارك وتعالى.

ينبغي لكل مسلم من عرف الحق وطريقه وعرف الصراط المستقيم: أن يحذر من الأسباب والأعمال التي تُعيقه في طريقه وتصدّه عن سبيله وتبعده عن مرضات ربه، وما أكثر العوائق، وما أكثر الأسباب التي تؤخر العباد وتُبعدهم عن مرضات رَبِّ العباد سبحانه وتعالى، ما أكثر الأسباب التي تُغيّر الرجال فتضلّهم عن سواء السبيل، وتكون سبباً لانحرافهم وبعدهم.

وقد حذرنا الله عَزَّ وَجَلَّ من جملة منها في كتابه الكريم، وهكذا نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ حذرنا غاية التحذير مما يضرنا في ديننا وعقيدتنا ومنهجنا وأخلاقنا وسيرنا إلى الله تبارك وتعالى، وأمرنا بالأعمال التي تؤكد إيماننا وتقوي عزائمنا وتثبت أقدامنا وتعيننا على الثبات على دين الله تبارك وتعالى.

ألا وإنني ذاكراً في هذا المقام سبباً واحداً من أسباب الانحراف عن جادة الصواب، ومن أسباب البُعد عن السنة والكتاب، ومن أسباب التغيّر والتبدّل، ومن أسباب الانحراف والميل عن دين الله تبارك وتعالى، من استرسل في هذا الباب وسلكه ضلَّ بعد أن كان على الهدى، وانحرف عن الحق إلى الردى، وابتعد عن الخير إلا أن يشاء الله ويتداركه برحمة منه سبحانه وتعالى.

ألا وإن هذا السبب: هو مُخالطة أهل الباطل ومُجالستهم، وتأييدهم وموافقتهم من أعظم الأسباب لانحراف كثير من الخلق وابتعادهم عن دين الله تبارك وتعالى.

فاحذر يا أيها المسلم أن تكون سبباً أو أن تقوم بعمل يضرك في دينك وعقيدتك وأنت لا تشعر، قال الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، الركون إلى الذين ظلموا سواء كان ظلمهم ظلماً أكبر أو كان ظلمهم ظلماً دون ذلك؛ سبب عظيم في الانحراف عن دين الله تبارك وتعالى؛ ولهذا حذرنا الله **عَزَّ وَجَلَّ** من مجالستهم، والعود في مجالسهم، والرضا بما هم عليه من الباطل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ويقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** لنبية ﷺ: ﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَّن تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩-٣٠]، ويقول الله **عَزَّ وَجَلَّ** لنبية: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، ويقول الله جل وعلا لنبية ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]، يعلمه ربه جل وعلا القناعة والرضا بهذا الخير والوحي الذي أكرمه الله **عَزَّ وَجَلَّ** به، وهكذا ينبغي أن يكون المسلم صابراً راضياً قانعاً بشرع الله **عَزَّ وَجَلَّ**، فلا يُذلل دينه لأهل الباطل، ولا يرضى أن يأخذ منهم فإن هذا ضرر عليه في دينه ومنهجه؛ ولهذا فقد قال النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** مُحذراً الأخذ عن أهل الباطل والاعتزاز بهم ومجالستهم: «الْمُرءُ

عَلَى دِينَ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُحَالِلُ»، رواه الترمذي من حديث أبي هريرة، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، وجاء في "الصحيحين" من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُخَذِّبَكَ»، أي: إما أَنْ يُعْطِيكَ، «وَأَمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً»، فعلى أَيِّ حال تُجَالِسُ حَامِلَ الْمِسْكِ فَأَنْتَ مِنْهُ مُسْتَفِيدٌ بَيْعًا وَشِرَاءً وَمُجَالَسَةً وَرَائِحَةً، قَالَ: «وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»، وهكذا صاحبُ الباطل، وصاحبُ الشر، وصاحبُ الفتن تتضرر بمجالسته، وتتضرر بمخالطته، وتتضرر بالركون إليه، وتتضرر بالرضا بما هو عليه؛ ولهذا حذرنا ربُّنا سبحانه وتعالى في آيات كثيرة من الرضا بالباطل وأهله وبالقعود معهم وبمجالستهم كما تقدم.

أيها المؤمنون عباد الله، الأدلة في هذا الباب كثيرة جدًا، وآثار السلف أكثر وأكثر من أَنْ تُحْصَرَ في مجالسة أهل الباطل وبيان ضرر ذلك على المرء في دينه وعقيدته ومنهجه؛ ولهذا فقد بين الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه وبين نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في سنته ضرر ذلك وعقوبته وما يجنيه المرء في الدنيا والآخرة. فلنذكر في هذا المقام جملةً من الأمثلة لأقوام جالسوا أهل الشر، تضرروا بمجالستهم، خالطوا أهل الباطل فحصل لهم الضرر في الدنيا والآخرة، فهذا نوح عليه السلام لما صنع تلك السفينة بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ بعد أن دعا قومه ليلاً ونهاراً،

سرًا وجهارًا فلم يستجب له إلا القليل: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، فلما ركب تلك السفينة وأراد الفرار بدينه انفراد عنه ولده فلذة كبده فدعاه إلى الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، نوح يدعو ولده إلى الخير، يدعو ولده إلى النجاة، يدعو ولده أن يجالس أهل الإيمان، يدعو ولده أن يكون مع أهل التوحيد، فأبى ذلك الولد العاق ورضي لنفسه بمجالسة الكافرين ومسايرة الظالمين: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ * قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٢-٤٣]، أغرقه الله عَزَّ وَجَلَّ مع أولئك المشركين الظالمين؛ لأنه أبى أن يسمع هذا التوجيه العظيم من هذا النبي الكريم بالبعد عن أهل الجحيم، فكان عاقبته أن عُوقِبَ كما عُوقِبُوا وأُغْرِقَ كما أُغْرِقُوا، ولما أراد نوح عليه السلام أن يدعو ربه لنجاته والشفاعة له: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٥-٤٦]، ولده الذي هو ولده ومع ذلك يبين الله عَزَّ وَجَلَّ له أنه ليس من أهله الصالحين؛ لأنه ليس على طريقته، ليس على منهجه، ليس على مبدئه، ليس على الحق الذي هو عليه، وهكذا ينبغي أن يكون أهل الحق يُعْظَمُونَ الحق في نفسوهم ويوالون ويُعَادُونَ من أجله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ

﴿هود:٤٦﴾، قال الله عَزَّ وَجَلَّ عن نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [هود:٤٧].

فانظروا معاشر المؤمنين كيف أهلك الله عَزَّ وَجَلَّ هذا الولد العاق بمجالسة أهل الحق والبُعد عن أهل الباطل.

وهكذا جاء في "الصحيحين" من حديث المُسيب بن حزن رضي الله تعالى عنه وأرضاه: أن النبي ﷺ لما سمع بمرض عمه أبي طالب ذهب إليه يعوده ويدعوه إلى الله، وعمه أبو طالب كان يُنافح عنه ويُدافع ولكنه على الشرك، إنما صنع ذلك عصبيةً وحميةً، فلما ذهب إليه يدعوه إلى الله تبارك وتعالى وجد عنده جلساء السوء، وجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية المخزومي قبل أن يدخل في الإسلام، فقال له: «يَا عَمُّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، أي: كلمةً أذكرها لك حجةً عند الله، أو أشهد لك بها يوم القيامة، فقال له جلساء السوء: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ تترك ما كان عليه الآباء والأجداد وتتبع ما جاء به هذا الرجل؟ فأعرض عنهم النبي ﷺ وأعاد عليه الكرة وقال له: «يَا عَمُّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»، فأعادا عليه العبارة وقالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ وهكذا أهل الباطل سيلاحقونك، وسيتابعونك، وسيبحثون عن مواطن الضعف سواء كانت حسيةً أو معنوية، مالية أو أخلاقية، أو أي طريق يصلون إليك إن لم تكن ثابتاً على دين الله عَزَّ وَجَلَّ صادعاً بالحق متبعاً لمنهج السلف مقتفياً للأثر فإنهم يتبعون مواطن الضعف؛ ولهذا أرسل ملك

غسان لكعب بن مالك لما هجره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، هجره هو وأصحابه الثلاثة في غزوة تبوك، فلما بقي كعب مهجورًا لا يُخاطبه أحد ولا يُكلمه أحد، بل ولا يرد السلام عليه أحد يخرج إلى الأسواق، ويذهب إلى المسجد، ويأتي هنا وهناك لا يكلمه أحد؛ لأنه قد حُكم عليه بالهجران وصار كما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ١١٨]، فأرسل إليه ملك غسان مع رجل من أقباط الشام برسالة كتب فيها: إنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، فالحق بنا نواسك فإن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يجعلك بدار هوان ولا مذلة، أهل الباطل سيبحثون عن مواطن الضعف فيصيدونك من تلك المواطن فحصن نفسك من جميع الاتجاهات وكن راضيًا مقتنعًا بمنهج السلف الصالح والطريقة المحمدية التي لا ترضخ فيها لأهل الباطل في السراء ولا في الضراء، ولا في الشدة والرخاء، وكن كما كان السلف الأوائل، قالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فكان آخر ما قال: هو على ملة عبد المطلب، انظروا إلى هذه المصيبة العظيمة لم يكن بينه وبين الجنة إلا أن يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويموت عليها وتكون خاتمة حسنة؛ ولكن أهل الشر لم يرضوا لأبي طالب أن يموت على هذه الخاتمة الحميدة، فذكروه بالعصبيات الجاهلية فمات على الشرك مع أنه كان يعلم أن دين محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو خير الأديان؛ ولهذا جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث أبي هريرة: أنه قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: قال أبو طالب: (لولا ملامة قومك لأقررت بها عينك)، يُخاطب النبي ﷺ، وجاء عنه:

ولقد علمت بأن دين محمدٍ من خير أديان البرية دينًا

لولا الملامة أو حذاري مسبةٍ لوجدتني سمحًا بذلك يقينًا

لكن هل نفعه هذا الاعتراف؟ هل نفعه هذا الاعتقاد؟ هل نفعته هذه المعرفة؟

وهو أبى أن يدخل في دين الإسلام ومات على الشرك بالله **عَزَّ وَجَلَّ**، قال النبي

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُتَّعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا

دِمَاغُهُ»، هذا كله بسبب مجالسة أهل الباطل والرضا بما هم عليه، والرضا بما

يقولون، كان آخر ما قال: أنه على ملة عبد المطلب.

خرج النبي صلى الله عليه وعلى وسلم من عنده وهو يقول: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ

مَا لَمْ أَتُكُفِّرْكَ»، ردًا للجميل الذي قدمه وتلك الأفاعيل الكثيرة في الدفاع عن

النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، فمنعه الله من ذلك؛ لأنه مات على الشرك: ﴿مَا كَانَ

لِنَبِيِّيٍّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، هكذا الصديق بالحق، وهكذا الرضا به،

وهكذا رفع الرأس به الحق يُحتاج إلى من يناضل من أجله، ويصبر من أجله،

ويقدم من أجله، ويضحى من أجله ولو يُضحى بأقرب الناس إليه: ﴿مَا كَانَ

لِنَبِيِّيٍّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]، ما جامل الله **عَزَّ وَجَلَّ** نبيه

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأذن له أن يستغفر لعمه؛ لأنه كان يُعينه ويدافع عنه؛ لأنه

مات على الشرك بالله **عَزَّ وَجَلَّ** والمشركون لا يجوز الدعاء لهم ولا الاستغفار لهم

بعد موتهم، وأما في حياتهم فلا بأس أن يُدعى لهم بالهداية كما كان النبي ﷺ يدعو لقومه ويدعو لغيرهم.

أيها المؤمنون عباد الله، مجالسة أهل الباطل والرضا بما هم عليه من أعظم أسباب الانحراف عن دين الله تبارك وتعالى، فاحذر يا أيها المسلم إنك لا ترضى أن يغشك أحدًا من الناس في معاملة دنيوية وفي عمل دنيوي، إذا رأيت من شريكك أو من الذي تبيع منه أو تشتري، أو من ذلك الذي يعمل لك عملاً دنيوياً أو تعمل عنده إذا رأيت منه غشاً أو خداعاً أو خللاً ربما فارقه حتى الموت، لماذا؟ لأنه غشاش، لأنه يخدع، لأنه فقد الأمانة، فكيف بالذي يُريد أن يغشك في دينك؟ وأن يغشك في عقيدتك؟ وأن يغشك في منهجك؟ لماذا ترضى له أن تبقى في صحبته، وأن تجالسه وأن ترضى بما هو عليه، هذا أعظم خطراً وأشد ضرراً، إذا كان النبي ﷺ كما في حديث أبي هريرة في صحيح الإمام مسلم: خرج يوماً إلى السوق فوجد رجلاً يبيع شيئاً من الطعام من الحبوب، فأدخل يديه في ذلك الطعام، فأصبت أصابعه البلل، فقال: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟»، قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَزَلَ شَيْءٌ مِنَ الْمَطَرِ فَأَصَابَ ذَلِكَ الطَّعَامَ فَجَعَلَ هَذَا الْبَائِعُ الطَّعَامَ الْمَبْلُولَ مِنْ تَحْتِ وَالطَّعَامَ الَّذِي هُوَ جَيِّدٌ مِنْ فَوْقَ، قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَمَا يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»، الذي يغش في شيء من الطعام ليس على طريقة النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهذا وعيد شديد يقول ابن عيينة وغيره: يبقى على ظاهره: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»،

إذا كان في أمور دنيا فكيف إذا كان يغشك في دينك، في منهجك، في عقيدتك، في عبادتك لربك سبحانه وتعالى، فاحذر يا أيها المسلم ولا تغتر بصلاحك، بعض الناس ربما يغتر بما هو عليه من الخير، بما هو عليه من العلم، بما هو عليه من الدين، فربما يُجالس أهل الباطل وهم دونه في العلم، ودونه في الخير، ودونه في الفقه ويظن أنه لا يتضرر وهذا خطأ عظيم، فقد انحرف أناس كثيرون وانزلق أقوام كثيرون بمجالسة أهل الباطل وهم دونهم في العلم بمراحل عديدة بمخالطتهم، ومجالستهم، ومسايرتهم.

وانظر إلى بعض هذه الأمثلة: فهذا عمران بن حطان السدوسي الذي عُرفَ بالعلم، وعُرفَ بالعبادة، أخرج له الإمام البخاري **رَحْمَةُ اللَّهِ** في صحيحه في الأصول، وقد قال أهل العلم: من أخرج له الشيخان فقد جاوز القنطرة، وكان من دعاة أهل السنة والجماعة في زمنه، من أهل العلم، من أهل العبادة والزهد، جاء في كتاب البداية والنهاية، وفي السير للإمام الذهبي وفي تهذيب الكمال للمزي: أنه تزوج امرأة جميلة وهي ابنة عمه، وكان هو رجل ليس عليه جمال، فتزوج هذه المرأة، وهذه المرأة كانت على طريقة الخوارج، عمران بن حطان على طريقة السلف، والمرأة على طريقة الخوارج، فتزوجها بحجة أن يردّها إلى مذهب أهل السنة، وما هي إلا أيام وإذا به يصير خارجيًا، لا حول ولا قوة إلا بالله، امرأة ناقصة عقل ودين وإذا بها تؤثر في رجل عالم؛ لتعلم خطر المجالسة لأهل الباطل والتحزب، لأهل الشر والعناد، لأهل الشهوات والشبهات، لأهل

الكبائر، لأهل الشرك، لأهل الضلال والانحراف، رجع هذا الرجل خارجيًا بعد أن كان من أهل السنة، فصار يمدح الرجل الخارجي الذي قتل علي بن أبي طالب ويقول:

يا ضربةً من بقي ما أراد بها إلا ليلغ من ذي العرش رضواناً
إني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزاناً

يمدح من قتل أمير المؤمنين علي المبشر بالجنة، انظر إلى هذا الانحراف الكبير، والتحول الخطير، من الذي يأمن على نفسه؟ من الذي يضمن قلبه بمجالسة أهل الباطل ألا ينحرف عن الحق، ألا يتغير عما كان عليه، ألا يتعد عن الخير الذي صار عليه، هذا الرجل يمدح من قتل أمير المؤمنين المبشر بالجنة، الذي يقول له النبي ﷺ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»، وإذا بهذا العالم ينقلب إلى هذا الانحراف الخطير ويمدح الخوارج ويُمجّد هذا الذي قتل علي بن أبي طالب.

رد عليه بعض أهل السنة فقال:

يا ضربةً من شقي ما أراد بها إلا ليلغ من ذي العرش غضباناً
إني لأذكره يوماً فألعنه وألعن الكلب عمران بن حطاناً

وهذا فيه لعن للمعین، وجمهور أهل العلم لا يجوزون ذلك؛ ولكن هكذا ردّ على هذا المبتدع وهذا المنحرف الذي باع دينه بشيء من الدنيا، بل باعه بالهوى الذي سار إليه واندفع إليه.

وهكذا معاشر المؤمنين، إمام من أئمة الدنيا وهو الإمام عبد الرزاق الصنعاني أبو بكر، إمام من أئمة المسلمين رحل إليه الإمام الشافعي، ورحل إليه أحمد بن حنبل، ورحل إليه يحيى بن معين لأخذ الحديث عنه إلى بلاد صنعاء اليمن، رحلت إليه خلائق كثيرون، وكان إماماً وهو إمام لا تزال أحاديثه في كتب السنة المعتمدة، وتصفح "صحيح البخاري"، وانظر "صحيح مسلم"، وانظر "مسند الإمام أحمد"، وكتب الأمهات والسنن والمسانيد، تجد ما أكثر أحاديث الإمام عبد الرزاق الصنعاني **رَحِمَهُ اللهُ** تعالى، كان إماماً في السنة والعلم والحديث والزهد والفقه والخير كله، فقدّم عليه رجل من الكوفة يُقال له: جعفر بن سليمان الضبعي، وكان عند هذا الرجل بعض الأحاديث التي ليست عند عبد الرزاق، فكان يأخذ منه تلك الأحاديث ولكن هذا الرجل شيعي قد ابتلي بهذه البدعة المنكرة، وهو جعفر بن سليمان الضبعي، وكان صاحب هدي وسمت كان صاحب أخلاق حسنة، فتأثر به عبد الرزاق الصنعاني إمام أهل اليمن، إمام من أئمة الدنيا يتأثر برجل لأجل أخلاقه، كان يقدم عليه فيأخذ عنه بعض الأحاديث فأثر عليه بأخلاقه وهديه، فصار الإمام عبد الرزاق يُزن بالتشيع، يُذكر في ترجمته: أنه في آخر عمره وقع في شيء من التشيع، ولم يكن غالباً، وإنما كان يُقدم علياً على أبي بكر وعمر ولا يسب أبا بكر ولا عمر، ولا يطعن فيهما، وإنما وقع في هذه الخصلة التي عدها أهل العلم خطأً بسبب مجالسة هذا الرجل، قالوا له: يا أبا بكر

من أين دخل عليك التشيع؟ قال: قَدِمَ علينا جعفر بن سليمان الضبعي فأعجبني هديه وسمته.

فما هو مدى صلاحك؟ وما هو مدى علمك؟ وما هو مدى استقامتك حتى تُجالس أهل الباطل وتضمن لنفسك ألا تتحول، وتضمن لنفسك ألا تتغير، وتضمن لنفسك ألا تنحرف، فاحذر يا أيها المسلم، احذر يا أيها السلفي، احذر يا أيها السني واحمد ربك سبحانه أن بصرك بالحق فلا تُذل نفسك لأهل الباطل، احمد الله **عَزَّ وَجَلَّ** أن بصرك بهذا النور، أن أراك هذا الصراط المستقيم، أن وفقك لهذا الهدي القويم فاثبت عليه وعض عليه بالنواجذ.

وهذه قصة أخرى حصلت في القرن الثالث في المائة الثالثة الهجرية، كما ذكر ذلك الإمام ابن كثير في البداية والنهاية في ترجمة رجل يقال له: عبدة بن عبد الرحيم، هذا الرجل كان مُجاهدًا دائمًا في الغزوات، دائمًا في الثغور، دائمًا يذهب هنا وهناك للجهاد في سبيل الله والرباط في سبيل الله **عَزَّ وَجَلَّ**، فخرج المسلمون إلى بلاد الروم وحاصروا بلدةً من بلدانها ولم يفتح الله **عَزَّ وَجَلَّ** عليهم، فبقوا حول تلك البلدة يُحاصرونها، فخرج ذلك الرجل ليلة من الليالي ورأى امرأةً أشرفت على ذلك الحصن، امرأةً جميلةً نصرانية فافتتن بها، مُجاهد من المُجاهدين، وفي تلك الأزمان التي هي أزمان الخير والصلاح، افتتن بتلك المرأة وأراد أن يصل إليها وخطبها وقال لها: ما السبيل إليك؟ قالت: السبيل إليّ أن تتنصر، وأن تترك دينك، كان رجلًا مُجاهدًا، كان من حفظة القرآن، كان من الذين يقومون الليالي،

فافتتن بهذه المرأة، فلما قالت له ذلك تنصر وأرسلت من يده وتسلق إلى الحصن، ترك المسلمين، ترك الجهاد، ترك القرآن، ترك الإسلام، انحرف عن جادة الصواب لأجل امرأة افتتن بها وتسلق إليها وصار إليها، فأصبح المسلمون فلما رأوه في ذلك الحصن أصيبوا بغمة شديدة، ما الذي حصل لهذا الرجل، وبعد أيام يُمر به وهو في ذلك الحصن وهو بجانب تلك النصرانية فيقال له: يا عبدة ماذا فعل قرآنك؟ أين قيامك لليل؟ أين صيامك؟ ماذا صنعت عبادتك؟ فجعل يقول: إنه لم يبقَ معي من القرآن إلا قوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ١-٣]، نسي كل الخير الذي كان عنده ولم تبقَ إلا هذه الآية التي كلما تذكرها تقطع قلبه حسرة على ما كان عليه من الخير، ولكن بعد ماذا عباد الله؟

فالحذر الحذر من مجالسة أهل الباطل، من مجالسة أهل الشهوات، من مجالسة أهل الشبهات، من مجالسة أهل البدع والأهواء، كم حذر السلف **رَحِمَهُمُ اللَّهُ** من مجالسة أهل البدع صغرت بدعهم أو كبرت، ولو قرأت الكتب لوجدت الآثار النيرة والأقوال الطيبة الكثيرة عن السلف في الحذر والتحذير من مجالسة أهل الباطل.

يقول ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: (لا تُجالسوا أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة)، يقول أبو قلابة **رَحِمَهُ اللَّهُ** كما في الإبانة: (لا تُجالسوا أهل الأهواء فإني أخشى أن يغمسوكم في بدعتهم، أو أن يلبسوا عليكم دينكم)، يقول أبو الجوزاء **رَحِمَهُ اللَّهُ**:

(لأن يمتلئ بيتي قردهً وخنازير أحب إليّ من أن يمتلئ بأهل الأهواء)، انظروا إلى هذه الشدة في هذا الباب خوفًا على قلوبهم، خوفًا على منهجهم، خوفًا على دينهم.

وهكذا يقول الإمام الأوزاعي **رَحِمَهُ اللَّهُ**، وقد وجد عمرو بن عبيد فمد إليه يده ليصافحه فقال له: (يا عمر لو كانت الدنيا لكانت المقاربة ولكنه الدين)، لو كان الخلاف من أجل أرض، أو من أجل مال، أو من أجل منصب ممكن أن يحصل الصلح والتنازل والتسامح؛ لكن من أجل دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** لا.

وفي الإبانة عن أيوب بن أبي تيممة السخيتاني: جاءه رجل من أجل الأهواء، فقال له: يا أيوب أريد أن أحدثك بكلمة، قال: ولا نصف كلمة.

وهكذا ابن سيرين يسأل عن ذلك فيأبى، قالوا: يقرأ عليك قرآنًا، قال: إن قلبي ليس في يدي.

وهكذا يقول الإمام مالك **رَحِمَهُ اللَّهُ**، لما أراد أن يُخاطبه بعض المبتدعة فولاه ظهره وقال: ولوا البدع ظهوركم.

وما أكثر الآثار عن السلف الكرام في الحذر من أهل الباطل والبعث، ومجالستهم، والدراسة عندهم، أهل الباطل في كل زمان ومكان، وكلما جاء زمن وهم يزدون: «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ يَوْمٌ أَوْ زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقُوا رَبَّكُمْ سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ **ﷺ**».

فاحذر يا أيها المسلم، حافظ على ما عندك من الخير، حافظ على ما عندك من السنة، أهل الباطل إنما يُريدون إبعادك عن السنة، يريدون إبعادك عن الخير،

يريدون إبعادك عن الحق، يريدون إبعادك عن القرآن، يريدون إبعادك عن هذه الطريقة السوية، وعن هذا الصراط المستقيم وربما أخذوك، وربما شوشوا عليك فأحدثوا لك قلاقل، وأحدثوا لك مشاكل مع إخوانك أهل الحق فيضيق صدرك وربما تذهب وأنت غير راض عن هذه الطريق، فتذهب إلى الباطل فتعرف ما كنت تُنكر وتنكر ما كنت تعرف.

فالله الله عباد الله بالثبات على دين الله تبارك وتعالى، أنصح نفسي وإياكم بالثبات على دين الله **عَزَّ وَجَلَّ** في زمن الفتن وفي غيرها؛ حصل في الأيام الماضية ما حصل من جهاد الرافضة واختلاط أهل السنة ببعض أهل البدع وبعض أهل التحزب، ولكن الحرب انتهت ^(١) والجبهات قد بَعُدَتْ فصارت بعيداً فلنقبل على الخير ولنعرض عن أهل الباطل فديننا لم يتغير ومنهجنا لم يتبدل، فالخزيون حزيون، والمبتدعة مبتدعة، وأهل الشر أهل الشر لم يتغيروا إلا من تاب إلى الله وأعلن براءته، وأعلن توبته، وأعلن رجوعه فهو منا ونحن منه، أما من كان على الباطل فلا يُمكن أن نجتمع معه على الباطل، نجتمع مع أهل الخير، ونناصر أهل الخير ونقف في صفهم ونؤازرهم ونكثر من سوادهم وأنتم كذلك بحمد الله **عَزَّ وَجَلَّ**، ولكن هذا من باب التنبيه فالمنهج السلفي لا تغيره الأيام والليالي، لا يتغير ولا يتبدل بتغير الأحوال وبتقلب الرجال وبحصول ما يحصل في الأمة

(١) المراد انتهت في عدن وما حولها.

الإسلامية، منهجنا لا يتغير، منهجنا معصوم مأخوذ من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وإنما علينا أن نسير عليه وأن نتمسك به، وأن نعص عليه بالنواجذ وأن نتعامل وفق الشريعة مع الصغير والكبير، والقريب والبعيد، والعدو والصديق نتعامل على ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ، فالحرب على الرافضة لم تجعل الاشتراكي يرجع سلفيًا، الحرب على الرافضة لم تجعل الإخوان المسلمين رجعوا بعدها إلى السلفية، الحرب على الرافضة لم تجعل أصحاب الجمعيات والمرعيين ومن إليهم يرجعون إلى السلفية إلا من تاب منهم ومن رجع منهم ومن صلح حاله ومن استقام على دينه فحياه الله وبياه، وأما أننا نتضعع أو يحصل لنا ضعف، أو يحصل لنا تفرق، أو يحصل لنا تمزق فهذا من الخطأ، بل مثل هذه المشاهد ومثل هذه المواضع ومثل هذه العبادات الجهاد في سبيل الله عز وجل يزيدنا إيمانًا إلى إيماننا، واستقامةً إلى استقامتنا، وسلفيةً إلى سلفيتنا، ومُضِيًّا على ما نحن عليه، وثباتًا إلى أن نلقى الله تبارك وتعالى، نزداد من الخير تقوى ألفتنا وتَعْظُم وحدتنا وتترابط صفوفنا، أعداء هذه الدعوة المباركة يحكون لها المؤامرات من الداخل والخارج، فالواجب علينا معاشر المؤمنين أن نتآلف فيما بيننا، وأن نُقبل على الخير تعلمًا، وعملاً، ودعوةً، وصبرًا، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، وتواصي بالحق، وتعاون على البر والتقوى يحصل لنا الخير، ندعو الناس أجمعين ونقول لهم: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، استقيموا على دين الله ترشدوا، اتبعوا منهج السلف تكونون في أمن وأمان وسعادة دنيوية وسعادة

أخرية، قال الله جل وعلا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، ويقول الله جل وعلا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بمنه وكرمه وجوده وإحسانه: أن يوفقنا وإياكم لما يُحِبُّ ويرضى، وأن يأخذ بأيدينا إلى البر والتقوى، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يجمعنا على الحق المبين، وعلى الصراط المستقيم، وأن يوحد صفوفنا، وأن يردنا إليه ردًا جميلًا، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبارك الله فيكم.



[١٦] ومن تشبه بقوم فهو منهم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا،
وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى**
آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
(سورة آل عمران: ١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (سورة النساء: ١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ (سورة الأحزاب: ٧٠-٧١).

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَيْرُ الْهَدْيِ، هَدْيُ مُحَمَّدٍ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ**
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ
ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها المسلمون عباد الله، قال الإمام أحمد في مسنده **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ ثَابِتِ بْنِ ثَوْبَانَ، حَدَّثَنَا حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي مُنِيبِ الْجُرَشِيِّ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُحْمِي، وَجُعِلَ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، حديث صحيحه العلامة الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى.

يُبين فيه النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** ما بعثه الله **عَزَّ وَجَلَّ** به من الحق، والهدى، وإقامة شعيرة الجهاد، والصدع بالحق.

ثم بين النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**: أن الذلة الصغار، والهوان، والضعف، والخور فيمن عصى رب العالمين سبحانه وتعالى، وخالف أمر النبي الكريم **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

ثم نبه على أمر عظيم تقع فيه الأمة: ألا وهو التشبه بالكافرين، وبين خطره وضرره، فقال: «وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، هذا أمر قد بين النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في أدلة كثير وأحاديث عديدة: أن هذه الأمة وخصوصاً في آخر الزمان تتبع أعدائها سواء كان من اليهود، أو النصارى، أو المجوس، أو سائر الكفرة والمشركين، فتتشبه بها، فقد جاء في "الصحيحين": من حديث أبي سعيد الخدري **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ** قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، «حَذُوا الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ»، وهذه الزيادة ليست في الصحيحين ولكن يذكرها كثير من المؤلفين هكذا

وإلا فإنها في "مسند أحمد"، ووهم الإمام محمد بن عبد الوهاب فأدخلها في رواية "الصحيحين" كما في كتاب "التوحيد"، وإلا فإن الرواية الصحيحة: «لَتَتَّعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكَوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكَتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «فَمَنْ؟»، وفي رواية البخاري عن أبي هريرة: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَفَّارِسَ وَالرُّومَ؟ فَقَالَ: «وَمِنَ النَّاسِ إِلَّا أَوْلَيْكَ».

وقد حصل ما أخبر به النبي ﷺ، فهذا الحديث من دلائل النبوة، فتتبع كثير من الناس ما عليه أعداء الإسلام في العقائد، والعبادات، والمعاملات، والسلوك، والأخلاق وفي سائر شؤونهم إلا من وفقه الله، وسدده الله، وثبته الله على دين الإسلام الصحيح الذي جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ.

ألا واعلموا معاشر المؤمنين: أن نبينا ﷺ جاءنا بخير عظيم، وبدين قويم، وبملة حنيفية سمحة مخالفاً لما كان عليه المشركون، مبتعداً لما عليه أهل الكتاب وغيرهم من الكفرة والمشركين؛ ولهذا بين لنا ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في كثير من الأحاديث المخالفة الواضحة لأعداء الإسلام في كل أبواب الدين، وفي كل ما نحتاج إليه، ولو جمعت ما ذكر النبي ﷺ لوجدت أنه كثير جداً؛ ولهذا ألف الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه الحافل: "اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم"، وألف الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ عليه

"مسائل الجاهلية"، التي خالف فيها النبي ﷺ أهل الجاهلية، ولم يذكروا إلا شيئاً مما تقدم الإشارة إليه وغيره كثير.

ولسنا بصدد في هذا المقام أن نتحدث عن تحريم التشبه بأعداء الإسلام وما في ذلك من الإضرار، وإنما نحب أن نذكر أنفسنا وإخواننا بأمثلة ونموذج عن النبي ﷺ في تحريم التشبه بأعداء الإسلام سواء كان في العقيدة، أو كان في سائر أركان الإسلام، أو في السلوك، أو في اللباس، أو في سائر أحوال الأمة وما تحتاج إليه، وما أكثر تلك الأمثلة، ونحتاج أن نردها، وأن نقرأها، وأن نتمعن فيها؛ لما نرى في المجتمعات من المسارعة والمسابقة للتشبه بأهل الكتاب، للتشبه بالنصارى، للتشبه باليهود، للتشبه بالمجوس.

ويرى كثير من الناس: أن هذا من الحضارة المحمودة ومن السلوك المرضي، وهذا مما يغضب الله تبارك وتعالى، فقد جاء نبينا ﷺ بمخالفة أهل الكتاب في باب الاعتقاد.

فعلى سبيل المثال: جاء في "البخاري" من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»، هذه الخصلة التي وقع اليهود ووقع النصارى فيها، فرفعوا أنبياءهم فوق منزلتهم وأشركوا بالله جل وعلا، نهى النبي ﷺ هذه الأمة من أن تسلك سبيل تلك الأمم، قال الله جل وعلا: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾

[التوبة: ٣٠]، وأما هذه الأمة فقد علمها نبيها ﷺ أن تعتقد أنه نبي لا يجوز تكذيبه، وأنه عبد لا يجوز أن يُرفع فوق منزلته ويُعبد من دون الله تبارك وتعالى، ولو نظرت فيمن ينتسب إلى الإسلام لوجدت أنهم في هذا المقام قد شابهوا أهل الكتاب، فمنهم من رفع النبي ﷺ فوق منزلته، فجعلوا يدعونه من دون الله عَزَّ وَجَلَّ ويستغيثون به، ويعتقدون فيه ما يجب أن يعتقد في الله تبارك وتعالى، وهذا خطر عظيم ومزلق خطير من وقع فيه فقد شابه الكفرة وشابه المشركين.

ومعنى: «أشهدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»، الذي نرددها ونسمعها أي: نقر ونعترف بأنه رسول الله ﷺ، فيصدق فيما أخبر، ويُطاع فيما أمر، وينتهى عما نهى عنه وزجر ﷺ.

ومن أمثلة هذا الباب: ما جاء في "صحيح مسلم": من حديث جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قبل أن يموت بثلاثة أيام: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا»، «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»، هذا شيء سلكه أهل الكتاب ممن كان قبلنا، ربما يضعون من يرونها صالحين في مساجدهم وفي أماكن عبادتهم، وربما يبنون عليهم القباب والقبور، وها نحن نشاهد بعض من ينتسب إلى الإسلام وإذا به يسلك هذا السبيل ويتنهج هذا المنهج، فيضع تلك القباب التي تُعبد، والتي تُزار، والتي يُطاف حولها ويُتمسح بآثارها، وآخرون

يضعون من يرون فيه الصلاح والخير فيدفنونه في أماكن العبادة والسجود، يضعونه في مساجدهم وبقربها ويعتقدون فيه كما يعتقد أهل الكتاب.

ومن أمثلة هذا الباب: ما جاء عند الإمام الترمذي (٥٤٠٨)، وصححه الألباني: من حديث أبي واقد الليثي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ **ﷺ** إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيَنْوُطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسِّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: «اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السَّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]»، فحذر النبي **ﷺ** من مشابهة المشركين من الاعتقاد في الأشجار، والاعتقاد في الأحجار والتمسح بها، واعتقاد البركة فيها.

وهكذا كم ترى من هذه الأمثلة؟ ففي "صحيح الإمام مسلم": من حديث أبي مالك الأشعري **رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ**: قَالَ صَلَّى اللَّهُ **ﷺ**: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتَرَكُونَهَا: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»، ذكر ذلك تحذيراً وتنفيراً من طريقة أهل الكتاب، ومن طريقة المشركين.

أيها المؤمنون عباد الله، وأما إذا نظرت إلى بقية أركان الإسلام حتى على سبيل المثال في الطهارة، فقد جاء في "صحيح الإمام مسلم": من حديث أنس بن مالك **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: (أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ

في البُيُوتِ)، تصير المرأة عندهم كأنها خنزير أو أشد من ذلك عند أن يأتيها الحيض لا تأكل مع القوم، ولا تجلس مع القوم، ولا تشرب معهم تُنبذ، فأنزل الله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فقال النبي ﷺ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ»، أي: أن المرأة إذا حاضت ليست بنجسة، النجاسة في موضعها، فلزوجها أن يُباشرها وأن يُعاشرها ولا يُمنع إلا من جماعها: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ»، فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجلُ (أي: النبي ﷺ)، (أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفْنَا فِيهِ)، وهذا هو الشاهد.

وهكذا معاشر المؤمنين جاء في حديث عبد الرحمن بن حنبل: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَمَعَهُ دَرَقَةُ فَوَضَعَهَا ثُمَّ جَلَسَ خَلْفَهَا فَبَالَ إِلَيْهَا، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: انظُرُوا، يَبُولُ كَمَا تَبُولُ الْمَرْأَةُ " فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَ: «وَيْحَكَ، أَمَا عَلِمْتَ مَا أَصَابَ صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا إِذَا أَصَابَهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْبَوْلِ قَطَعُوا مَا أَصَابَهُ الْبَوْلُ مِنْهُمْ بِالْمُقَارِيضِ»، اليهود إذا أصاب أحدهم بول في ثيابه أو بدنه قرض المكان بالمقاريض، وأما النصارى فعلى العكس من ذلك يبولون في سراويلهم وفي ملابسهم ولا يتحرون، وجاء دين الإسلام بمخالفة اليهود وبمخالفة النصارى، فلا إفراط ولا تفريط، فإذا أصاب المسلم نجاسة في بدنه أو ثوبه فإنما يغسله بالماء، ولو كان في الأرض التي يُصلي فيها يُصب عليه بالماء، كما قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** في قصة الأعرابي: «أَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ

ماءٍ»، دينادين رحمة وفيه المخالفة لما عليه أهل الكتاب، ولما عليه اليهود، ولما عليه النصارى.

إذا نظرت في باب الصلاة تجد أمثلة كثيرة، فعلى سبيل المثال: الأذان، كما جاء من حديث أبي عمير بن أنس عن عمومة له قال: كانوا في بداية أمرهم لما فرضت الصلاة ولم يكن قد فرض الأذان، جاء في "الصحيحين": أنهم كانوا يتحنيون تحيناً، وفي حديث أبي عمير بن أنس عن عمومة له قال: ذكروا البوق فقال: ذاك بوق اليهود، وذكروا له الناقوس فقال: ذاك ناقوس النصارى، أي: لا تُريد أن نتشبه بهم، لا ندعو الناس إلى الصلاة ببوق اليهود ولا بناقوس النصارى، فيسر الله عزَّ وجلَّ بأن يرى عبد الله بن زيد بن عبد ربِّه في منامه من يُعلمه الأذان، فأخبر النبي ﷺ، فقال له: «فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ فَلْيُؤَذِّنْ بِهِ، فَإِنَّهُ أُنْدَى مِنْكَ صَوْتًا»، فشرع لهذه الأمة هذه الكلمات العظيمة التي يُنادى بها لأداء الصلوات.

وهكذا في شأن الصلاة: جاء في "صحيح الإمام مسلم": من حديث عمرو بن عبسة في حيث طويل، وفي هذا الحديث: أن النبي ﷺ نهى عمرو بن عبسة وهو نهيٌ لسائر الأمة، عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها؛ لماذا؟ قال: «فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ»، حتى لا نتشبه بالكفار؛ لأنهم يسجدون للشمس ونحن نسجد لله، ولكن لما حصلت المشابهة نهيَ المسلم أن يسجد وأن يصلي عند غروب الشمس وعند طلوعها؛ مخالفةً لهؤلاء.

ومن ذلك: أن النبي ﷺ قال كما عند أبي داود من حديث شداد بن أوس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «خَالِفُوا الْيَهُودَ وَصَلُّوا فِي نِعَالِكُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ وَلَا فِي خِفَافِهِمْ»، هذا كله مخالفة للمجوس، ومخالفة لليهود، ومخالفة للنصارى ولغيرهم من أعداء الإسلام في سائر العبادات.

وأما إذا نظرت إلى باب الصوم لوجدت أدلة كثيرة فيها مخالفة المشركين والكافرين، ففي "صحيح الإمام مسلم" من حديث عمرو بن العاص **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «فَصُلِّ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ: أَكَلَةُ السَّحْرِ»، وفي مسند أحمد: من حديث أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِرًا مَا عَجَلَ النَّاسُ الْفِطْرَ، إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخَّرُونَ»، صححه شيخنا **رَحِمَهُ اللَّهُ** في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين.

وفي "مسند الإمام أحمد": من حديث بشير بن الخصاصية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: نهى النبي عن المواصلة في الصوم وقال: «يَفْعَلْ ذَلِكَ النَّصَارَى»، صححه العلامة الألباني في كتاب حجاب المرأة المسلمة.

وفي "صحيح الإمام مسلم" من حديث عبد الله بن عباس **رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ** قال: قالوا يا رسول الله إن اليهود والنصارى يُعَظِّمُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فقال: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ»، أي: مخالفة لليهود ومخالفة للنصارى؛ لأن أهل الكتاب يعظمون هذا اليوم، ومع ذلك يُنبه على أنه لا يصح الحديث الذي فيه:

(صوموا يوماً قبله ويوماً بعده)، وإنما المخالفة أن تصوم التاسع مع العاشر، هذا في باب الصوم.

وأما في باب الحج فأدلته أيضاً كثيرة، ومنها: ما جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن عباس: كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَهِيَ عُرْيَانَةٌ، فَتَقُولُ: مَنْ يُعِيرُنِي تَطُوفًا؟ تَجْعَلُهُ عَلَيَّ فَرَجَهَا، وَتَقُولُ:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

فأرسل النبي ﷺ كما في الصحيحين: أبا بكر الصديق وعلي بن أبي طالب وأبا هريرة، وأمرهم أن يؤذنوا في العام التاسع: «لَا يَحْجُجُ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ».

وفي الصحيح: من حديث ابن عباس أيضاً: (كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ» فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ)، أي: يكفي يكفي؛ لأن هذه الزيادة فيها تشريك وفيها عبادة غير الله عَزَّ وَجَلَّ.

وجاء في "البخاري" عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُفِيضُونَ مِنْ جَمْعٍ، حَتَّى يَرَوْا الشَّمْسَ عَلَى ثَبِيرٍ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: أَشْرَقَ ثَبِيرٌ كَيْمَا نُغِيرُ)، وثبير: جبل تظهر من ورائه الشمس فينتظرون حتى تظهر ثم يدفعون من مزدلفة، فدفع النبي ﷺ في حجة الوداع من مزدلفة قبل شروط الشمس مخالفةً للمشركين، صلى الفجر ثم جلس عند المشعر الحرام يدعو الله عَزَّ وَجَلَّ إلى

قُبيل طلوع الشمس ثم انطلق ودفع إلى منى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، كل هذا مخالفة للمشرّكين، مخالفة لأعداء الإسلام.

وأما إذا نظرت في باب الحدود، فقد جاء في "الصحيحين" من حديث عائشة رضي الله تعالى عنه: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حَبَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أَسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمَا اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»، الله أكبر إقامة لشرع الله عزَّ وجلَّ، ومخالفة لما كان عليه المتقدمون.

وهكذا في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]، وكما جاء في حديث أبي هريرة عند ابن حبان: كان يُجالس صاحب المنكر ولا يُنكر عليه المنكر وهو جليسه، وأكيله، وشريبه، أما هذه الأمة فقد أمرها الله عزَّ وجلَّ بإقامة هذه الشعيرة ولو كان على أقرب الأقربين: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي "صحيح الإمام مسلم": من حديث سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيْمَانِ»، وأمر الله عَزَّ وَجَلَّ بقول الحق والصدع به ولو كان على أقرب الناس، ولو كان على أحب الناس فإن هذا دين الله الذي به قامت السماوات والأرض، والذي بُعِثَ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وإذا جئت إلى باب الزينة، وإلى باب اللباس أيضًا؛ لوجدت أن النبي ﷺ قد جاءنا بما يُخالف ما عليه المشركون وما عليه الكافرون، وللأسف الشديد أن كثيرًا من أبناء هذه الأمة صاروا يتتبعون ألبسة الكافرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فكلما خرج زِيٌّ لليهود أو للنصارى تسابق إليه ما يُسمى بالمتقفين، والمتعلمين، وأبناء الجامعات وغيرهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

جاء في "صحيح الإمام مسلم": من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ثَوْبَيْنِ مُعْصَفَرَيْنِ وَقَالَ: «أَأَمَرْتُكَ بِهَذَا؟ إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا»، فَقُلْتُ: أَغْسِلُهَا؟، قَالَ: «بَلْ أَحْرِقْهُمَا»، فما كان من لباس الكفار لا يليق بالمسلم أن يلبسه، فقد أكرمنا الله عَزَّ وَجَلَّ بدين عظيم يشمل كل شيء: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿[المائدة: ٣]﴾، في كل أبواب الحياة وفي كل أمورنا، جاء في "صحيح الإمام مسلم" من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه أرسل في خلافته لعتبة بن فرقد وهو يوصيه، انظر هذا قائد الجند، قائد المجاهدين، قائد المرابطين، يُرسل إليه عمر انظر ماذا أرسل إليه عمر، قال له: (يَا عُتْبَةُ بْنُ فَرْقَدٍ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَدِّكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أَبِيكَ، وَلَا مِنْ كَدِّ أُمِّكَ، فَاشْبِعِ الْمُسْلِمِينَ فِي رِحَالِهِمْ مِمَّا تَشْبَعُ مِنْهُ فِي رَحْلِكَ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّعَمُّ، وَزِيَّ أَهْلِ الشَّرْكِ، وَلَبُوسَ الْحَرِيرِ)، وفي رواية: (وإياكم وزِي العجم)، هكذا يقول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يُربي جيشه ويُربي أفرادَه على العزة بدين الإسلام في المظهر والمخمر وفي سائر الأحوال، أما اليوم فلا حول ولا قوة إلا بِاللَّهِ تخلى كثير من المسلمين عن دينهم ظاهرًا وباطنًا.

وهكذا معاشر المؤمنين، جاء عند الإمام أحمد: من حديث أبي أمامة وصححه العلامة الألباني في كتابه: "جلباب المرأة المسلمة": أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قيل له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَسَرَّوْنَ وَلَا يَأْتِرُونَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَسَرَّوْا وَاتَّزَرُوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ»، انظر الآن إلى كثير من أبناء المسلمين صار يُقرر عليهم في مدارسهم، في مكاتبهم، في وظائفهم، في سائر أحوالهم البناتيل ليست السراويل، إنما البناتيل التي هي من لباس الفرنج ومن لباس النصارى، يقول: «تَسَرَّوْا وَاتَّزَرُوا وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ»، أما الآن فكثير من الناس يقول: تبطلوا تكرفتوا تشبهوا بأعداء الإسلام، ولا حول ولا قوة إلا بِاللَّهِ.

حتى في مظهر الرجل وفي جسده، يقول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** كما في الصحيحين عن ابن عمر: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَوْفُوا اللَّحَى»، أين المسلمون من هذا؟ وفي رواية ابن عمر في "صحيح مسلم": «خَالِفُوا الْمُجُوسَ، أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللَّحَى»، اتركوا اللحية في عفو عام لا تتعرض لها بقليل ولا كثير، أما الشارب فقصره فهذه السنة ولا بأس بإحفائه وحلقه فإنه جائز، أين الذين يمثلون بأمر النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

تخلف كثير من الناس عن دين الإسلام تركوا ما جاء عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وبعد هذا نتألم لما يحصل للأمة الإسلامية من تسلط الأعداء، من سفك الدماء، من التفرق، من غير ذلك من البلايا والرزايا، والسبب: أعمالنا، والسبب مخالفتنا، والسبب أننا تركنا ما به عزنا ونصرنا ومجدنا، فصرنا نتبع الترهات ونقلد أعداء الإسلام بزعمنا أننا نلحق أصحاب الحضارات، ولا حول ولا قوة إلا بالله، أي حضارة يا عبد الله في التخلي عن كتاب الله وعن سنة رسوله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**؟

حتى في الألفاظ علمنا نبينا ونهانا أن نتشبه بأعدائنا، قال الله عز وجل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]، كان اليهود يقولون للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: راعنا من الرعونة، وهم يعنون بها معنا فاسداً، فقال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]، على

مستوى اللفظ، وهكذا قال النبي ﷺ لما جاءه ذلك اليهودي فقال: **إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ وَقُولُوا وَرَبُّ الْكَعْبَةِ».**

حتى في الألفاظ نُهينا أن نتشبه بأعداء الإسلام حتى في مجرد السلام، فاسمع إلى ما جاء عند الإمام النسائي في عمل اليوم والليلة من حديث جابر بن عبد الله، وحسنه العلامة الألباني: أن النبي ﷺ قال: **«لَا تَسْلَمُوا تَسْلِيمَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَإِنْ تَسْلِمُهُمْ بِالْأَكْفِ وَالرُّؤُوسِ وَالْإِشَارَةِ»**، وجاء من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند الإمام أحمد: أن النبي ﷺ قال: **«لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى، فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الْإِشَارَةُ بِالْأَصَابِعِ، وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الْإِشَارَةُ بِالْأَكْفِ»**، أما أهل الإسلام فسلامهم وتحيتهم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ولو أشار الإنسان مع السلام بيده حتى ينتبه من كان بعيداً أو ضرب بها في سيارته حتى ينتبه من كان بعيداً ليس هذا سلاماً إنما لينبهه ثم يقول له بتحية أهل الإسلام بتحية أهل الجنة: السلام عليكم، وأما مجرد الإشارة بدون حديث بالأصابع أو بالأكف فهذا من تحية اليهود والنصارى.

وهكذا معاشر المؤمنين، جاء من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو عند الإمام أحمد وصححه العلامة الألباني، قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «نَظَّفُوا أَفْيَتَكُمْ»**، وفي رواية: **«فَنَظَّفُوا أَفْيَتَكُمْ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ تَجْمَعُ الْأَكْبَاءُ فِي**

دُورِهَا»، يعني: يتركون القمامة بجانب منازلهم وأحواشهم وأفنائهم ومساحاتهم،
فنهانا النبي ﷺ أن نتشبه باليهود.

ما أكثر الذي يتشبهون باليهود، بعض الناس تكون القمامة عند بيته، وآخر باب دكانه، يا عبد الله هذا فيه تشبه باليهود، هذا يأتي بالأمراض والأسقام، قال: نتظر البلدية حتى تأتي البلدية، وما تأتي البلدية الكسالى إلا وقد مرض كذا كذا من الأطفال؛ لأن هذا فيه مخالفة لحديث النبي ﷺ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ**.

وجاء أيضًا من حديث عائشة عند الإمام ابن حبان وعند الترمذي، قالت عائشة: «أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّورِ وَأَنْ تُطَيَّبَ وَتُنْظَفَ»، فنحن مأمورون بالنظافة في بيوتنا، في مساجدنا، في أفنائنا، في شوارعنا، في أماكننا، عبادة الله **عَزَّ وَجَلَّ**، وطاعة لرسول الله ﷺ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، ومخالفة لليهود؛ لكن انظروا الآن كيف التطبيق تجد العكس، اليهود يهتمون بأماكنهم ونظافتها، والمسلمون لا حول ولا قوة إلا بالله، ذاك يطبخ ويأكل وبجانبه النجاسات والقمامات والأمر لا بأس إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يا أيها المؤمنون، حتى على مستوى الاستجابة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** فإن الله أمر هذه الأمة بأن تستجيب لأمر الله **عَزَّ وَجَلَّ** وأن تخضع لشرع الله ولا تشابه أعداء الإسلام الذين قست قلوبهم وأعرضوا عن دينهم وتمردوا عليه، وحرفوا وغيروا وبدلوا، قال الله جل وعلا: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ

لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿[الحديد: ١٦]﴾، وما قصة البقرة عنكم ببعيد التي ذكرها الله في سورة البقرة، يوم أن أمرهم الله على لسان موسى بذبح تلك البقرة فتعنتوا وتغطرسوا وتفلسفوا، كلما جاء أمر حولوه إلى غيره، إلى أن طمس الله على قلوبهم فصارت قاسية كالْحِجَارَةِ أو أَشَدَّ قَسْوَةً، فالله ينهانا عن هذا ويأمرنا بالاتباع، وينهانا عن التمرد ويأمرنا بالاستجابة.

جاء في "صحيح مسلم": من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو أيضًا في "صحيح مسلم" من حديث عبد الله بن عباس: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، قَالَ: فَاسْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاتُّوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكْبِ، فَقَالُوا: أَيُّ رَسُولَ اللَّهِ، كُفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نُطِيقُهَا، كَيْفَ نُحَاسِبُ عَلَى مَا فِي أَنْفُسِنَا؟ (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ): «أَتَرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، مع أنه أمر شاق لا يتحملة العبد، كيف يُحَاسِبُ على ما في نفسه؟ ولكن استجابة لأمر الله، (قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا

أَلَسِتُمْهُمْ)، نسخ الله هذا الحُكْم تخفيفاً منه سبحانه ورحمةً لهذه الأمة، وإنما كان ذلك امتحان واختبار، (فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِنْثَرَهَا: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، هذا ليس في وسع الإنسان أن يُحاسب على ما في ضميره ما دام أنه لم يفعل شيئاً، إن حصل له شيء من ذلك فإن النفس أمارة بالسوء، والعبد مُعَرَّضٌ للوسوسة: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، نزلت هذه الآية لتنسخ الحُكْم الأول، وإنما بين النبي ﷺ لأصحابه وهو بيان لكل الأمة: أنه لا يجوز لنا أن نتشبه بأعداء الإسلام حتى في الاستجابة المؤمن المسلم ما يقال له مسلم إلا لأنه مستسلم مُنْقَاد لأمر الله عَزَّ وَجَلَّ، وإنما عُرِفَ بالحيل على الأوامر والنواهي اليهود كما ذكر الله في كتابه في آيات كثيرة وقصص عديدة وهم يتمردون ويحتالون حتى عاقبهم الله سبحانه وتعالى بعقوبات عديدة عقوبات عاجلة في الدنيا، وعقوبات تنتظرهم في الآخرة، فالله عباد الله في التمسك بالإسلام ظاهراً وباطناً.

إياك يا أيها المسلم أن يتطلع بصرك أو نفسك إلى ما عليه أعداء الإسلام فتشبه بهم في قول أو فعل، إن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٩٦ - ١٩٧]، جعلك الله عَزَّ وَجَلَّ على دين عظيم ودين قويم هو دين الله عَزَّ وَجَلَّ الذي ارتضاه لهذه الأمة واختاره لها سبحانه وتعالى، وهو أرحم بنا من أمهاتنا وآبائنا وأنفسنا؛ ولهذا شرع لنا دينه وأنزل إلينا كتابه وبعث إلينا رسوله، جاء في "الصحيحين" من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسَبِيٍّ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ، تَبْتَغِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَرُونَ هَذِهِ الْمُرَأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قُلْنَا: لَا، وَاللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ)، لا يمكن أن الأم تُلقِي ولدها في النار حتى ولو كانت مجنونة ربما لا تفعل ذلك فإن موقع الولد في قلب الأم عظيم كيف تُلقِي ولدها في النار؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدِهَا»؛ ولهذا شرع لنا دينه.

واعلم عبد الله أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول أهل العلم، كما في العقيدة الطحاوية: أن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يكلفنا ما نطيع، بل كلفنا دونما نطيع، ففي سائر العبادات العباد يُطِيقُونَ أكثر مما كلفهم الله، فالله عَزَّ وَجَلَّ جعل هذا الدين ديناً ميسراً وديناً سمحاً: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»، رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨]، نحن فرض الله علينا خمس صلوات ونحن نستطيع أن نُصلي ستاً وسبعاً وثمانية وعشرًا، فرض علينا شهر رمضان، ونحن نقدر أن نصوم أكثر من

شهر، فرض علينا الحج في العمر مرة ونستطيع أن نحج أكثر من ذلك، وهكذا لتعلم أن ذلك من رحمة الله سبحانه وتعالى، فالويل كل الويل لمن ترك هذا الدين العظيم وصار يتتبع الرذائل والقبائح والمخالفات التي عليها أعداء الإسلام، ربنا سبحانه وتعالى يُبين لنا أنها يعيشه أعداء الإسلام من التخلي عن الدين والأخلاق والقيم أن هذه حياة توازي حياة البهائم بل أنزل من ذلك، فكيف يرضى المسلم لنفسه أن يتشبه بمن وصفهم الله وشبههم بالكلاب، والحمير، والقردة، والخنازير، قال الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ويقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢]، فلا تغتر بما عندهم من الدنيا، لا تغتر بما عندهم من الأموال، لا تغتر بما عندهم من الزخارف، إنهم يعيشون حياة البهائم، وإن ملكوا شيئاً من الدنيا فإن ذلك من الفتن ومن البلاء؛ ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوقِتَهُمْ سَاقِطًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِيُوقِتَهُمْ أَيْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ * وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]، أي: لولا أن يكون الناس كلهم على طريقة الكفر لأعطى الكافرين أعظم مما عندهم من الذهب، والفضة، والزخارف، والجواهر، والأموال وغير ذلك، ومع ذلك بين أن هذا متاع الحياة الدنيا، وأن ما عنده أعظم، وأن ما عنده أغلى، وأن ما عنده أحسن؛ ولهذا يقول الله جل وعلا: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، قال النبي ﷺ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما دخل عليه عمر وهو

نائم على حصير قد أثر في جنبه الشريف ﷺ وهو إمام الهدى، ورسول الرحمة، وأحب الخلق إلى الله جل وعلا، فقال يا رسول الله: ادعُ الله أن يوسع على أمتك، ففارس والروم وهم لا يعبدون الله وعندهم من الدنيا ما عندهم، فقال **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**: «يَا ابْنَ الْخُطَّابِ أَوْ مَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟»، ومع ذلك فإننا في خير عظيم، ما أخذوا الدنيا بكاملها، فها نحن نعيش ونشرب، وها نحن نسكن ونتزوج، وها نحن نتمتع، وها نحن نشرب، وها نحن نجمع الأموال، ونخرج ندخل ونسافر في حياة طيبة، ولا حياة طيبة إلا إذا قُرِنت مع الإيمان بالله **عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

هذا الباب عباد الله واسع جدًا في التحذير من التشبه بأعداء الإسلام، وبالكفرة اللئام من أهل الوثنيات والشركيات وغيرهم، ولكن هذه نبذة مختصرة، نسأل الله **عَزَّ وَجَلَّ** أن يوفقنا وإياكم لما يُحب ويرضى، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح.



المحتويات

سلسلة زاد الخطباء (أولاً: خطب الجمعة)	٣
[١] معنى (لا إله إلا الله) - الخطبة الأولى	٣
[١] معنى (لا إله إلا الله) - الخطبة الثانية	٩
[٢] فضائل (لا إله إلا الله) - الخطبة الأولى	١٢
[٢] فضائل (لا إله إلا الله) - الخطبة الثانية	٢٠
[٣] فضائل (لا إله إلا الله) - الخطبة الأولى	٢٦
[٣] فضائل (لا إله إلا الله) - الخطبة الثانية	٣٦
[٤] شروط (لا إله إلا الله) - الخطبة الأولى	٤٠
[٤] شروط (لا إله إلا الله) - الخطبة الثانية	٤٨
[٥] مواضع (لا إله إلا الله) - الخطبة الأولى	٥٣
[٥] مواضع (لا إله إلا الله) - الخطبة الثانية	٦٥
[٦] التوحيد (الخطبة الأولى)	٦٨
[٦] التوحيد (الخطبة الثانية)	٧٦
[٧] لا حول ولا قوة إلا بالله (الخطبة الأولى)	٧٩
[٧] لا حول ولا قوة إلا بالله (الخطبة الثانية)	٨٧
[٨] عظمة الله (الخطبة الأولى)	٩١
[٨] عظمة الله (الخطبة الثانية)	١٠٠
[٩] منزلة التوكل (الخطبة الأولى)	١٠٣
[٩] منزلة التوكل (الخطبة الثانية)	١١١

- [١٠] (اليوم أكملت لكم دينكم) الخطبة الأولى ١١٥
- [١٠] (اليوم أكملت لكم دينكم) الخطبة الثانية ١٢٢
- [١١] فضائل الإسلام (الخطبة الأولى) ١٢٧
- [١١] فضائل الإسلام (الخطبة الثانية) ١٣٤
- [١٢] قبول الأعمال (الخطبة الأولى) ١٣٩
- [١٢] قبول الأعمال (الخطبة الثانية) ١٤٤
- [١٣] كيفية الانتصار لرسول الله ﷺ (الخطبة الأولى) ١٤٧
- [١٣] كيفية الانتصار لرسول الله ﷺ (الخطبة الثانية) ١٥٧
- [١٤] الرجوع إلى العلماء (الخطبة الأولى) ١٦٣
- [١٤] الرجوع إلى العلماء (الخطبة الثانية) ١٧٠
- [١٥] إخراج أهل السنة من أرضهم (الخطبة الأولى) ١٧٤
- [١٥] إخراج أهل السنة من أرضهم (الخطبة الثانية) ١٧٩
- [١٦] (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) - الخطبة الأولى ١٨٣
- [١٦] (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله) - الخطبة الثانية ١٩٠
- [١٧] حرمة القتل (الخطبة الأولى) ١٩٤
- [١٧] حرمة القتل (الخطبة الثانية) ٢٠٠
- سلسلة زاد الخطباء (ثانيًا: المحاضرات والكلمات) ٢٠٣
- [١] تعظيم الله (كلمة) ٢٠٣
- [٢] ما خُلِقْنَا عبثًا (محاضرة) ٢١١
- [٣] النصر للإسلام (كلمة) ٢١٨
- [٤] التمسك بالإسلام (محاضرة) ٢٣٣

٢٤٨	[٥] كيف يكون الانتصار (محاضرة)
٢٦٩	[٦] (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) - محاضرة
٢٩٠	[٧] (إنك لا تهدي من أحببت) - محاضرة
٣٠٥	[٨] أصول الدعوة (محاضرة)
٣١٤	[٩] الدعوة السلفية وصفاتها (محاضرة)
٣٣٥	[١٠] من مقومات الدعوة السلفية (محاضرة)
٣٥٤	[١١] ارفع رأسك بالسلفية (محاضرة)
٣٧٤	[١٢] خطر الإحداث في الدين (محاضرة)
٣٩٤	[١٣] أضرار البدع (محاضرة)
٤١٢	[١٤] هجر البدع وأهلها (محاضرة)
٤٣٥	[١٥] الجلوس إلى أهل الباطل (محاضرة)
٤٥٦	[١٦] ومن تشبه بقوم فهو منهم (محاضرة)
٤٧٧	المحتويات